٩٥أ

جامعة وهران
مصلحة الوسائل
المكتبة الجامعية المركزية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
معهد العلوم الاجتماعيّة : قسم التّاريخ

لا يستعار

الاحتلال الاسباني الأوّل لوهران
وانعكاساته
الاجتماعيّة السّياسيّة و الاقتصاديّة

جامعة وهران
مصلحة
المكتبة الجامعية المركزية

أطروحة لنيل شهادة الماجيستير في التّاريخ

من تقديم : بلبوري سيد أحمد

تحت اشراف الدّكتور : الصّم منوّر

جامعة وهران
مصلحة الوسائل
المكتبة الجامعية المركزية

سبتمبر 1985

اختيار الموضوع وأهمية الفترة ، وصائله ، محتواه ، ومنهجيته

١) اختيار الموضوع وأهمية الفترة :

لماذا ؟

ان الهدف الرئيسي من اختيار الموضوع لدراسة جهوية عن الاحتلال الاسباني في الاول لوهران ، وانعكاساته الاجتماعية والاقتصادية ، يرمي الى ابراز السمات والخصوصيات الناجمة عن الاحتلال الضيق والمحدود ، خصوصا على مستوى الجهة الغربية من البلاد .

فسجل كتابات الاسبان هي في حد ذاتها قليلة عن الجزائر ابتداء من القرن السادس عشر السابع عشر وحتى الثامن عشر ، اللهم ما عدا بعض الشهادات والدراسات التي يمكن اخذها بعين الاعتبار والتي أوردها كل من مارمول - Marmol Carvajal - الذي استطاع أن يعطي معلومات جد ثمينة عن قطاع الجزائر ، ومملكة تلمسان مابين القرنين الخامس والسادس عشر ، وكذا سواراز Diego Suarez الذي أرخ للقطاع الغربي وخصوصا مدينة وهران وضواحيها ، ١٥٧٣ ١٥٨٧ م حيث ألقى أضواء ذات الاهمية القصوى بالنسبة لهذه الحقبة الزمنية بالذات ، ثم أراسموروا الذي تمكن من اعداد وحصر تقرير تطوري ، يبرز فيه مختلف التطورات الاقتصادية ، خصوصا في مجالاتها الزراعية عبر وهران وضواحيها ، بالاضافة الى ما يبدو Diego Haedo الذي ركز جل دراساته وأبحاثه عن الجزائر ، ويمكن استثناء الماركيز طاباالوزوس Tabalosos حاكم وهران ، الذي حقق مذكرات كاملة عن تاريخ وهران ، وحتى ان اتصفت هذه الفترة بطابع فقدان المعلومات ولم تقدم لنا مراجع هامة ، الا أنها أثرتنا بوافر التقارير والمراسلات والمذكرات ، جاءت كلها في قالب

سياسية وعسكرية ، اذ لا تكاد توجد تقريبا موضوعات خاصة ذات طابع اقتصادي ، ديمغرافي ، ثقافي أو اجتماعي ، اضافة الى كونها بعيدة بالفعل عن احاسيس الشعب الجزائري أثناء هذه الفترة .

أما الرحالة العرب والمورخون منهم ، وان كانوا قلة ، فقد تناولوا دراسة هذه الفترة بشيء من العمومية ، برزت اظبيعتها على نسق من السرد الكلاسيكي ، وعلى شاكلة احداث تاريخية عسكرية دينية ، مما دفعنا الى التنقيب في أغوار هذه الحقبة ، واضطرنا الى ابراز امكانياتها في مختلف المجالات كل على حدة ، عسكرية كانت ام اقتصادية واجتماعية ، ومحاولة ربط اسبابها بمسبباتها ، واعطاء شرح او تفسير ولو مقتضب لما غمض منها .

اهمية الفترة :

ان حصر هذه الفترة للاحتلال الاسباني في المنطقة الشرقية ، والتي كانت تمثل قاعدة التمركز والانطلاق بها مدينة وهران ، سعينا الحثيث لاستنتاج من وراء كل ذلك ، وحسب المراحل الزمنية المتعاقبة من تاريخ استيطان الاسبان ، ابتداء احتلال مهدد الوجود دوما ، داخل اسوار المدينة ، ولم يحقق اهدافه السياسية والاقتصادية وحتى التنصيرية ، محاولين في ذلك ربط نزوح مسلمي الاندلس قبل الاحتلال بمبادرة الحملة الاسبانية على كل من المرسى

الكبير ووهران ، بالرغم مما أحدثه هذا النزوح من فراغ سكاني وتجاري ، لم يعرف البتة ، وكان سببا في عجز المملكة الاسبانية عن تموين وهران ، وسدّها سدّها باعتبارها جانبا الاقتصادية بصفة خاصة ومتواصلة .

أما بالنسبة لهذه الآثار والانعكاسات السياسية فتتمثل أولا في عدم ربط علاقات دائمة مع الأهالي الذين كثيرا ما كانوا يقلقلون ضدهم ، وهذا ضمن دائرة جغرافية ومحيط جدّ محدود ، ثانيا ، في النزاعات السياسية الكبرى ما بين السلطتين المدنية والعسكرية بوهران ، ناهيكم عن مملكة تلمسان التي ظلت تعارج سنوات طوال ما بين الانضمام والتحالف مع الاسبان تارة ، وأخرى ضدهم وفي صف الأتراك .

فالوجود الاسباني أصبح مقوقعا داخل أسوار وهران ، ذلك أن الوجود الفعلي خارج الساحلين - وهران والمرسى الكبير - في كل من تلمسان ومستغانم ، كان مرحليا وانتقاليا ، لا يلبث ان يستمر أحيانا في بعض الجهات الا فترات وجيزة ، وإذا ما تفقدنا المسيرة العسكرية طيلة الاحتلال استخلصنا عبرة تتمثل في العدد الضئيل

من الحروب ، خصوصا بعد موت الكونت الكوندات اغلبها كان فاشلا ، بالاضافة الى غارات السلب والنهب ، فكانت وضعية المدينة ما فتئت عبارة عن نكبة معلنة بصفة دائمة ، يرن فيها ناقوس الخطر على الدوام .

وقد كان العامل الاقتصادي اشد خطورة وسوء على الوضع الداخلي بوهران ، فعجز اسبانيا عن ضمان التموين المستمر ،نتيجة للحصار الدائم بريا كان أم بحريا ، ام طبيعيا ، وامتناع العدد القليل من القبائل الوالية لهم من مواصلة التموين احيانا ، زيادة على عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي بمملكة تلمسان ، كل ذلك كان سببا رئيسيا في عزل اسبان وهران عن باقي المدن الساحلية الاخرى اوحتى بالداخل ، مما واكب الحصار العسكري السالف ، هذا الحصار الاقتصادي الذي اتسم بطابع الديمومة تقريبا خصوصا ابتداء من سنة ١٥٥٨ م . وتتمثل هذه المعطيات الاكثار والصاورالتالية :

١) الوجود الاسلامي بالاندلس ، وتداعي روابط الوحدة ، ثم الانفصام ، وسقوط آخر معقل للاسلام.

٢) بروز صعوبات وملامح التوسع الاسباني والبرتغالي على طول الشريط الساحلي لشمال افريقيا وتقسيم مناطق النفوذ .

٣) محاولة التعجيل بالقضاء على نية التوسع تحت غطاء الغزو الصليبي ، ومحاصرة الاسبان في الداخل ، نتيجة مقاومة القبائل والدولة الجزائرية ، بالرغم من الفئة المساندة لهم .

٤) مساهمة الفئة الوالية للاحتلال في تموين الحامية ، وضمان الحياة الاقتصادية لاسبان وهران بقسط ضئيل ولفترة جد محدودة ، اما عن طريق التعامل التجاري المتجلي في بيع المحصول وتسويقه برا وبحرا ، أو بتسخير طاقات القبائل المرتبطة عن طريق وثيقة الحماية في خدمة الارض لمصالح الحامية .

٥) ظهور المقاومة الشعبية ، وزحفها من حين لآخر على أسوار المدينة ، مع ملاحظة عدم خلق تنسيق محكم للمجابهة ، وهذا مع افتقارها لعنصر القيادة المنظمة داخل اطار السلطة .

وسائل البحث :

ان عملية البحث للحصول على المصادر الضرورية والرئيسية من أجل جمع مادة هذه الاطروحة تمت على محورين اساسيين : يمكنان أصلا في الاطلاع على جزء هام من الوثائق المحفوظة لدى المكتبات الرئيسية باعتبارها كخزانة المكتبة الملكية بمدريد والمكتبة الوطنية ، وكذا ارشيف ولاية وهران . والمكتبة البلدية ، ومكتبة المتحف .

ا رشيـــف مكتبـــة المتحـــف بـوهـران : ا - العربية ،بد الفرنسية

تشمل مكتبة المتحف مصادر و مخطوطات جـدّ هامة ، تشمل على وجـه الخصوص هذه الفتـرة بالـدراسة والـسـر التا ريـــخي ونـذ كر منهـا على التـوا لي :

-ا - العربيـة ، مخطـــوطات

المازرى بن عودة (طلوع سعد السعود ، في ا خبار وهـــران ، ومخزنها الا سود) مخ رقم ٩١ يضم ٥ مقاصد ، ركزنا منها على المقتصدين الا ول والرابـع ، وتشـمل ما يلـي :

١) وصف المدينة وتعريفها ، ٢) ذكرالا وليـاء والا شراف ، ٣) ذكـــر العلماء من مدة التشييد جيدى الآن ، (٤) ذكـرالدول على حسب الترتيب (٥) ذكـــر مخزنـهـــا .

الحلـفاوى التلمسـاني (عبد الله سيدى محمد بن أحمـد) وهـو يـضـم ٥ فـصـول و ٧٢ بيتـا ، تنا ولنـا منها بالـــدّراسـة والمرا جعـة الفصلين الا ول والثـالـث ، وتشـمل ما يلـي : (١) في ذكر دولـة السـلطـــان بكـدلا اشى (٢) ، وصفه لتجـهيز الجـيش (٣) مـحاصرة البـلا د والبروج . (٤) وصف ما آل اليه الفريقان ، (٥) الحمد والثنـاء

الفـــرنسيـــة :

HANSER.H. LA PREPONDERANCE ESPAGNOLE, E 2655 (ALCAN PARIS) 2 VOL 1933-594 P.

HENRIQUE LUIS LES COLONIES D'AMERIQUE, C 358 A C 363 (MAISON QUANTIN, PARIS GT).

Camille kehl (ORANET ET L'MANIE AVANT L'OCCAPATION FRANCAISE B S G 1928
BLERM NELLEY (LA CROISADE EN ALGERIE) FOUQUE MAN 18 98 PS 163
ABBE UMANUEL (SOUS LES PAC DU VRAPEAU.

-ا- عربية : (١) البشرفي عبد القادر الجزائري (بهجة الناظر،
في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران،
من الاعراب كهني عامر) رقم ٤٢٩

-ب- فرنسية

FEI (HENRI-LEON) HISTOIRE D'ORAN, AVANT PENDANT ET APRES LA DOMINATION ESPAGNOLE (PERRIER) 1858 N° 8348 YB 32
G. DIDIER, HISTOIRE D'ORAN, (L.PETIT) 1932 YB 34
LESPES RENE. ORAN ETUDE DE GEOGRAPHIE ET D'HISTOIRE UNBAINES (FELIX ALCAN PARIS) 1830-1920 YB 605.

ارشيف مكتبة الولاية :

BERTRAND LUIS HISTOIRE D'ESPAGNE A 1243 (PARIS A. FAYARD 1941) 537 P.
BEANVOIR. S. L'AMERIQUE AU JAN LE JOUR 1092 N& 1136
VIRE. P. AU VERIL DE L'ESPAGNE N° 1201.

ارشيف ماوراء البحار : اسبانيا .

(١) مكتبة الاكاديمية الملكية للتاريخ - مدريد -

- BLEYE (Aguado).- Marmol de la Historia de España, tomos III y IV.- Madrid, 1972.

- CAMPAN Y Antonio.- Mémorias historicas sobre la Marina, tomos II Y III.- Madrid, 1940.

- CARVAJAL (Marmol).- Descripción de Africa.- Real Académia de la Historia.- Madrid.

- CARVAJAL (Marmol).- Oran, Cindad de la Provincia de Tlemcen.- Real Académia de la Historia.- Madrid.

- HEADO.- Topografia Y Historia général.- Madrid, 1929.

- LUNAJOSE (Calos de.).- Histoire de Gibralter.- Murcia 1621.

- PONS BOIGUES (Fracisco).- Ensago Bio-bibliografico sobre los Historia des géografos.- Madrid, 1898.

Papeles sobre el paso de los moriscos de Espana a Africa: Estado y Jurisdiccion de aquellas plaza. 1603 - 1608.

Advertimientos de Fr. Isidro de Valcaçar sobre cosas de Berberia. Avisos de Berneria .1608.

Apuntes R de UREA sobre cosas de larache. II-4-4-7.

Jornada de Larache por Antonie de Toledo (Falipe III). Toma de la Mamera . 1614.

Instruccion a D. Juan de Austria sobre cosas de Argel 1573. II-4-4-7.
VELAZQUEZ (Colec.).

N° 83-84-85 Memoris sobre Berberia.

N° 89 Decripcion del reino de Tunez por Francisco-XIMENEZ.

VARIOS :

- Traduccion de Papel Arâbigo de un eautivo desertor de Tremecen que Vino a Oran.

- Tradiccion de Varias insoripciones Arâbigo de Oran S-XVIII.

- Instruccion del Marquez D. Martin de Cordoba al Conda de Alcauste paragobernar Oran Marcelcevir , Tremecen y tônes. carta original de Muly Xeque a Filipe IIX Sobre su amistado 1606.

Camille kehl (ORANET ET L'MANIE AVANT L'OCCAPATION FRANCAISE B S G 1928
BLERM NELLEY (LA CROISADE EN ALGERIE) FOUQUE MAN 18 98 PS 163
ABBE UMANUEL (SOUS LES PAC DU VRAPEAU.

-ا - عربية : (١) المشرفي عبد القادر الجزائري (بهجة الناظر، في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران، من الاعراب كبني عامر) رقم ٤٢٩

-ب- فرنسية

FEY (HENRI-LEON) HISTOIRE D'ORAN, AVANT PENDANT ET APRES LA DOMINATION ESPAGNOLE (PERRIER) 1858 N° 8348 YB 32
G. DIDIER, HISTOIRE D'ORAN, (L.PETIT) 1932 YB 34
LESPES RENE. ORAN ETUDE DE GEOGRAPHIE ET D'HISTOIRE UNBAINES (FELIX ALCAN PARIS) 1830-1920 YB 605.

ارشيف مكتبة الولاية :

BERTRAND LUIS HISTOIRE D'ESPAGNE A 1243 (PARIS A. FAYARD 1941) 537 P.
BEANVOIR. S. L'AMERIQUE AU JAN LE JOUR 1092 N& 1136
VIRE. P. AU VERIL DE L'ESPAGNE N° 1201.

ارشيف ما وراء البحار : اسبانيا .

(١) مكتبة الاكاديمية الملكية للتاريخ - مدريد -

(8)

(الـبـــاب الا ول)

" الاحـتـــلال الا سبـا نـي الا ول لـــو هـــرا ن

وانعـــكا سا تـــه الا جـــتمـــا عـيـــة

الفصل الاول

الصراع الاسلامي بالاندلس ، وبوادر التوسع الاسباني :

١) الصراع الاسلامي بالأندلس :

١- الوجود الاسلامي ، والمجابهة العسكرية

ب- سقوط غرناطة

ج- شروط الاستسلام ، ونهاية الوجود الاسلامي بالاندلس

٢) الاوضاع السياسية باسبانيا

٣) الهجرات الأندلسية المتتالية

٤) التوسع الاسباني :

ا- داخليا ، بأوربا

ب- خارجيا ، بالقارة الامريكية

٥) القرصنة

" الصراع الاسلامي الاسباني بالاندلس،وسقوط غرناطة

في غمرة التطور الحضاري لمدينة اسلامية راقية ، اتسمت بطابع التقدم العلمي والغني والزراعي على اكثر من صعيد ، مكتسحة بذلك جلّ اصقاع شبه الجزيرة الايبيرية ، بدا الضعف والوهن يتسربان الى الدولة الاندلسية ، من خلال الفتن والحروب الداخلية الطويلة الامد ، متخذة في ذلك شتى الاساليب ، من دسائس وانتقام فيما بينها ، تارة عن طريق الاصطدامات العسكرية ، وأخرى بمساندة الأعداء ومؤازرتهم ضد الاخوة وأبناء العمومة .

فلكل دولة عهد نمو وازدهار ، يتبعهما عهد ذبول وهرم وانحلال ، ذاك ما حل بالفعل بالأراضي الاندلسية ، نتيجة لتفاقم الخلافات ، وازدياد الجفوة والبغضاء ، بين الأمراء ، فلم يتبادر الى ذهن الموحدين ومن قبلهم المرابطون بجدية طيلة حكمهم ، في ان يجعلوا الأندلس قاعدة لملكهم ، بل لبثوا في افريقيا ، وفوضوا عنهم نوابا يتلون السلطة والاشراف فيها ، فضعفت بذلك سطوتهم ، وتقلص نحكمهم فيها ، فتحول الحكم بغرناطة الى أمراء بني نصر.

بينما كان الجميع في غفلة من أمرهم ، منهمكين في المسائل التافهة الضيقة ، في تلك الفترة، تناسوا بروز الدول المسيحية في اقصى الشمال وتلاحمها وانتصارها في بوتقة المسيحية ، فتكونت اسبانيا النصرانية الموحدة ، عن طريق المصاهرة ما بين فرديناند ملك اراغون ، وايزابيلا (١) وارثة عرش قشتالة الذين يضم كلا من ممالك استوريا ، وقاليسيا ، وليون . فتجاهل هذه الدولة المسيحية الناشئة والتقليل من شأنها وقصر النظر عن اهميتها وتحركها السريع بقصد التوسع ، اضافة الى عدم التفكير الجدى للحد من زحفها المستمر صوب الجنوب ، كل هذا لم يحقق فكرة الرجوع الى مسالف عهد الدولة الاسلامية الغابر ، المتمثل في الوحدة بدلا من الانقسام والتطاحن ونبذ الخلافات .

---

(١) تم زواج الملكين الكاثوليكيين سنة ١٤٦٣ (los reyes Catolicos) وبهذا اتحدت المملكتان اللتان كانتا في حروب ومنازعات مستمرة ، فنجم عن ذلك في اسبانيا موجة عارمة من الفرحة نجد اثرا لها في اغانيهم الشعبية « Tanto Monta, Monta Tanto Isabel y Fernando » مهما اعتلينا فسوف نجد في القمة ابدا ايزابيلا وفرديناند .

Carlos de luna Jose; - Historia de Gibraltar - p. 179

فتقاعسها عن بلوغ هذه الامنية ، سمح للاسبان بالتوغل ، والاستيلاء التدريجي على الأراضي ، بعد أن أصبحت المدن تتهاوى الواحدة تلو الاخرى ، وتسقط متناثرة كأوراق الخريف على الثرى اذ تمكن فرديناند الثالث ملك قشتالة في فترة وجيزة ومقتضبة ما بين ١٢٣٨ حتى ١٢٦٠م ، صحبة جايم الاول ملك أراغون ، من الاستيلاء على المدن التالية : قرطبة ، اشبيليا ، بلنسية مرسيه وأخيرا حكم العرب محصورا في مقاطعة غرناطة على نطاق ممتد من المرية الى جبل طارق وهي الرقعة الاخيرة المتبقاة التي زاولوا فيها حكمهم لفترة دامت قرنين ونصف .

هذه الحقبة التي عرفت مزيدا من التطاحن والصراع من أجل العرش والسلطة دفعت الامراء الى الانطواء داخل مقاطعتهم والانفراد بأقاليمهم ، والمطالبة بل وتحقيق استقلاليتهم ، الامر الذي مهد الطريق أمام الاسبان للمهمة الشاقة على ما تبقى من الممالك الضيقة والعديمة الرؤيا الا وهي - غرناطة عام - ١٤٩٢م فسقوطها " يعتبر نقطة تحول في تاريخ الاسلام ، كما هو الحال بالنسبة للعالم المسيحي ابان سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م - " ويمكن الاستنتاج مما سبق أن السبب الذي يغلب على الظن ، انما يعود الى نظام الحكم الذي كان قائما ، ولا الى طباع العرب أنفسهم أعني نزاع الامراء وحكام الأقاليم ، ولم يكن أصلا نزاع شعب .

قد يبدو من الاهمية بمكان ، قبل الحديث عن التدهور السياسي والاقتصادي الذي أصاب مملكة غرناطة آخر معقل للاسلام الالماع ولو بايجاز وقليل فحص هذه العجالة لمعطيات الحكم الاسلامي

---

(١) عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، جزء ٣ ص ٥٢ ط. ديوان المطبوعات الجامعية .

عبر الأراضي الاندلسية ، وانماط العلاقات الانسانية والاجتماعية والاقتصادية المنظمة اتجاه الاسبان .

لم تحكم الأندلس طيلة تاريخها السياسي العريض وفي أي عهد من عهودها بعدل وسماحة كما هو الشأن بالنسبة للعرب الفاتحين اذ كانت الحكمة والتروي تقتضيان اعطاء الاسبان كامل حرياتهم العقائدية والثقافية من نشر العدل والمساواة بين كل الفئات دون التمييز بين مختلف الشرائح أو الطبقات الاجتماعية سامحين لهم بالاحتفاظ بثقافاتهم وممارسة شعائرهم كما كانوا من ذي قبل .

ولم يقتصر ذلك على الميدان العقائدي فقط بل تعداه الى مجالات أخرى حيث تم تعيين حكام لهم من أنفسهم يقررون ويفصلون فيما ينشب بينهم من خلاف أو نزاع ظافرين بحرية تنظيم مقاطعاتهم وادارتها فضلا عن جمع الضرائب (1)

وقد لا يفوتنا التذكير بحسن المعاملة ولين السياسة دون افراط أو اجحاف ، فحتى بالنسبة للضرائب كما أشرنا سلفا كان من بينها ضريبة الارض التي تتفاوت على حسب ومقدرة انتاج الارض ، تطبق على الجميع بالتساوي ، لا فرق في ذلك مابين مسلم أو نصراني أو يهودي فهم أمام أعين الفاتحين والقانون سواء .

لكن الرغبة في التحرر دفعت الاسبان الى القيام بالعديد من الانتفاضات والحروب فيما بعد ومع المسلمين الذين واجهوهم

---

(1) طرخان ابراهيم علي - المسلمون في اوربا - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٨٢

وأبعدوهم حتى الشمال ظنا منهم أنهم قد تم لهم القضاء على حركة التمرد في الاسبان ولن تقوم بعد ذلك للاسبان قائمة فالفئة التي انحازت من قبضة المسلمين التجأت الى جبال أستوريا واعتصمت بها (١) وشرعت في تنظيم أمورها الاجتماعية وخاصة العسكرية منها استعدادا مستقبلا ليوم المواجهة وهي بعيدة عن رقابة وسلطة المسلمين .

وفي غضون تلك الحقبة أخذ شأن هذه الفئة بقيادة بلاي- يكر ويعظم خطرها الاتجاه بتحوله من مسار الثورة الى مضمار الحرب ويشكل خطرا لا محيد عنه فتمكنت بعدئذ من النزول من جبال أستوريا للمنازلة ، وخوض غمار المعارك التي دامت طويلا ، وكان النصر فيها وهو يميل نحو التدرج لصالح الاسبان ، يجاهدون المرابطين تارة لما تضعف شوكتهم ، ويعقدون الحرب لتوسيع حدودهم يوم أن يقوى ساعدهم ، الى أن داهمت الاخطار المرابطين لما ألم بهم بالمغرب من ظهور حركة الموحدين ومن ورائهم قبائل مصمودة أولا ، وما واجههم بداخل الأندلس ،ونمو قوة الدول المسيحية بالشمال ثانيا : (٢)

من العسير جدا أن تضبط ولايات مضطربة ومتنازعة ، كولايات الاندلس والتحكم فيها ، نتيجة لعدم الاستقرار السياسي وبروز الفتن والثورات اذ تمكن الموحدون أول الأمر من الوقوف على قدم وساق محرزين على انتصار مؤزر عام ١١٩٥م في موقعة الارك ، ولكن لفترة محدودة وبرطانية حيث اندحروا فيها بعد بمعركة العقاب سنة ١٢١٢م فكانت النهاية لوجودهم بالاندلس والقضاء على ملكهم .

---

(١) هذه الفئة شكلت النواة الأولى لقيام الدولة الاسبانية شمالا ، ووصول حدودها حتى نهر التاجة .

(٢) احمد بدر- تاريخ المغرب والأندلس- ١٩٨ص.

وذلك لعوامل عديدة ،تمثلت في عجزهم عن حماية الاندلسيين ، ثم انفصال الزعماء المحليين من ذوى السلطة والنفوذ عنهم أمثال بن الاحمر وبن هود وفقدوا مدنا بالغة الأهمية من الوجهة الاستراتيجية كقرطبة اشبيليا جيان ، فالونسية حيث بلغ حجم مساحة الاراضي التي استولى عليها الاسبان ما يقرب من ٤٠٪ من كل الأراضي لشبه الجزيرة الايبيرية .

ولم يكن التمركز الاندلسي أثناء ذلك الا في نطاق محدود ، ورقعة ضيقة انطلاقا من المرية الى جبل طارق بينما ظهر التوسع الاسباني بشكل واضح وشاسع في كل من مملكة أراغون شرقا وقشتالة بالوسط والبرتغالي بأقصى الغرب من شبه الجزيرة . (١)

سقوط غرناطة :

تتوارد طي مملكة غرناطة بعد سقوطاً غلبية المدن الاسلامية بين أيدى الاسبان ، مجتمع فرسان العرب الذين يتراوح عددهم مابين ٥٠٠٠٠ رجل قادمين من قادس ، وفالونسية وعارضين على السلطان سواعدهم لخدمة الاسلام في تلك الربوع . في وقت كانت فيه غرناطة تولي بالطاعة لملك قشتالة وتؤدى اليه الاتاوة في كل عام .

كان طي أبا الحسن (٢) حاكما على غرناطة بعد تمكنه من خلع أبيه والتفافي عن أخيه محمد بن سعيد الملقب بالزغل فنكث العهد وقام بغارة على المسيحيين بقلعة الصخرة عام ١٤٨١م هزمهم فيها وابان رجوعه الى المدينة متوجا باكاليل الفوز والانتصار

---

(١) - فترة خطيرة في تاريخ غرناطة (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مدريد ١٩٥٩ ص ٢٨ .

(٢) طي الجازم - العرب في اسبانيا - ص ٢٠٥ ط دار المعارف - القاهرة .

تذمر أهل غرناطة منه فسموه (بداية النهاية) تخوفا من زحف الاسبان والتأثر لهم وذلك ما حدث بالفعل اذ انتقم الاسبان بعد حين من أبي الحسن باعادة استلائهم على الحصن واستطاعوا من انشاء حصنة على مقربة من غرناطة نفسها .

تمكن أبو عبد الله من العودة الى غرناطة وخلع أبيه ، فحل محل سلفه في الحكم وتبين له الاغراض من تجدد قصده الوجود بمالقة حيث يقيم أباه وشد أزره ضد المنافقات والاقتحامات الاسبانية المتكررة وكانت هذه البادرة فرصة سانحة للاسبان الذين لم ينسوا ويملات جبال مالاقة وكانوا يتحرون شوقا للثأر . وبينما هو في الطريق مزمعا على الاغارة ، نصب له الاسبان كمينا بالقرب من لشانه فاوقعوا به قبل بلوغه مقصده فوقع في الاسر ، وظل في قبضتهم ردحا من الزمن (١) وهنا يتبادر الى الاذهان سؤال له أهمية التاريخية حيث لم يوافق الاسبان على قتله أو ابقائه في الاسر الى أن يفتدى ، فما الداعي لذلك ياترى ؟

للرد عن هذا الاستفسار لابد من مراعاة عاملين أثنين : أولاهما العامل السياسي الذي يفسر أن سبب الاحتفاظ بعبد الله أسيرا لن يكن في صالح الدولة الاسبانية بل وسيزيد في اطالة عمر المملكة الغرناطية ، هذا مما سيدفع بالمسلمين لاعادة تنظيم أنفسهم وتشكيل جبهة سياسية عسكرية موحدة هدفها الاسمى هو ابعاد المسيحيين عن ممتلكاتهم ونسيان حزازاتهم ، وصراعاتهم

---

١) فترة مضطربة في تاريخ غرناطة - (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية) مدريد ١٩٥٩ ص ٣٤ .

الداخلية تجاه عدو مشترك ذلك أن فك الأسر من هذه الوجهة يساهم في تفتيت الوحدة وتعميق هوة النزاع ، وسيجعل لا محالة في الاسراع بسقوط المملكة .

أما العامل الاقتصادي ، فيتمثل في اخضاع التجارة الفرناطية لرقابة وسلطة الاسبان اضافة الى دفع مبلغ هام قدر بنحو اثني عشر الف دوبله من الذهب (٢) وهذا تظهر الوعود التي أبداها كل من فاردينا ند وايزابيلا للعهد الله .

وهي تتجلى في عزمهم على مديد المساعدة له ، لاسترجاع عرشه الذي ترسع عليه داخل غرناطة عمه الزغل .

كان أمر عبد الله ضربة قاصمة لحكم المسلمين بالاندلس ويعتبر الاحتفاظ به من قبل الملكين الاسبانيين أحد الأسباب الرئيسية في سقوط غرناطة وبعد أن تمكنا منه وأصبح في قبضتهما طلع السلطان راضيا بما أنقلاه كما هلله من جزيه وتحكم في تجارة المدينة وارجاع بل اطلاق سراح الاسرى المسيحيين (١) فتقفل راجعا الى غرناطة قاصدا حي البيازين سرا فتجمع من حوله الانصار وثار على عمه الزغل المتحصن بقلاع الحمراء حربا كان الفوز فيها حليفه وقد تم ذلك بمساعدة الاسبان في دعم مقاومته وامداده بالبارود والقمح والخيول وحتى المال . ومن ثم أصبح لغرناطة سلطانان : أحدهما عبد الله والثاني عمه محمد بن سعيد الملقب بالزغل ، آخر عظيم أنجبته الأندلس .

---

(١) زيادة على اطلاق سراح ٤٠٠ أسير مسيحي ويقتضي هذا التعهد الذي تستغرق مدته زهاء خمس سنوات مواصلة اطلاق سراح السجناء بمعدل سبعين أسيرا سنويا .

لم يكن أي شيء أحب الى الغرناطيين من اسقاط سلطان ، ونصب آخر مكانه" (٢) خاصة في تلك الفترة فمرة تفتح أبواب غرناطة في وجه الزغل وجيشه وأخرى تغلق فلا يجد مفرا من الابتعاد عنها وقد عمّ خط أهالي المدينة ضده لما استولى فارديناند على القسم الغربي من المملكة فحاول ملاحقة العدو عند مشارف مالقة لكنه انهزم لهلاً أمام أسوار المدينة .

بعد ذلك لاستمالة الملكيين الاسبانيين صديقا لهما حسن وصدق نواياه في التقرب اليهما وكي يثقا به تنازل لهما عن جزء من أملاكه شريطة أن يسمحا له بالاحتفاظ بكل من بسطة والمريية الا أن ذلك لم يدم طويلا ، فنكث العهد بانطلاق فارديناند من مرسية عام ١٤٨٨م متجها نحو بسطة لكن الزغل باغته وانتصر عليه . فما كان من أمر فارديناند أن يتوانى أو يتقاعس بعد انهزامه ، بل اعادة الكرة ثانية سنة ١٤٨٩م على - بسطة - فسقطت المدينة ودخلها فاتحا كما سلمت له المرية بعد أن طلب منه الزغل السماح له بمغادرة البلاد لما ينتهي من جمع أملاكه فغادرها متوجها الى وهران .

لم يبقى للمسلمين سوى غرناطة التي اغتبط أميرها أبو عبد الله وتشفى في عدوه القديم الا وهو حصه الزغل لما لحق به من هزيمة نكراء وعده الذي قطعه

---

(٢) أحمد بدر - تاريخ المغرب والاندلس - ٢٨٠ -

على نفسه للاسبان ، خلاصته التنازل وتسليم غرناطة في حالة ما اذا تمكنوا من دحرهم واستيلائهم على بسطة والمرية ذكر الطك فارديناند ابا عبد الله بذلك الوعد ، لكن الفارس الاندلسي موسى بن أبي الغسان عارض فكرة التسليم وجانبه الاسبان بدون جدوى . ولتضييق الخناق على السكان ضربوا وشددوا الحصار بقوة على المدينة بقصد تجويعها واستكانتها فانشأوا لنفس الغرض مدينة أسام غرناطة لتكون لها : ساتنا في أي (الايمان المقدس) شيدوها في ظرف تسعة اشهر يوما وزاولوا اشراها سياسة التدمير الفلاحي التي مارسوها طيلة حروبهم مع المسلمين « فاتلفوا المزارع المجاورة للمدينة وعاثوا في الأرض فسادا »[1] وبعد حصار تجاوز السنتين ، سلمت المدينة وهي آخر معقل للاسلام وفقا لشروط قاسية سنوردها كاملة بعد حين . وأعطيت بعض الاملاك لابي عبد الله في البشرات التي لم يمكث بها طويلا . اذ اثر النزوح الى مدينة فاس فضلا عن البقاء بها ، ومن ثم غادر البلاد الى عدوة المغرب ليفسح المجال أمام الصليب .

شروط معاهدة الاستسلام .

يذكر العنوي بن عودة في مخطوطه عن آثار السقوط وشروط الصلح قائلا : (... وضيق عليها الى أن اخذها صلحا على سبعة وستين شرطا وقعت بينه وبين اهلها منها : ان يكون التأمين لجملة الناس وان يكون نساؤهم في أماكنهم وأن يقيموا شريعتهم كما كانت وان لا يتعرض لها تغيير ولا استيناء امر وان تبقى المساجد

---

(1) محمد بن عبد المنعم الجنان : تاريخ الاندلس ص- ٢٨٨

على حالها وأن تبقى الأوقاف على حالها وأن تكون الحرية لجميع المسلمين موحدة والا يدخل نصراني دار مسلم أن لا يتولى على المسلمين يهودي ولا نصراني ، وأن يطلقوا جميع أسارى غرناطة ، وأن من هرب من اسارى غيرها لها لا يعرد لمالك بل يأخذ ثمنه من عند السلطان وأن من أراد الانتقال لا يمنع وأن الذهاب يكون في مرة معينة في مراكب السلطان بلا كراء ومن جاوز الاجل فليلزمه الكراء مع تحضير ماله وأن لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وان من اسلم من النصارى لا يلزم بالرجوع لذلك الدين ، وان من تنصر من المسلمين يوقف حتى يظهر حاله ، وان لا عقاب على من قتل نصرانيا ايام الحرب وأن لا يؤخذ ما سلبه منهم في أيام العداوة ، وان لا يكلف المسلم بضيافة جند النصارى وأن ترفع على المسلمين جميع المظالم وان ترفع عنهم جميع المغارم وأن لا يطلع نصراني للسور وأن لا يتطلع على دور المسلمين وأن لا يتطلع على عوراتهم وأن لا يدخل لمساجدهم وأن يسير المسلم في بلاد النصارى آمنا من كل شيء وأن لا يجعل علامة كما يجعلها اليهود وأن لا يمنع المؤذن من الآذان وان لا يمنع المصلي من الصلاة . وأن لا يمنع الصائم من الصيام وأن لا يمنع الحاج من الحج وأن لا يمنع المسلمون من اقامة الشعائر وأن لا يتعرضوا لهم في النكاح وغيره وأن من فعل على المسلمين من النصارى يعاقب .»

الحازن بن عودة - طلوع سعد السعود . ص-١٤٩

المازري بن عوده: - طلوع سعد السعود - ص ١٤٩

ـ الاوضاع السياسية بأسبانيا :

كانت الاوضاع السياسية بأسبانيا قبل الهيمنة على الشواطئ الافريقية متفاقمة الخطورة ، تنذر بالانفجار ناجمة من الحروب الصليبية التي استنزفت قواها المادية والعسكرية ، والدائرة رحاها بينها وبين البرتغال على المسرح الشاسع من شبه الجزيرة الايبيرية .

وطمعا من ايزابيل في نشر العقيدة المسيحية على ضفاف الساحل المقابل . أوجست خيفة من الزحف الاسلامي الذي أقض مضاجعها وأفعمها هواجس وانشغالات ، فسارعت بكل قواها للاتصال بالبابا الكسندر السادس ALEXENDRE كوسيطة لقومها ، عارضة عليه فكرة الحد من التطاحن ، والاقتتال بين الجيران قصد التدخل في عملية الصلح بينها وبين البرتغال .

ذلك أن البرتغال سبق لها أن تحركت صوب أفريقيا، فاعترفت لها روما بالمغرب الاقصى كفتح برتغالي، الا أن الامر حز في نفس الملك المسيحي فارد ينوند FERDINAND مما أثار غضبه وضاعف من سخطه ، تجاه المشروع الذي سنته روما دون مراعاة حقه في الاستيلاء على أجزاء من المغرب ، وازاء هذا الوضع طالب بحق الحصول على قسم من المغرب الاوسط أو مملكة تلمسان نتم له ذلك ، غير أن الوضع السياسي بالمسرح الايبيري خطير وغير مستقر، ففي شهر دجنبر من سنة 1508 م نجد أنفسنا أمام اتفاقيات كامبري CAMBRI التي تجلى فيها الانتصار الكبير الذي أحرزته سياسة جيل الثاني ، وكذا الخطة الحربية المشوبة بالحذر للملك المسيحي فارد ينوند، كما نلاحظ أيضا في الطرف الآخر دخول الملك ماكسيميليان في حرب مع مدينة البندقية حيث تستنزف هذه الحرب وتمتص طاقات كل منهما، وتأتي بالتالي على قوتهما ، بينما يغير الملك الأسباني أنظاره على ساحة الحرب الايطالية ،

بعد سنتين من هذا أي في حدود عام 1511 م وبعد فترة استراحة يستغلها فارد ينوند لترجيه الحملة الى المرسى الكبير ووهران ، تعود القضية الايطالية من جديد وتفرض نفسها على مسرح الاحداث مما يضطر الاطراف المتنازعة للتوقيع على معاهدة أخرى والمسماة بمعاهدة القديسة ليق LIG بين الملك المسيحي فارد ينوند وجيل الثاني ومدينة البندقية .

تسوية للمشكلة وتلبية لنداء ايزابيل وارهاف السمع للضمير المسيحي بادر البابا بعقد اجتماع الصلح الشهير في سنة 1492م بين المعنيين ، ذلك الاجتماع المعروف بكورديلاس ـ Tordesillas والذي كان بموجبه تحديد المناطق التي يسمح فيها لكل طرف بالاشراف عليها والهيمنة . أما البابوية فقد وجهت اهتماماتها تجاه الزحف الاسباني صوب أفريقيا منذ

اللحظات الاولى على عكس ملوك أوربا الذين انشغلوا بالتعقيدات السياسية ، فحالت بينهم وبين التطلع أو النظر الى ماوراء الساحة الايطالية ،ولم يظهر عامل الاهتمام هذا بالحملات ضد مسلمى افريقيا الا فى غضون ق 16م أى ابان الاصلاح المسيحى حيث تمكن البابا من تقديم مساعدات للغزو الاسبانى بعد اصدار الاوامر من الكنيسة ا يطالية ، وهذا بالرغم من انتصار الزمنيين على الروحانيين (... وفيما بين 1493م حتى 1494م حصل الاسبان على استلا م ضريبة نفيسة سميت بالكريزادا 1 Brakdel " . فهذه الضريبة يدفعها كل مواطن خاضع لسلطة الملك الاسبانى فاردينو وقد أقرها البابا وأصبحت سارية المفعول شريطة أن تسحب بالتنفيذ مرة فى كل 5 سنوات .

وبما أن الاسبان تابعوا فلول المسلمين بعد أن نزحوا عنها ووطأت أقدامهم أراضى الساحل الغربى الافريقى . كانوا قد تعرفوا بما وصلت أيديهم من معلومات عن جزر البالير ونقاط الشواطىء الغربية بالاضافة الى الحقد والضغينة الكامنة فى نفس ايزابيل الشديدة التعصب . وحبا فى الانتقام خصص البابا للبرتغال شواطىء المحيط الأطلسى بينما ترك لها ولقومها الاعتناء بالغزو على الساحل الغربى من المتوسط .

الا أن هذا القرار البابا وى كان عديم الجدوى وغير حاسم للنزاع المستمر . وكى يكون سارى المفعول وايجابيا فى نفس الوقت عززه بقرار ثان فى سنة 1518م بعد الاحتلال الا... لوهران والمرسى الكبير يعلن فيه الحرب الصليبية ضد بلاد المغرب 2.

وضمن بنود هذا القرار وجود بند يسترعى الانتباه بحق ،سيكون العامل الرئيسى لتحقيق رغبة الاسبان فى الهيمنة الفعلية على النقاط الساحلية . اذ يبين مطالب الاسبان لدى البابا الذى يعلن ازاءه بل يطلب من ملوك أوربا عقد معاهدة لمدة 5 سنوات يتفرغ أثناءها الاسبان بما لديهم من أمكانات والقة لتتمة الاحتلال وبسط النفوذ على بلاد المغرب .

---

1)برودال تحت عنوان (الاسبان فى شمال افريقيا) عن نشرة المجلة الافريقية لعام 1928م ص 201 .

2) جون كازناف فى تحقيقه عن بيار نافارو عن نشرة المؤسسة الجغرافية لسنة 1925م ص140

" Jean Cazenave "Pierre Navorro conquérant de Velez - Oran - Bougie - Tripoli

الهجرات الاندلسية

منذ ان دب الوهن والتناحر في اوساط الدولة الاسلامية بالاندلس ، توافد سيل من المهاجرين على طول الشريط الساحلي للشمال الافريقي ، ابتداء من موانئ المغرب بالمحيط الاطلسي لغاية ميناء الاسكندرية ، فاثروا في الاهالي حضاريا (١) ، وامتزجوا بهم ، وطعموهم في مختلف المجالات الفنية والادبية بالصبغة الاندلسية .

ذاك مما ساهم في شدة الصراع مابين العالم المسيحي والعالم الاسلامي ، خصوصا بعد نقض معاهدة غرناطة (٢) من طرف اسبانيا ، فاستقروا بالشواطئ المغربية وفي قلوبهم حقد دفين ، دفعهم الى تنشيط حركة الجهاد في البحر ، والقيام بغارات متتالية على الشواطئ الاسبانية.

فكانت عطية افراغ اسبانيا في طاقتها الديمغرافية نظرا لهجرة الاسبان الى امريكا سلبيا نجم عنه تقلص الصناعة وقلة العمل بل ندرته احيانا ، مما سيضطر اسبانيا ان تعتمد في تلبية حاجاتها التموينية على الاستيراد في الخارج (٣) بينما سيعود على السواحل الافريقية بالخير العميم لما تمتصه وتستوعبه في اليد العاملة الماهرة ، والتي ستساهم لا محالة في تقوية عضد الجزائر صناعيا واقتصاديا وعسكريا . (٤)

---

(١) محمد عبد الله عنان - نهاية الاندلس - ص ٣٨٨

(٢) انظر شروط هذه المعاهدة في الفقرة الخاصة بسقوط غرناطة .

3) Alfonso El Sabio, - Primera Cronica General de España p٩٢(٣)

4) Henri Lèspes, - Oran. p 49

بعد نفس طويل من المقاومة المتواصلة ضد الاسبانيين تعلق المسلمون بمملكة غرناطة المدينة الأخيرة المتبقاة . فعاشوا في انطوائية وعزلة ، بعد ان كان المسرح الايبيري الشاسع لهم وفي حوزتهم . سيسترجعين شريط الذكريات الماضية المجيدة ، الا ان هذا البصيص من الامل وهذا الحلم المراود لا يلبث ان يندثر ويتحطم على صخرة الحقيقة والامر الواقع .

لم يتمكن المسلمون من الاحتفاظ بهذه المملكة التي ذاقت الامرين . وبدت تلفظ انفاسها الاخيرة بعد العديد من المناوشات والمجابهات بدون طائل . فسقطت في سنة ١٤٩٢م(١) اي ٨١٧هـ واسدل الستار على الفصل الاخير من المسرحية الطويلة للوجود الاسلامي على ارض الاندلس .

وتجاه هذا الوضع المتازم . لجات وفود وجماهير عارمة من المهاجرين الاندلسيين صوب العديد من النقط الساحلية الغربية . فارة من الاضطهاد المسيحي . عازمة الاحتفاظ بعقيدتها الاسلامية الراسخة ، واملها الوحيد في ذلك هو الالتحاق بركب اخوانهم الذين كانوا قد سبقوهم الى شمال افريقيا في هجرة اولى متقدمة اي في منتصف ق٥م اعني بهذا سنة ١٤٤٦م بعد واقعة مالاقة بست سنوات قبل سقوط غرناطة .

على متن ٦٠ قطعة بحرية . لا مست اقدامهم ارض الشاطئ

---

١) Prieto y Vives Antonio,- Formacion del reino de Granada (Madrid 1912) p 145

الوهراني . وعلى وجه التحديد قرب المقطع سنة ١٤٩٤ م وبخليج آرزيو ١ حيث يذكر بعض المؤرخين الاجانب ان القبائل كانت تقوم بعمليات وحشية ضد المسلمين النازحين . فتفقر بطونهم آملة ان تجد فيها المجوهرات، بالاضافة الى تجريدهم من كل ما يملكون .

وسار على هذا المنوال المؤرخ ابوراس الناصرى مستعرضا ما لاقاه المسلمون الاندلسيون بعد سقوط غرناطة على يد قبيلة هبرة بمينماء آرزيو من تعذيب وتقتيل مما دفع بقبيلة سويد الاسراع بنجدتهم والتحارب مع هبرة بين سبق والمحمدية وذلك للحد من بشطشهم ومنعهم من اللحاق بفلول المهاجرين الاندلسيين اذ يقول " ... حتى انهم كانوا يبقرون بطونهم لما يظنون من ابتلاع نحو جوهر ... "(٢).

---

١) المؤرخ برودال في كتابة (الاسبان وشمال افريقيا) الا اننا لم نجد هذه النازلة في المراجع العربية . واعتقد انه ليس تحيزا او تشويها . ففي حالة ما اذا كانت هذه الاحداث قد وقعت بالفعل لدونت من طرفهم، وكيف لا وقد وجد منهم الكثير من ابرز مساوى وعيوب العرب اوالقبائل كما نعثر على ذلك في المخطوط لكتابه المازرى (طلوع سعد السعود) .

٢) ابوراس الناصرى في كتابه عجائب الاسفار . ص ٨٥ .

فهـــذا القول فيه نوع من التزييف للحقائق ، والافـــراط فـــي المبالغة فسوء المعاملة يمكن تخيله او حتى قبوله ، نظرا لما كان يتمتع فه الاندلسيون من رفاهية ورغد في العيش، الا انـــه يستبعـــد العمل الشنيع الانف الذكر ، صدوره مـــن قبائل متحضرة وعلى علم باخوتهم لهم في الدين واللغة وقـــد اشار الى ذلك المورخ المقـــرى(1). ذاكرا انهم لا قووا علـى ايدى اخوانهم بالمغرب الاوسط سوء المعاملة والمعانات" ... خرجت الوف بالناس والوف اخرى بتلمسان من وهران ... وسلط عليهم الاعراب ومن لا يخشى الله في الطرقات ونهبوا اموالهم ..." الا انه لم يشر الى عملية بقر البطون والتقتيل او التشويه الجسدى ، بل كل ما هنالك انهم وجدوا نوعا من الراحة وحسن الاستقبال بتونس لا غير .

فلماذا اختارت الاغلبية هذه النقاط الشاطئية بالذات دون غيرها ؟ من الجدير بالذكر الذى لا مراء فيه ان العلاقة بينهم وبين سكان وهران ومملكة تلمسان لتجد معززة، دعمتها عوامل القربى والمصاهرة،ووحدتها اسباب اللغة والدين ، وأبرز من ذلك هو تلك العلاقات الاقتصادية والرحلات لتكوين المحطات التجارية والفنادق ، كلها علاقات كـــان من شانها ان تعزز اواصر المحبة والتعارف وتبادل المصالح والمنافع ،

---

1) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب) للعلامة احمد المقـــرى المغربي الجـــزء ٣ ص ١٦٦ .

فشرق البلاد وغربه خصوصا في هذه الفترة قد امتاز بعدم الاستقرار، نتيجة لضعف الامراء والحد من سلطاتهم، مما الب عليهم بعض القبائل تارة تسيير في مجراهم واخرى ضدهم مع التيار المعاكس، هناك فكرة مسبقة لدى الكثير من العلماء والائمة في النطاق الديني، تكمن في توقعهم الهجوم الاسباني بعد سقوط غرناطة على بلدان المغرب، وكان المهاجرون الاندلسيون قد اكدوا هذه الفكرة، بتحذير السكان من مغبة التقاعس والانتظار المكبل، فاطلعوهم على جرائم الاسبان ضد المسلمين هناك وعن نواياهم السيئة نحو البلاد الاسلامية.

فهل كانت الهجرة الى وهران مقتصرة على المسلمين فقط؟ لا قطعا بل استفادت كل من وهران وتلمسان بهجرة يهود الاسبان. حيث استقر التجار منهم بعائلاتهم بالمدينة. وتعاطوا مهنة التجارة وقد احتفظوا بوكونوا روابط مع ماجوركا وقرطبة وكامل شبه الجزيرة الايبيرية.

---

1) لما نزح مسلموا الاندلس من غرناطة آخر ملكة اسلامية بالاندلس وذلك سنة ١٤٩٢ م حذروا العرب بما عزم عليه الاسبان من غزو واحتلال الشواطئ الغربية من المتوسط فسارع العلماء والائمة والشعراء باذكاء الحمية في نفوس المسلمين. وتشجيعهم بالاستعداد الحثيث لمجابهة الخصم وقد برز من بينهم الاديب الشيخ محمد التواتي مخاطبا اهل وهران.

يا اهل وهران انظروا نظرة شفقة لبلدتكم من قبل ان تتردى
وقبل مجيء المنشآت بحرها وأي قلوب عندها مستقرتي

الى ان يقول: ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم —
ولا البدو بل تحميه اهل الجزيرة.

التوسع الاسباني في أوروبا :

نتيجة لما كانت تعاني منه اسبانيا بعد مغادرة مسلمي الأندلس ، من فاقة واحتياج كما رأينا ذلك سلفا ، والذى مهد السبيل بشكل كان الوازع الأساسي ، في دفع الاسبان للتحرك خارج اسبانيا ، جاء التفكير بمدّ التوسع داخل اوروبا وقد بدا هذا واضحا من خلال السياسة التي نهجتها في أوائل القرن السادس عشر ، في ضروف قاتمة السواد كانت تكتنف اجواءها ، تمثلت في الفاقة والجهل ، وهذا بعد أن استكملت وحدتها الترابية ، وفي عهد مميز الا رجاء الاوروبية أولا ، بعد خولها عصر النهضة الكبرى ، تأثرا بما تركه العرب من معالم حضارية في كل من صقلية والاندلس وثانيا اذا ما تطلعنا الى المسرح السياسي نجد هاته منقسمة على نفسها الى دويلات واماراة متناحرة (١) .

كانت السياسة الخارجية الاسبانية ، تتسم بطابع التردد بين تدعيم التوسع في أوروبا ، أو مواصلة الحروب خارج قارتها ، خاصة بالشمال الافريقي ، غير ان رجحان الكفة بالنسبة لفكار ديناند كان لصالح اوروبا ، سالكا نهجه فيما بعد شارل الخامس ، وريث عرش النمسا بسبورغ في النمسا وزعيم الامراطورية الرومانية المقدسة ، والذى قضى جل حياته في حرب ضد فرنسا (٢) .

---

(١) Zurita Geronimo, - los Anales de la Corona de Aragon - p.149

(٢) احمد توفيق المدني ، - كفاح الثلاثمائة سنة - ص ٤٥

ضمت اسبانيا اجزاء عديدة من الاراضي الاوروبية ، وبسطت نفوذها على ايطاليا وجنوبها ، وصقلية ونابولي (١) الا ان هذه الممتلكات الجديدة - وهي بعيدة عن حدودها - كانت تدفعها للبحث عن جسر يربطها بها الا وهي الاراضي الفرنسية التي تمثل بالفعل همزة وصل ما بينها وبين هذه الممتلكات .

غير ان هذا اثار شغف الفرنسيين فيّ محاولة للتوسع بدورهم هم كذلك وطموحهم الى اقتسام الاراضي الايطالية ، بينما كان ملكهم شارل الثاني يدعي استحقاق عرش نابولي ، الذى يرجع الى تركة ملكية وارث قديم فكان تجاه هذه النية التوسعية الاماض من اصطدام القوتين معا ، فنشبت من جراء ذلك - حرب الستين عاما - تارجحت ازاءها ايطاليا في الانضمام تارة ، الى اسبانيا واخرى الى فرنسا على حساب وحدتها الترابية ، وبالاضافة الى مطالبة فرنسا بملكية ميلانوكذلك لكن هذه المطالبة اغضبت ماكسيمليان دي ها بسبوزع امبراطور المانيا ، فدخل بدوره حلبة الصراع لردع التوسع ، بحجة تبعية . ملكية ميلانوله (٢)

وجه الملك شارل الخامس عنايته بامراطوريته الشاسعة التي تشمل اقاليم عديدة في شبه الجزيرة الايطالية ، وكانت انشغالاته منصبة على تأمين طرق المواصلات فيما بين هذه الاطراف المترامية والمتباعدة .

---

١) سميت جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا الرازحة تحكم الاسبان بـ (مملكة الصقليتين) كان الملك الاسباني اثناء ذلك في مدينة نابل ، حيث سلم له تاج هذه المملكة .

٢) Carlo de luna Jose, - Historia de Gibraltar - p. 130.

لم يلبث هذا الصراع الثنائي الاسباني الفرنسي طويلا ، ان انقلب الى حرب أوروبية شاملة ، انقسمت فيها الى جبهتين ، اولاهما ضمت كلا من اسبانيا ، المانيا ، سويسرا ، جمهورية البندقية ، واخيرا بريطانيا ، بينما الجبهة الثانية انعزلت فيها فرنسا بمفردها امام تلك الدول مجتمعة ، (١) كان مالها في النهاية في النهاية التقهقر والانهزام ، بادرت فرنسا بالتفكير في التحالف مع الجزائر ، على يد خير الدين لتدعيم علاقاتها مع الدولة العثمانية ، وربما يرجع ذلك الى العزلة المطلقة ، والحصار الأوروبي الذين عانت من جرائمها الويلات ، أوالى عهد اسر - فرانسوا الأول - لدى خصمه الأمبراطور عام ١٥٢٥ م لكن العامل الاكثر الحاحا هو انضمام اندري دوريا الى اسبانيا أولا ، وتحالف معظم الدويلات والامارات الايطالية مع خصومها ثانية ، ذاك مما أدى بالبابا بوليوس الثاني ولمجمل تلك العوامل ، بعقد حلف ما بين الاطراف المتناحرة سمي بـ (العصبة المقدسة) (٤)

---

١) Campan y Antonio, Memorias dobre la Marina - pedo . (١)
(٤) أحمد توفيق المدني - حرب الثلاثمائة سنة - ص ٤٧

التوسع الاسباني بالقارة الامريكية :

كانت الظروف الطبيعية والاقتصادية تشكل منذ الوهلة الاولى ، أحد العوامل الرئيسية للتوسع الاسباني بالعالم الجديد ، وهذا في خضم الاكتشافات البحرية الواسعة ، بحثا عن الثروة وتغطية للعجز الاقتصادي التي كانت تعاني منه مرارا وصفة حادة بعد مغادرة اليد العاملة الاندلسية الماهرة أراضي الاندلس ، سواء أكان ذلك في المجال الزراعي أم الصناعي (١) إضافة الى الافلاس المصرفي الذي حل بهم بعد طرد اليهود مباشرة ابان سقوط غرناطة ، وخصاصتهم الى المال الكثير رقصد تموين وتدعيم حملاتهم الموجهة صوب الساحل الافريقي ، ذلك أن اليد العاملة الاسبانية في تلك الحقبة لم تكد تكون موجودة تقريبا . فجهلها للأمور الزراعية ، وتحكم الرهبان في رقاب الشعب واستبداد النبلاء ، وانتظار ما سوف تدره عليهم حملاتهم من غنائم وموارد ، الذي اطرهم الى التخلص من تلك الطاقة الديمغرافية الهائلة ، عن طريق منفذين أساسيين : أولاهما فسح المجال لهم في مطاق الخدمة العسكرية على شكل احتراف ، وثانيهما السماح بتعاطيهم القرصنة وتسهيل مهمة ايفادهم الى أمريكا اللاتينية كغزاة .

وتبعا لاتفاقية طرد يزلاس - ١٤٤٤ - التي حددت مناطق النفوذ مابين الاسبان والبرتغال ، بدأن عملية تقسيم العالم الجديد في الظهور سنة ١٤٩٤ مرورا بالعديد من المراحل المتتالية الى القارة الامريكية ، حيث لم تتخذ طابعها الرسمي الا في ٣ أوت من عام ١٤٩٢م عند اكتشافها من قبل الرحالة الجينوي - كريستوف كولومبس .

---

(١) تجلت مختلفة الصناعات ساعتئذ كالتالي : صناعة الجلود في قرطبة ، البلور في بالنسية والزرابي .

لصالح وبأمر من الملك المسيحي فاردیناند صدفة، بعد ما كان يظن أن أقدامه وطأت أراضي الهند الشرقية.

فما هي الدوافع يا ترى لاستعمار أمريكا اللاّتينية؟

ان الهدف من وراء كل ذلك يتجلى بوضوح في عاملين هامين: أولا، الكسب السريع وأمل الحصول على مزيد من الغنائم بعد احتلال الاراضي ومصادرتها، والعناية القصوى في احتكار التجارة، ثانيا. سياسة التبشير المسيحي.

ففي المكسيك وجدت حضارات راقية بلغت أوجها في التقدم لكل من الشعبين: الازتيك، والكيشواش، من معرفة دقيقة لصناعة المعادن كالنحاس والذهب. والالمام بأمور الرّي وانشاء السدود اضافة الى حياكة الانسجة القطنية، وهذا قبل وصول - هارنان كورتيس - الى المكسيك في ١٥١٩ بقرون خلت، ثم بعد انتظاره على آخر امبراطور أزتيكي - كوار هيتموك (Cuahtmo) فتحكموا في الرقاب وسلطوا حقدهم استبدادهم بالأهالي الأصليين طيلة فترة الاحتلال، حيث لم يتمكن الهنود التخلص من العبودية في شكلها الوحشي في فترات القرون الثلاثة نظرا لاطلاع الاسبان الأقحاح أي المولودين باسبانيا بكامل السلطات الادارية والسياسية والاقتصاد وحتى الدينية.

أصبح المكسيكيون يعيشون في تجمعات قروية من بلديات مكلفة بادارة الاراضي الغير قابلة للتملك، تحت سلطة القائد التقليدي الذي يجبرهم على انتخابه بالقرة. وحتى يتمكن المكسيكي عيشه عليه أن يجد عملا فيتحول بذلك الى مزارع مستخدم في ملكية كبيرة سميت بالها سيندا - Hacienda - سواء أكانت قريبة من القرية التي يقطنها أم بعيدة عنها.

وفي حالة تعذره العثور على عمل وعدم امانته من طرف الهاسيندا.

---

(١) Henrique Imis : _ les Colonies d'Amerique - p 58

تسلم له هذه الأخيرة قطعة أرض يشيد عليها مسكنه العائلي ،وتجبره على تعهدها بالزراعة بينما يمثل الجزء الاكبر من راتبه الاجر المدفوع له عينا ، وقلما يحصل على الجزء الباقي نظرا للديون المتراكمة من جراء تموينه من الدكان الموجود داخل الهاسيندا والذى أنشئ خصيصا لهذا الغرض وصرف أجرته اليسيرة قبل الحصول عليها ،وهكذا يظل مشدودا الى الارض بفضل الاستدانة الدائمة. وكثيرا ما كان الابناء والحفدة يتوارثون ديون آبائهم ،لعدم الاكتفاء أو اللحاق بتسديدها .

يتذكر بعض المؤرخين (١) أن الاسبان جلبوا الى العالم حضارة حديثة أكثر خصوبة وتقدما ماديا بما أحدثوه من تطور هائل في المجالين الزراعي والصناعي ،الا أن الاحداث الاقتصادية والسياسية ادخل اسبانيا لا تعكس هذه الصورة بجلاء ،ذلك أن الاسبان أنفسهم كانوا في طائفة وطالة بعد طرد المسلمين . فأثقلت الاراضي الخصبة وركدت الصناعة ، (فالاندلسيون عمال مهرة في الرى نشيطين في الزراعة) (٢) ولا يمكن مقارنتهم بالاسبان البتة بالنسبة للخبرة والجهد المبذول المتواصل .

يعلق أحد الرهبان من الجيزويت أثناء مروره بمنطقة قريبة من غرناطة قائلا : ((على الرغم من توزيع ثلاثة أو أربعة أملاك من الموريسك على اسباني واحد ،الا أن المعمرين الجدد يكادون يموتون جوعا.))(٣)

وفي الميدان الصناعي نجد أنه في ذلك حتى أن الوضع الفلاحي، أصيبت اسبانيا بتدهور ملحوظ في مختلف الصناعات المتعددة كالحدادة مثلا ،هذا ومن خلال العرض السالف يمكن القول أن الاندلسيين المهاجرين أو المطرودين الى أمريكا هم الذين نقلوا معهم تلك الخبرات والفنيات ، كما حدث بالشمال الافريقي . ناهيكم عن المجال المعماري أيضا والذى تظهر ملامحه بارزة هذا من جهة ،مع العلم أن المكسيكيين من جهة أخرى كانوا أنفسهم أصحاب حضارة ومدينة ونظم اجتماعية محكمة .

---

(١) علي الجازم ،العرب في اسبانيا ص ١١٣.
(٢) أحمد بدر ،تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٢٠.
(٣) أحمد بدر ،تاريخ المغرب والاندلس ص ٣٢٠

ولاصباغ فهم المحتلين المتزايد ، اتطروا الى جلب اليد العاملة الزنجية في الساحل الافريقي تعويضا لليد العاملة المحلية . فبدأ بذلك عهد جديد فتح الابواب عن مصراعيها لتجارة الرقيق . واستعباد الزنوج لا فرق بين رجل أو امرأة أو طفل فكلهم على حد سواء يزج بهم في الأعمال الشاقة ، وقد كان الاستيطان الاسباني منذ الفترات الاولى مركزا على المدن الآهلة ذات الكثافة السكانية المحلية .

بينما كان الاقتصاد خاضعا للوطن الام . والتجارة الدولية في اسبانيا ثقل كواهل المزارعين بالضرائب ، وتمانع في بحث أو خلق أية صناعة تنافس الصناعة الاسبانية ((حتى الاييريون كانوا يبحثون عن واحات ذات المناخ الملائم خاصة الاحواض العالية أو الهضاب الاندينزية والمكسيكية والساحل الشيلي ...)) (١) وهذا بعد اصابة الاسبانيا بنكسة اقتصادية خطيرة تأثرت بها داخليا وخارجيا ، ،وأثرت في نفس الوقت حتى على الساحة العالمية ،بحجة أن الطرد كما يراه - بييورثموني - ((كان ضربة قوية لحركة التجارة الاطلسية ..)) (٢)

ومما زاد النظام تعقيدا هو العامل الجغرافي المتمثل في تباعد المسافة مابين المستعمرات والوطن الاصل ، فكان سببا في التحجر الاقتصادي من ربوع قد أفرغت من مواردها المنجمية والزراعية .

أما في المجال العقائدي أي التبشير كانت الكنيسة قارة نفسها بكل قوة وضغط ، حيث اتطر المكسيكي أن يصبح مسيحيا بالضرورة فنجد الانشار الكنائس والاديرة التي يفوق تعدادها ((الاربعة آلاف كنيسة في المكسيك)) (٣)

نفس ماحدث للمكسيك ألم بشعب الانكاس شعب البيرو أيضا . فقد كانوا ذوو مدنية رائعة برزت بوضوح في مجال شبكة الطرق البرية المعبدة ، اضافة الى اعتنائهم بالارض وتقدمهم في الميدان الزراعي . اذ الارض كانت ملكا شاعا

---

(١) Beau Jen - Granier. J.; - L'Economie de l'Amerique Latine - p 17

(٢) أحمد بدر ت م أ ص ٣٢١

.3. Hubert Marc: - le Mexique - Collection que sais-je ? p. 126

بينهم على الاطلاق لا يكفي موردها ويفي بحاجيات الاسرة أو القبيلة.
ولا يجوز بيعها أو التصرف فيها حسب الأهواء أو الاغراض الشخصية.

وخلاصة القول أن التوسع الاسباني بأمريكا كان يهدف بالدرجة الاولى الى استنزاف خيرات البلاد لسد ثغرات الاحتياج الزراعي والصناعي بعد فقدان اليد العاملة المؤهلة، والتي لم يكن في استطاعتهم تعويضها من طرف الاسبان أنفسهم على الاطلاق، إضافة الى محاولة التحكم في مصادر التجارة الدولية خاصة ابتداء من الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط لغاية المحيط الاطلسي غربا، والعمل على التخفيف من حدة الطاقة الديمغرافية العاطلة والهائلة بايجاد أراضي لها في المستعمرات الجديدة. أو ارسالها الى سواحل الشمال الافريقي كعنصر محترف في اطار الخدمة العسكرية. ناهيك عن الحوافز الروحية في اطار سياسة التبشير المسيحي لتصيرها الى المستعمرات.

Hanser H: - la prépondérance Espagnoles - p 134

Bertrand Luis:- Histoire d'Espagne - p. 37

القرصنة

شهدت الفترات الاولى من مراحل الحروب الصليبية. انتعاشا للمغامرات في بحرفي البحر الابيض المتوسط . حيث استمر القراصنة النصارى عصورا طويلة يتعاطونها . فكانت الغنائم والاسلاب الكبرى . المتمثلة في الاتجار بالرقيق تدفعهم بحزم . وتؤمن لهم وجود فئات من مختلف الاجناس . وعبر العديد من البلدان . ومن امم متباينة اجتماعيا واقتصاديا . مثل مالطه وجنوه . وأهل سارد ينيا .

وفي مطلع القرن الخامس عشر للميلاد . وأثناء بروز الاساطيل المتطورة صنعا والحديثة تجهيزا وعتادا . تغيرت معطيات الاحداث التجارية . فتحول البحارة من مغامرين سالكين منهج السطو والنهب . الى قراصنة محترفين مبتدئين منذ حداثة عهدهم بالعطيات الصغيرة في ميدان القرصنة . مكتفين بذلك ارضاء لمصالحهم الشخصية .

ظهر ذلك بجلاء ايام ان كانت البحرية العثمانية في اشد قوتها . وعظمة بأسها بعد سقوط القسطنطينية سنة 1453م . اذ تمكنت من السيطرة المطلقة على الحوض الشرقي من المتوسط . فنمت وازهرت اذ كان التجار اليهود والاندلسيون يفضلون المشاركة في تسايح مراكب الرياس والقيام بالسمسرة في " الغائم "[1] لكن بعد سقوط غرناطة 1492م وتوافد النازحين الى الثغور المغربية فرارا لما عانوه من الاضطهاد ومختلف اشكال التعسف . طالبين النجدة والامن تولدت عن ذلك حركة دائبة ما بين الاندلس والشواطئ المغربية .

كانت القرصنة . قبل اتحاد البحر كشبكة رئيسية لتداول عمليات التصدير والاستيراد في مجال التجارة الخارجية . تشكل مكسبا هاما للحصول على المزيد من

---

1) نوشي بوفيان الاكوست : ترجمة : اسطنبولي رابح . ومنصف عاشور الجزائر بين الماضي والحاضر .

من الغنائم . لا من قبل التجار الاندلسيين فحسب . بل وحتى العثمانيين على السواء مدلول القرصنة يختلف باختلاف مفاهيم . وتيارات الدول السياسية هي نوع من الحروب البحرية . مابين الدول المتعادية[1] متخذة احدى سمات الحركة التجارية اثناء الحروب . ومعتمدة في ذلك على التفوق في مجال العتاد الحربي . مقنّعةبنظم وتقاليد . وشتان مابينها وبين حركة السلب والنهب Piratie من قوارق .

تبدو بوادر القرصنة في اوقات جد محدودة اي تقتصر اساسا على حقب الحروب فقط . وبترخيص من بعض الدول الاسبانية القادمة من امريكا وهي مجلة بالذهب تشترعي تطلعات الهولانديين والفرنسيين . والانجليز فتستهويهم تلك الثروات.

ففي الاندلس كان مركزها الرئيسي بميناء ألمرية . وهو اول مرافئ البلاد الاسلامية في الاندلس[2] ! تنطلق منه قصد الهيمنة على الحوض الغربي من المتوسط والمحيط لمواجهة البرتغال والاسبان ردعا للحروب الصليبية. وهذا ضمن قوّة بحرية منظمة . قادرة على حماية تجارتها وسواحلها الشاسعة التي وهبتها وإياها الطبيعة . ممتدة من المرية نفسها شرقا الى جبل طارق والجزيرة الخضراء جنوبا . وقد لا يفوتنا في بهذا الصدد من التعرف على ابرز ابناء هذه البلاد البحرية امثال بني الزنداجي وأبو الحسن علي الزنداجي الذي توفي قيادة اسطول ألمرية اثناء [illegible] اهمتها مصها من طرف خايمي الثاني عام 1309م فدافع عنها عيسالة كما نذكر عبد الله محمد بن سلبطور الهاشمي والقائد الوزير ابي الحسن بن كماشة هذا وأمثالهم كثيرون .

1) احمد توفيق المدني - حرب الثلاثمائة بين الجزائر واسبانيا .
2) احمد مختار العبادي - عبد العزيز سلام : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب الاندلس ص: ط: دار النهضة - بيروت

أما شرقا . ونتيجة للمجابهة الدائمة مع الدول الاروبية . أحرزت الدولة العثمانية على أهوال طائلة . وثروات لا تكاد تحصى وتقدر بثمن . وكانت مجمل عطياتها موجهة الى السفن المعادية لها فقط . وقد اتسمت رغبة الكسب والغنائم بالنسبة للقراصنة المسلمين بطابع عاطفة الجهاد . (1)

وعلى غرار ذلك . قامت السفن البرتغالية الاسبانية بالعديد من حملات القرصنة . يوم ان ضعف شأن المسلمين بالاندلس وأبعد واعن ديارهم فكان القراصنة القراصنة يُلاحقونهم، ويتحيّنون الفرص للقبض عليهم . قصد الاستيلاء على اموالهم ومصادرة ثرواتهم . والعودة بهم من جديد الى اسبانيا كسبايا

لقد استفاد قم من ساحل الشمال الافريقي . من خبرات النازحين الاندلسيين . في مجال الملاحة البحرية . فأنشأت سفنا ضيقت بواسطتها الخناق على جل الموانئ البرتغالية والاسبانية . بل وهددتها في عقر ديارها حيث قامت بإحراق كل السفن الراسية بميناء مالاقة (3) وأسْرِها ما يقرب من ستين شخصا بشاطئ مجاور لمدينة قرطاجنة عام 1500) اضافة الى اقتحام ميناءي - الشي - وأليكانت - والتوغل داخل أحيائهما . اذ (4) كان حكام الثغور المغربية من تونس الى وهران . يشجعون هذه الغارات . ويسمحون للمجاهدين بالرسوم والتموين في ثغورهم . نظير تقديم العشر من الغنائم والاسرى)

كانت غاراتهم على الشواطئ الاسبانية تتكرر وتتجدد بلا انقطاع انطلاقا من القواعد المنتشرة عبر الشريط الساحلي للشمال الافريقي .

1) أحمد بدر . تاريخ المغرب والاندلس ص 322 ط. دمشق

2) فايي هـ.ل - تاريخ وهران قبل اثنا وبعد الاحتلال الاسباني - ص52 ط. بيرين وهران 1818

3) ليسباس . روني - وهران دراسة جغرافية وتاريخية ص 62

4) مجاهد سعود . تاريخ الجزائر جزء 1 ص 76

ومن الأهمية بمكان ان نتوقف قليلا . عند هذ الفترة من تـــــاريخ عطيات القرصنة بالحوض الغربي من المتوسط. ونُركز على النشاط البحـــري ان صح التعبير وخاصة لكل من ميناءي وهران والمرسى الكبيـــــــــر الذين عرفا نشاطا حثيثا ومتزايدا . أفْعَمَ المنطقة خيرات اقتصاديـــــة هامة . وحركـــــــة دائبة.

فمكانة وهران التجارية . بالرغم من اعتبارها طحقة للمرسى الكبيـــــر تجلت في الفوائد الجمّة والمادية لشعوب المنطقة الساحلية ـ حيث كـانت معرضة في كل لحظة ودوما بتهديد في قبل المراكب البرتغالية . وحتـــى الاسبانية . فكان هذا التصدي لتجارتها يداهمها بعنف ويحد مـــن سبط نفوذها في كل آونة . مما جعل اقتصادها التصديري او الاستيـــرادي يتقوقـــــــــع داخل نطاق ضيق .

وليس ثمة من شك . من اعتبارها طحا آمنا . للاستراحة والتموينـــن او اصلاح ما يصيب السفن من عطب اثناء القرصنة . وكذا اتخاذها كمحطـــة تخزين للمـــواد او سجن وسوق للرقيق المحصل عليه اثناء الغارات الحربية وتذكر المصادر المختلفة ان الكاردينال خيمينيس ـ عثر بالفعل داخـــل ملجإ الثغر الجديد اي البرج الأحمر على ما يفوق ثلاثمائة اسير مسيحي

ولنعد قليلا الى الوراء لمتابعة هذه الاحداث ذلك انه في حدود عام 1504م. وكرد فعل ايجابي تجاه ما أصاب مسلمي الاندلس من مأســـى وهجرات متتاليـــــة .

---

1) يدعم هذا الرأي كل من برودال brandel الاسبانيون بالجزائر وكامي . كازناف وليون هنري . بتأكيدهم على وجود هـــذا العدد من الرقيق اثناء اقتحام الاسبان البوابة البحريـــــة والدخول الـــــى البرج الأحمر .

صوب المغرب . استطاع اسطول يحى رايس في خلال ثلاث أو أربع سنوات من القاء القبض وحجز العديد من المراكب الاسبانية. مع اختطاف ما يقرب من اربعة آلاف مسيحي من مطكة غرناطة وحدها . (1)

وبينما الأمور اخذة خطها المتوازن والطبيعي في تلك الفترة على مختلف الجبهات الداخلية والخارجية . سادت الشواطىء الاسبانية موجة من التوتر البحرية وعلى محور جد طويل ابتداء من جربة شرقا . حتى المحيط الاطلسي غربا مما دفعهم الى تسلل الاسطول . قصد ملاحقة ومتابعة السفن المسيحية العابرة من والى الحوض الغربي من المتوسط. اذ مثل السباق البحري هذا بالنسبة لموانىء المغرب المورد الكبير .

واذا ما تطلعنا الى قائمة المراكز التي احتلها الاسبان . فنجدها تتمثل عموما في النقط الشاطئية وعلى طول ساحل الشمال الافريقي . الا ان ذلك لم يكن اصلا هو العامل الوحيد والرئيسي الذي دفع الاسبان بالاسراع الى تقوية الحركة والنشاط لقرصنتهم. ولا عامل الجدار الواقي للحد من زحف وتغلغل الاسلام عبر شبه الجزيرة الايبيرية من جديد . بل هو على النقيض من ذلك . اذ نجد الاساطيل العثمانية واقفة بالمرصاد وهي محاصرة النقط الساحلية حتى بعد فترة الاحتلال .

فلمس ذلك بجلاء . من تخوف وقلق . في مراسلات حكام وهران مع السلطة الاسبانية . عن متابعة سفنهم ومراقبتها . ثم الاستيلاء على معظمها .

---

1) برودال . الاسبان وشمال افريقيا . نشرته المجلة الافريقية 1928م. ص207

بل مارس الاسطول الجزائري . وحتى أثناء الهيمنة الاسبانيـــــة محاصرته للشواطئ الوهرانية والابيرية مضيقا الخناق على الوجـود الاسبانـي ومحاولا قطع التموين عنه بحرا . إذْ نجد الكونت الكودات في احدى مراسلاته مع للمملكة الاسبانية يذكر وانه [1] (مرت هذه السنة - اي عام 1535م - سفينتـــان تركيتان بمحاذات الشاطئ ، ويقصد شاطئ وهران ، وذلك بقصد ترصد سفننا المحملة بالبريد في الغدو والرواح . وبارادة الله . استطاعت مراكبنا القيـــام بأربع أوخمس رحلات دون ان تتعرض للحجز من طرف العدو بي 2)

وعلى الرغم من هذا الحرص . والمراقبة الدائمة . لشبكة الخطوط البحريـة في انتظام سلامتها . وخلوها من المراكب التركية . لتسهيل حرية التنقـــل وضمان الابحار من وهران باتجاه اسبانيا إلاّ وتقع هذه السفن في الحجـــز وعن هذا ايَعْتَرِدُ الكودات قائلا : [3] (المركب الأخير وقـع في الأسـر واحْتُجِـز نظرا لتوقفه بقرطاجنة لمدة ثمانية ايام . على نقيض ما أُصْدِرَ إليه من أوامـــر)

اما بالنسبة للمرسى الكبير . وبما أنّها ذات علاقة استراتيجية جد وطيدة مع وهران . كانت عبارة عن مركز للنشاط البحري . ووكرا للقرصنة حتى أن هـــذه الظاهرة أثارت شعور سكان المنطقة . وأذكت حماسهم فاضطرتهم لحراســـة الشواطئ ليل نهار ودون كلل .

---

1) المجلة الافريقيـــــة 1228م ص 28

2) ديدبي - تاريـــــخ وهران - ص 37

3) هـ.ل فاي - تاريـــــخ وهران - ص 48

فمحاصرة الشواطىء الاسبانية وغالبية سواحل اوروبا من من طرف الاسطول التركي للمراكب الاجنبية المحملة بالمواد لم يكن في اطار السرقة كما يزعم البعض وحسب مفهومهم لمدلول كلمة القرصنة - بل كان بدافع الحماية وحبا في الغنى واثراء المدينة . ازاء هذا الموقف صمم الاسبان على الاحتلال الموانى الافريقية اواي خليج صالح للرسو . كحد نهائي للقضاء على المطاردة والقرصنة .

وصفوة القول ،ان سبب استقطاب البحارة المغامرين الذين ترعرعوا في حضيرة اسطول الدولة العثمانية ، هو تدخلها في صراع الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط، يوم ان بلغ الذروة ؛ واتسم بطابع الصراع بين الاسلام والمسيحية ، فراحوا يكونون اساطيل صغيرة قصد الحصول على الغنائم لحسابهم الخاص ،ومستغلينها كذلك في الدفاع عن العقيدة ، ومحاربة اساطيل الاعداء جاء معظمهم من مختلف الاصقاع البلقانية ، فنمت لديهم خبرة الملاحة البحرية على يد الاسطول العثماني وهذا عكس ما يورده المورخون الاجانب ان السبب في قوة وعظمة الاسطول العثماني يرجع اساسا الى هذا المزيج من المغامرين من أجناس عدة ، ومن طعموا الاسطول بخبراتهم وتجاربهم وهم من اصل أوربي محض اي من اسبان وابطاليين وبونان .

موقع وهران وعوامل تأسيسها •

الموقع:

وهران اسم بارز منذ أقدم العصور ، اذ خولت لها الطبيعة التي صنعت منها ، بابا لأرض ذات خليج آمن ، أن تتبوأ الدرجة المثلى في النمو الاقتصادي وازدهاره • ذلك الخليج الذي يساعد على التحكم في مراقبة جبل طارق وضيقه • وكذا حماية الشواطئ الغربية •

ضمن الجيوب التمنائرة على طول الشريط الساحلي من المتوسط • يبرز القسم الثاني المطل على المحيط الاطلسي ، حيث يكون الحوض الغربي • الذي يعتبر كحد شبه فاصل بين البحر الابيض المتوسط ، والمحيط الاطلسي • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى • تلاحظ الشطوط وهي قلما تكون متوازية ، اذ لا تقترب من الشواطئ الافريقية الا بنحو (95 ميلا فقط •

أما من الجهة الشمالية • تبرز وهران وسط الخليج الواسع الملقب بها • والذي يبتدئ من كانستال وينتهي بالمرسى الكبير كملجأ في غاية الصون والحماية من الرياح والعواصف • على خط العرض الشمالي 43 ، 30 وعلى خط الزوال 59 ، 2 درجة ، والبالغ عرضه حوالي 21 كيلومترا •

تقع وهران اذا ما بين مصيف مرجاجو عند أقدام جبال الظهرة وهي " ••• مدينة على فج الرحى •••• ويتصاعد البناء فوق التلال المحيطة بالفج ••• " 1 • نحو جهة شرقية منبسطة • تتخللها بعض الربوات والهضاب الممتدة نحو طرق الجنوب الرئيسية • طرق تحمل بين طياتها العديد من الاودية ، كالمينا • وحبرة ، وسيق ، ومكيرة ، وتليلات • وهضاب وسهول تتخللها الكثير من المستنقعات والسبخات • اذ نجد سهل وهران هذا عبارة عن ساحة تدفق هذه المياه الوفيرة النازلة من الجبل • والبعد حثة عن مسلك أو منفذ صوب البحر • وهذا بعد أن تتقاسمها طرق عمليات الري •• ثم المستنقعات •

" ••• هذا البلد واقع في بطن وادي آت من الجنوب الى الشمال ••• " 2 • تكتنفه سهول

---

1) أحمد توفيق المدني •: (حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا) ص 114 • الجزائر 1976 م ط 2 •

2) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (الدر الجاني في ابتسام الثغر الوهراني) تحقيق المهدي البوعبدلي ص 41 مطبعة البعث قسنطينة 1973 م •

الفصل الثاني

وهران ، في مخطط الاحتلال :

موقع وهران وعوامل تاسيسها :

-١- الموقع

-٢- عوامل التاسيس : -١- العامل الجغرافي والاقتصادى ،ب - العامل السياسي

-٣- التخطيط لوهران كمدينة

-٤- التسميات التاريخية لوهران :

-١- التسمية القديمة ب - التسمية البربرية ب التسمية الاروبية

-٥- استراتيجية وهران البرية والبحرية

-٦- السكان .

-٧- الاوضاع السياسية للمغرب عامة

-٨- الهجمات المتعاقبة على سواحل المغرب

-٩- المراكز الساحلية المخططة في برنامج الاحتلال ،

وعمليات التجسس .

ممتدة من الجنوب بالغربي حتى الشمال الغربي على مساحة تقدر بمسافة وعشرين ١٢٠ كلم، ويضيف الى ذلك مسلم بن عبد القادر" ... يقع النصف الاكبر منها - وهران - في سهل والآخر في ربوة ..." (١).

ويتحدث الادريسي عن وهران واصفا: "وهران على مقربة من ضفة البحر الملح، وعليها سور تراب متقن، وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجرات نافعة، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الاندلس وسعة البحر بينهما مجرى يوم، وفي اكثر مسيرة ساحل جزيرة الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا."(٢)

بهذا يعطي لنا الادريسي لمحة تاريخية اجتماعية واقتصادية عن وضعية المدينة ذاكرا باسهاب وهران مدينة كبيرة تضم حوالي ٦٠٠٠ منزل يتخللها الاغارقة على ساحل البحر الابيض المتوسط، انها في احسن تموين من قبل المحلات، وبكل ما هو ضروري لاقامة مدينة، كالمدارس والمستشفيات

---

(١) مسلم بن عبد القادر (انيس الغريب والمسافر) تحقيق وتقديم رابح بونار ص ١٠ الجزائر ١٩٧٤ م

(٢) الادريسي - نزهة المشتاق - ص ٢٢

والحمامات العامة ، والفنادق ، محطة بالسوارعالية وجميلة ، فالسواد الاعظم من السكان هم حرفيون ونساجون ، مع العديد من الوا طنهن الذين يعيشون من مداخيلهم بالرغم من قلتها ، ويبدو انهم قادرون على التعامل دون تعاطيهم بعض الفنون ، فقلنا عنهم تتمثل في عجز الشعير ، ومهما يكن فهم انسانيون مرحون لبقون مع الاجانب. (٣)

وبالرغم من ذلك فانه يتحدث عن المصار الاقتصادي يكون مدينة وهران عرفت العديد من الرحالة واستقبال الكثير من التجار" فهذه المدينة كان التجار الكاتالانون والجنويون على اتصال دائم بها ،لانهم كانوا يرغبون دوما في النزول بها. (٤)

---

(٣)

(٤)

لعله من اعجوبات البناء التي ذكرها في كتابه حسن المحاضرة. ولو
رآها الغزالي صاحب الرحلة لما اعتنا بوصف سبتة ومليلة.
ولو اخبر بها صاحب كتاب الباب الواصف لخامة البلدان لما
قال الدمار لها ايوان وبغداد. ولو رآها الغزالي مسجدها الجامع الاعظم
وما اشتمل عليه من السعة والاساطين وانقانه في الهواء بالبناء الاجر
والتراويح المرونقة والاحكامات الصفقة. وخاصة الراجعة
بالماء. وصومعته التي علت لجو السماء. تروم منه النزول لها بالبقعة
لما وصف الجامع الاعظم الذي بمدينة مليلة. واجتمعت العجائب
بالبرج الاحمر. فانه يقوم عصر من الاحمر. ولو رآه المسعودي
سليمان بن سابق. لقال الايخار على مثله لاحق واسابق. وزادت
له الانتباه والرونقة. فلله ان صيرت البرج مشرفة. ولو
رآه ابو يوسف يعقوب مورخ البرج بهجة البهجة. لما وصف فاتح
امصار التي هي ملك بني يعمور. وابن مرجاح المنتزه وبهاج المرسى
وبهاج الحارات والاصابحة ومرسية والمرسى والجمنة والمرستانات
والمدرسة. وبهجة اسرار العين والخندق. وابوابها التسعة المعترفة
بحسب النواحي والبلدان والقرى والضواحي. ولو وصف لك مطابقها
على اتقانها. ومالمت اراضيها من الابنية العظام. لقلت يجتمعه سور رحيب
المعتنى ببناء الاهرام. والمعزز بالاشتهار وامصار فصر الجم والبديع والابهار.

وصف لمدينة وهران بأحيائها ومرساها
وأبوابها وبروجها، للعلامة: بن عودة المازري
مخطوط «ملحوق سعد السعود» ص ٩

عوامل التأســـــيس :أ)العامل الجغرافي والاقتصادي .

لم تكن وهران – المدينة – وليدة حقبة زمنية معينة ضمن الاطار التاريخي العام ، أي منذ الازمنة الغابرة حتى الظروف الراهنة ، ولم تكن قط مقرا استقراريا خاصا لشعب واحد منـــذ فجر التاريخ حتى الساعة الراهنة ينفرد به عن غيره من تلك الشعوب التي تمركزت به حينا من الدهر، بل هي على النقيض من ذلك . اذ شاهدت المسيرة التاريخية الطويلة أنماطا بشرية سكنت كهوفها فيما قبل التاريخ ، ضمن دائرة العصور الحجرية وخلف آثارا حضارية من أدوات وأسلحة حجريـة وحتى بعض المخلفات من البقايا البشرية والحيوانية المتحجرة .

كل هذا جاء نتيجة لما تمتاز به المنطقة من خاصيات طبيعية ، تمثلت في الغاب والجبـــل بالاضافة الى العنصر المائي والموارد الغذائي العشبي والحيواني مما سيؤدي بالانسان حتما للسكن والاستقرار فالكهوف المتناثرة بجبلها كآثار حقل الرماية وكهوف اكميل وما يشابههما لخير دليل على ذلك 2 .

وبالتدرج التاريخي يطالعنا الاستقرار المتواصل للبربر الى جانب كل من القرطاجيين والرومان الذين اعتادوا على تشييد مستعمراتهم على الاراضي الزراعية وبالرغم من عدم وجود آثار وبقايا للقرطاجيين فمن المحتمل جدا أن يكون تشييد الرومان على أنقاض المنشآت القرطاجية نفسها ثم للعرب والاسبان والاتراك والفرنسيين .

كان للعاملين الجغرافي والاقتصادي دورهما الايجابي وأثرهما الفعال في انجاز عملية التأسيس حيث تتميز وهران بموقع ميناءها المتوسط للخليـــــج .

---

1) مسلم بن عبد القادر (أنيس الغريب والمسافر) تحقيق وتقديم رابح بونار ص 10 الجزائر 1974م

2) قام مدير متحف وهران دومارق DOMERGH في السنوات الفارطة بأبحاث وتنقيبات هامة بوهران وضواحيها في هذا المجال وهي عبارة عن منشورات تحتفظ بها مكتبة المتحف البلدي لوهران .

وهي في مأمن تام • من الرياح الشمالية التي تهب على الشواطئ الغربية ، والتي تعوق رسو المراكب المبحرة أو القادمة اليها وكذا اعتدال طقسها وخلو شاطئها من الأجراف ، والصخور التي نشاهدها في بعض الموانئ الأخرى •

وفي ذلك يذكر بن حوقل نقلا عن كتاب (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحمية) البربر — سوى مرسى موسى — فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن وعليها سور ••••1•

قد كان أمن الميناء هذا سببا في تقوية العامل التجاري وازدهاره عن طريق عمليات التصدير والاستيراد مما أفسح المجال له كي يتبوأ قمة الاقتصاد بالناحية الغربية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى احتواء المدينة على عيون وواد غزير المياه ترتكز عليه في الري وبالدرجة الأولى ، بساتين رأس العين الغنية بالخضر والفواكه بالاضافة الى اتصالها بسهول شاسعة خصبة تكفل لها المورد التموينى بصفة وفيرة ويدعم هذا الرأي المازري وما سواه حين يستطرد قائلا : "••• اعلم أن وهران هي مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي عظيمة ذات مساحة وفخامة جسيمة وبساتين ، وأشجار ، ومياه عذبة ، وأطيار ، وحبوب عديدة ، وفواكه ، وخضر جديدة ، ••••2 •

ب) العامل السياسي :

كانت وهران أثناء العهد الاسلامي قرية بربرية صغيرة تقطنها قبائل مغراوة الموالية لبني أمية مما أدى بأتباعهم المستقرين بالاندلس لاتخاذهم كحليف وعضد قوي ، تستعين به ضد أمراء الشيعة بافريقية والأدارسة بالمغرب الاقصى •

---

1) كتاب (صورة الارض) الطبعة 2 ليدن مطبعة بريل 1938 م

2) المازري بن عودة (مطلع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الاسود) مخطوط خاص ص 8 مكتبة المتحف البلدي لوهران رقم

ففي سنة 296هـ أوفد أبو عبد الله الشيعي عروة بن يوسف الكتامي بجيش قوي لمجابهة الدولة الرستمية ومحاربتها وكان بنو عبد الرحمن بن رستم يحكمون ملوكا على تاهرت ، فتم له النصر والاستيلاء عليها وقبل ان يزمع على الرحيل عنها ومغادرتها . ولى عليها أبا حميد بن دواس بن صولات الكتامي 298هـ الذي واصل طريقه نحو وهران وحاصر محمد بن أبي عون وذلك لما ... تمكنت دعوة الشيعة من بعض قبائل البربر فأوعز كلهم بحصار المدينة فحاصروها مطالبين بثأر بينهم وبين بني مزقن ، وفر محمد بن أبي عون وانظم لدواس وتم النصر لأعوان الشيعة وأضرموها نارا ثم أعاد اليها أهل وهران في شعبان في نفس السنة وجددوا بناءها تحت امارة دواس الذي أمر عليهم محمد بن أبي عون المتشيخ ... 1 .

والتناقض البارز من خلال هذه الاحداث التاريخية الموجزة يتجلى في اختلاف وجهة النظر لدى البعض من المؤرخين حول اعادة بنائها بعد الحريق وعلى يد من تم ذلك ؟ فقد أشار قبل هذا محمد بن الميمون الجزائري الى اعادة التشييد من طرف سكانها تحت امارة دواس على أنه لم يشر ألبتة الى عامل المساعدة أو المشاركة لأبي عون في ذلك بينما يذكر المهدي البوعبدلي نقلا عن ابن خلدون : (... فر محمد ابن ابي عون الى دواس واستبيحت وهران وأضرمت نارا ثم أعاد بناءها دواس وأعاد بن عون الى ولايتها فعادت أحسن مما كانت ... 2) فتكون المشاركة الفعلية لدواس قد تمت فعلا .

والراجح مما أسلفنا هو الرأي الثاني ذلك أن بن أبي عون سبقت له المشاركة في تأسيسها رفقة محمد بن عبدون مع قبائل مغراوة — كما سيأتي — وسكنها فيما بعد ردحا من الزمن .

أما أحمد توفيق المدني يجيز فكرة اعادة بنائها على يد — يعلى اليفرني — المولى من قبل الناصر الأموي اذ يذكر أنه ... افتتحها (أي وهران) وأضرمها نارا .....

---

1) محمد بن ميمون الجزائري (التحفة المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحمية) تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ص 325 — 326 .

2) أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي (الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني) تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي ص 186 .

... وبقيت خرابا الى أن بناها يعلى الافرينى الحالف الذكر وانتقل اليها من أفكان بأهله وأولاد ... ويدعم هذا الرأى مسلم بن عبد القادر موضحا أن قبائل كثيرة زحفت الى وهران فحاصرت أهلها ومنعت عنهم الماء واحتلت المدينة وغنمت وخربت ثم أضرمتها نارا وبعد حين يرجع اليها أهلها بأمر دواس بن صولات فيعودون الى بنائها وقد ولى عليهم بن أبى عون ... ولم تزل فى عمارة وكمال وزيادة وحسن حال الى أن أوقع يعلى الافرينى بأزداجة وفرق جماعتهم فى جماد سنة 343هـ ودخل يعلى مدينة وهران وملكها ونقل اهلها الى مدينته وأخرب وهران وبقيت كذلك سنين ثم تراجع الناس اليها وبنيت من جديد وعمرها الناس ....2 .

ومن خلال هذه الاراء يتضح من أن مدينة وهران أضرمت فيها النيران مرتين كانت فى الفترة الاولى على أيدى أعوان الشيعة حين عاد اليها أهلها وشرعوا فى اعادة بنائها مع أبى عون وهذا كما جاء فى التحفة المرضية والنشر الجمالى أما المرحلة الثانية فكانت على يد يعلى الافرينى بعد حصاره لمحمد بن أبى عون بوهران واحتلاله لها سنة 343هـ ثم احراقها وظلت كذلك حتى يوم أن عاد اليها متنقلا من أفكان بأهله فأعاد بناءها من جديد وقد أجمع على هذا الرأى كل من أحمد توفيق المدنى ومسلم بن عبد القادر ، وحجتنا فى ذلك هو الفارق الزمنى البعيد الذى تم حدوثه أولا فى 297هـ وأخيرا فى سنة 343هـ .

ج) التخطيط لوهران كمدينة :

هناك رأيان طرأ على فكرة التشييد دار حولهما النقاش طويلا فى البحث عمن كانت له الاسبقية واليد الطولى فى تحقيق هذا الغرض ، أولهما يبرز أن خزر بن حفص بن المغراوى بناها 3 وذلك

---

1) أحمد توفيق المدنى (حرب الثلاثمائة سنة) ص 116 .

2) مسلم بن عبد القادر (أنيس الغريب والمسافر ص 8 .

3) هو خزر بن حفص بن صولات بن وزمار بن صقلاب بن مغراو المغراوى بن يصلين بن مسروق بن زكين بن جانا بن الزنات .

باذن أمراء بنى أمية الاندلسيين ويعض على هذا الرأى كل من أبى زيد عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لأرجوزة الحلفاوى • ذاكرا أن ملوك مغراوة شيدوها وامتدت بها العمارة الاسلامية فاستولى عليها الاسبانيون من يد عبد الوادى فى مدة قليلة منهم — راجع أبو راس 1 مدعما للآراء السابقة وشارحا بتفصيل من أنها شيدت فى عهد الخليفة الاموى عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل • الخليفة بالاندلس •

ان الذى يجب أخذه بعين الاعتبار هو أن البعض من المؤرخين الذين تبنوا هذا الرأى هم أصلا جزائريون على عكس الفئة القليلة الثانية التى اقتنعت بفكرة البحارة الاندلسيين • منهم عبد القادر المشرفى القائل : "••• بناها خزر بن حفص بن صولات ••• على سيف البحر الرومى باذن امراء بنى أمية الاندلسيين ••• " 2 •

وتبعد فى ذلك توفيق المدنى حين كتب عن تاريخ وهران فيذكر من أنها بنية فى سنة 290هـ أى 902م "••• على يد القائد (خذر) 3 أيام الامير عبد الله الاموى • والد الخليفة عبد الرحمن الثالث فوق أرض ممتلكات قبيلتى مغراوة ونفزاوة ••• " 4 وثانى هذين الرأيين يسند تشييد مدينة وهران الى البحارة الاندلسيين ألا وهما • محمد بن عبدون ، ومحمد بن أبى عون من رجال الامويين القادمين من الاندلس وفى هذا السياق يستطرد المؤرخ

---

1) أبو راس محمد الناصرى (عجائب الاسفار ولطائف الأخبار) ص 27 •

2) عبد القادر المشرفى الجزائرى (بهجة الناظر فى أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبنى عامر) تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ص 12 بيروت •

3) يستعمل المؤرخ توفيق المدنى حينا — خذر — وأحيانا خضر — وما أخاله الا — خزر — المغراوى الذى كان عاملا بالمغرب الأوسط لبنى أمية •

4) توفيق المدنى (حرب الثلاثمائة سنة) ص 115 •

وعبر له. لما أراد الله بالملك جل عز أرض وهران ابن الكفي جلا

يعني أنه لما أراد الله تعالى ظهور دينه وهو الإسلام لقوله تعالى

إن الذين عند الله الإسلام جل عز أرض وهران ابن كوى عنها وعن

كما أبرتها بنى الكبير ابن الكبير بالله تعالى جلا الأول اسم مفعول

بمعنى المنهور وجلا الثاني فعل ماض بينهما الجناس التام المذيل

بالمذنوب والمتماثل وهو اتفاق الكلمتين في جميع الحروف كما هنا و

كقول ابن هاشم وهو أحسن شواهده وإنني للنحر لكالي

والنحر بعض هلمه لرشوف

وهذا النوع من الجناس هو أكمل أنواعه وأحسنها وأقل ما يخلوا عن

التكلف ولذلك تجاوز المحول من الشعراء وهران بفتح الواو ونقل

عليه ابن خلكان في ترجمة أبي عبد الله الوهراني وهي مدينة مغربية

في ساحل البحر الرومي من الناحية المغربية الوسطى بناها ملوك

مغراوة في أيامهم وأتقنت العمارة الإسلامية بها المرسية خمس عشرة

وتد عمارتها واستولى عليها النصارى الإسبانيون وذلك في أيام بني

عبد الواد في مدة أبي ثلموهن منهم وهو من مناخي ملوكهم الذين

لم يتم لهم في الملك قرار وما استقر بهم في المملكة عمار ولا

دار فلم يكن للمسلمين حينئذ غناء ولا دفاع ولم يبق لهم

بها كمتع باجتماع لعدم من يجمع كلمتهم ويلتئم عمل منهم

"تأسيس المدينة"

منظومة "ارجوزة الكاسفاوي"

الضمير

مسلم بن عبد القادر متحدثا عن وهران (" ... قرية صغيرة بربرية تابعة لتاهرت وفي 290 هـ تطورت هذه القرية البربرية المتحلة الى مدينة تم اختطاطها في العهد الاسلامي على يد جالية أندلسية كان يتزعمها : محمد بن عبدون ، ومحمد بن أبي عون وغيرهما من البحارة الاندلسيين ..." 1.

وتجاه هذا الوضع يصبح من البديهي التركيز على المحورين المتمثلين في الاطار الزماني والمكاني لتلك الفترة حيث يبدو لنا جليا من أن ملوك مغراوة قد تقدموا عن سابقيهم زمنيا ، كما يجيز هذا أبو زيد عبد الرحمن الجامعي بينما تتفق زمرة من المؤرخين كابن خليكان 2 أن الاندلسيين بناها بالتحاون مع قبائل نفزة وبني مسقن 3 الا أن هذا الادعاء سابق لأوانه اذا ماتصفحنا المسيرة الزمنية أما المحور الثاني فهو الاطار الجغرافي ، نجد أن المدينة سكنتها قديما قبائل مغراوة على نطاق مساحة صغيرة لاتتعدى العشر هكتارات قبل لجوء الاندلسيين اليها معتمدة في ذلك على منتوجاتها المحلية التي تحقق لها الاكتفاء الذاتي في المضمار الاستهلاكي ووجودها بالفعل ناجم عن استقرار يؤدي بها حتما الى التشييد والتعمير ، حتى يفسح لها المجال للقيام بدورها الاقتصادي والاجتماعي في حيوية ونشاط دائبين .

وبناء على ماتقدم يمكن الخروج من هذا التناقض بنتيجة فحواها أن ملوك مغراوة كانت لهم حلبة السباق في التشييد ذلك أن وهران كانت مجموعة من المنازل والدكاكين المبنية من طرفهم ، ثم تم توسيعها بمشاركتهم ، بيد أن اختطها كل من محمد بن عبدون ، ومحمد بن أبي عون وأضافا اليها بعض الكماليات البحرية لاتخاذهما لها كنقطة ارتكاز وهمزة وصل بين الاندلس ،

---

1) مسلم بن عبد القادر (أنيس الغريب) ص 7 .

2) هؤلاء المؤرخون الذين اتفقوا على منح اسم المشيد للمدينة على الاندلسيين ـ محمد بن عون ، ومحمد بن عبدون ، هم : محمد بن يوسف القيرواني ، البكري ، الرشاطي ، الصفدي كما جاء في (طلوع سعد السعود) للمازري مخ ص 27 .

3) بني مسقن : هم بنوا مسرقين أو بنو مسكين نسبة الى القرية التي تحمل اسمهم والتي تبعد عن وهران بحوالي 12 كلم .

والداخل الافريقي في حقبة آفل فيها نجم العرب بقرطبة وتكاثرت فيها عمليات القرصنة على نطاق واسع في الحوض الغربي من المتوسط .

ويدعم هذه النتيجة ـ محمد بن عبد الكريم ـ أثناء استعراضه لمراحل التأسيس قائلا :

" ... وما عتم أن تم بناء مدينة وهران على أيدي رجال مغراوة وبعض القبائل المجاورة لهم وقد شاركهم في هذا البناء جماعة من بحارة الاندلس الذين يرأسهم رجلان منهم محمد بن عبدون ومحمد بن ابي عون ... " 1 .

التسميات التاريخية لوهران .

(أ) التسمية القديمة . (ب) التسمية البربرية والتحريف اللفضي

(ج) التسمية الاوربية .

(أ) التسمية القديمة :

شاهدنا من خلال مراحل التأسيس أن وهران تداولت سكناها العديد من الشعوب فطبيعي جدا أن تحمل المدينة مختلف التسميات رنق لغات هذه الشعوب وما وصلنا منها في العهد القديم سوى التسمية الرومانية وهي ـ كيزا ـ QUIZA التي " (ربما تكون مستعمرة رومانية ... " 2

ويطلق على مينائها اسم بورتيز ديفينيز PORTUS DIVINUS أي المرسى الالاهي ويحتمل أن يكون اسما للمرسى الكبير .

ومن الجدير بالملاحظة أن الاستاذ محمد بن عبد الكريم 3 ، قد توصل الى نتيجة بالغة الاهمية حول أسلوب تسمية المدينة أثناء العهد الروماني بأسماء هي على التوالي حسب الترتيب :

ـ1ـ كويزا QUIZA ـ2ـ كيزا كسيتيتانا QUIZA XEMITANA ـ3ـ كيدا QUIDA

---

1) محمد بن ميمون (التحفة المرضية) تحقيق محمد بن عبد الكريم ص 325 ـ 326 .

2) أحمد توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة ص 114 .

3) محمد بن عبد الكريم المحقق لمخطوط : (التحفة المرضية لمحمد بن ميمون الجزائري) ص 316 .

تضاربت الآراء حول نوع التسمية لهذه المدينة وفي أي فترة بالذات أمكن أن يطلق عليها هذا الاسم – وهران – بعد إن اتخذت العديد من الأشكال اللفظية .

وبعد تصفح المراجع القديمة المختلفة والخرائط لكل الفترات المتقدمة أمكن لنا تقسيم الفكرة الى شطرين – 1 – وهران مع التحريف اللفظي . – 2 – التسمية الأوربية وهكذا كي نستخلص النتائج من جراء المقارنة والتمحيص .

(ب) التسمية البربرية :

هناك تسمية بربرية سبقت التسمية الأخيرة لوهران يذكرها ياقوت الرومي D'ORAN وهران بفتح الواو وسكون الهاء هي مدينة من أهم موانئ الجزائر وأصلها الصريق قرية ايفري المغربية ... 1 وتفسير – ايفري – في اللغة البربرية بمعنى الكهوف .

أما عن لفظة وهران فهي مفردة محرفة عن الاسم البربري الزناتي وأصلها – ايران – أي الاسود ومفردها – آر – 2 . ويمكن الخروج من هذا بالاستنتاج التالي . هو أن جبل هيدور لوهران كان في العصور الغابرة غابة وأدغالا تضم العديد من الحيوانات المفترسة ، من المحتمل جدا أن تكون الاسود من بينها فأطلق عليها اسم (مدينة الاسود . وحتى المؤرخ بن عودة المازري فقد أعطى لمخطوطه الذي خصصه لتاريخ وهران اسم (طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود) .

ومعنى لفظ وهران كذلك في لغة زناتة – الثعلب – 3 . ومن ذلك قصة طريفة ، تروى أن أهالي مغراوة لما شرعوا في بناء أساسها ، وجدوا ثعلبا في جحرها فقالوا هذه – مدينة وهران – ، أي مدينة الثعلب – ومن يومها حملت هذا الاسم .

---

1) ياقوت الرومي (معجم البلدان) المجلد السادس ص 385 .
2) مسلم بن عبد القادر (أنيس الغريب والمسافر) ص 6 .
3) عبد القادر المشرفي (بهجة الناظر) ص 11 .

مما دمنا بصدد القصة يمكن ادراج في سياق الحديث نبذة ثانية عن لفظة وهران المركبة تركيبا مزجيا ـ راه ـ بمعنى نعم و ـ رانا ـ بمعنى هانحن • وملخصها أن بني يفرن توجهوا صوب وهران للهجوم عليها فظلوا الطريق بسبب كثرة الاشجار بها ، واذا بهم يقبضون على رجل ينتمي الى سكانها أثناء مروره ، فطالبوه بارشادهم اليها ، فامتنع وبعد التهديد والوعيد رفع عصاه نحوهما ، فسألوه ان كان يقصدها بالاشارة فأجاب : ـ واه ـ وابان مسيرتهم سمعوا صوتا آخر يقول : ـ رانا ـ أي هانحن فيمموا صوب الصدى حتى وصلوها ، فاستحوذوا على كل خيراتها ثم قالوا : هذه غنيمة ـ واه رانا ـ 1• بينما نجد رأيا ثان يرجع سبب التسمية لرجل اسمه ـ وهران ـ كان يقوم بحركة البناء منذ البداية •

أما المؤرخ ليون فاي HENRI LEON FEY فيفسر لفظة وهران بالمكان الصعب المنال 2 LIEU d'accés difficile الشطر الأول الذي نعني بهم المؤرخين العرب 3 ، المتعرضين لذكر هذه المدينة قبل الاحتلال الأسباني نجدهم يشيرون الى نفس التسمية الموجودة حاليا وقد دعم هذا الرأي محمد بن يوسف الزياني "••• اعلم أن وهران بفتح الواو لا بكسرها وقد غلط من كسرها ••• " 4 •

التحريف اللفظي : واذا انتقلنا الى حقبة الهيمنة الفرنسية ، فسنجد أن اسم المدينة قد حرف الحرف الأول منه وذلك بكسره أي ـ وهران ـ وظل هذا التحريف متداولا حتى الاعوام الأخيرة ، فما السبب في ذلك ياترى ؟

---

1) محمد بن عبد الكريم المحقق للتحفة المرضية ص 123•

2) HENRI LEON FEY Histoire d'Oran , pendant et aprés la domination Espagnole , Oran 1858 p. 37 .

3) ابن خليكان وافيات الاعيان وأنباء الزمان) وكذا الحافظ أبو راس عن أبي زيد الجامعي ، أرجوزة الحلفاوي ص 7 •

4) الحلفاوي ـ أرجوزة ـ مخ ص 17 •

اشتهر أهل منطقة سوس بالمغرب الاقصى بالترحال والاتجار نتيجة للظروف الطبيعية الناجمة عن منطقتهم فهم ان صح التعبير - فينيقيو المغرب الاقصى - وكان تمركزهم بدو بجلا غرب الجزائر أى على وجه التحديد بمنطقة وهران فكونوا بها مجموعات تجارية فى كل حى من أحياء المدينة أقراها وبما أن لهجتهم تحتوى على كلمات تبتدئ بحرف مكسور لذا برز سبب التحريف اللفظى فى التسمية ولم يكونوا وحدهم فقط ، وحتى بعض المهاجرين الجزائريين الذين قطنوا المغرب وخاصة جاوروا منطقة سوس وحتى عن طريق الاحتكاك التجارى الدائم .

(ج) التسمية الاوربية :

أما الشطر الثانى المتمثل فى التسمية الاوربية فان وهران تأرجحت ما بين العديد من الاختلافات اللفظية فى اللغة اللاتينية اذ ظهر الاسم الحقيقى والحالى لها أوران ولأول مرة فى سنة 1384 م على متن خارطة جنوية لكنه ظل محدودا ولم يعم أو يسود بصفة الشمول الا فى نهاية القرن السادس عشر ميلادى فقد أطلق عليها سابقا برتيزد يفينيز وهاهى بعض الامثلة المتغايرة الشكل حسب الترتيب الزمنى [1] .

---

1) مقتبس عن رونى لسباس ص 44 .
RENE LESPES : ORAN ETUDE URBAINE . P. 44

ظهرت في ق 14 م باسم (بوران) Bouran ثم أورام Oran الشكل الذي استحوذ على أفكار المؤرخين وهيمن على التوبوجرافيين سواء أكانوا ماجوركيين أو كاتالانيين أو بندقيين - مثل أونجلينو angelina dukert 1339م والاخوة بيزيجاني Frères Pizzigani في 1367م ، وعلى متن خارطة كاطالانية في 1375 م وكذا لدى أوندريا بلانكو 1436م.

(1) إلا أن وهران بالاسم الحالي Oran ظهر في 1544 م عن سيباستيان Sebastien Cabit وكذا في 1569 م لمأركاتار Marester ثم تحول الى أورانو Orano وأورانى .

واستخلاصا مما سبق أن وهران لدى المؤرخين العرب بفتح الواو لا بكسرها كما جاء في لهجات الكثير من أهالي سوس للمغرب ومن جاورهم أو احتكوا بهم . ولم تحتفظ بشكلها المتداول حاليا (أورانى Orane) في معاجم اللاتينيين كمرحلة الشمول الا في نهاية القرن 16م وهذا بعد أن لاحت التسمية في آفاق الكتاب الأجانب ولأول مرة في 1384م

استراتيجيتها البرية والبحرية :

ساهم موقع وهران بالنسبة لشبكة الطرق الطبيعية البرية بمختلف الاتجاهات . في تذليل صعاب الأبعاد واقتحام مشاق الأسفار الطويلة ، وتحقيقا بذلك توسيعا لرقعة الاطار الجغرافي الذي ستتبوأ بواسطته المدينة مكانة تخول لها أن تصبح أكبر مركز عمراني في تلك الفترة

تلك الطرق التي ستساهم فيما بعد في تغيير الآفاق لأكثر من امتداد نحو العلاقات أو الاتصالات البشرية . وتعمل على تغيير مجرى الأحداث للعديد من مسرحيات الحرب أو السلم الدائرة في حلبتها ، بل وستكون فعلا عبارة عن مسالك وعرة تكون درعا واقيا . وحاجزا بينها وبين الاحتلال الأسباني فيما بعد ، احتلال تدفعه للتمنطق في اطار جد محدود ويتقوقع داخل عالم الالتواء والحصار الدائم .

تفتح أبواب المغرب عن مصراعيها مطلة على جهة السهول المرتفعة الوهرانية حيث تبرز بعض المعالم التبوغرافية راسمة مرتفعات وجهة ، تلمسان ، سيدى بلعباس ، ومعسكر . أما من الجهة الأخرى الجنوبية توجد طريق طبيعي لاقتحام الصحراء . ومن هنا في امتداد نحو النيجر أنها ثرق الساورة والواحات .

---

1) وقد ذكرها المؤرخ كازناف Cazenave في السلسلة التابعة للمؤسسة الجغرافية سنة 1925 1924 ص 103 بأن وهران اسمها الحقيقي (وادى الحـــــــــــــــوران) لكن لسنا ندرى من أين أتت هذه التسمية . ربما تكون من المحتمل أنها نسبة لقبيلة هوارة

وهذا بالاضافة الى الممر الجبلي الصغير الضيق الرابط بين المرسى الكبير ووهران والمحفوف بمخاطر السطو والغارات القبلية .

واذا قمنا بعملية مقارنة في نطاق الميدان البري بين مختلف الجهات الجزائرية فجدوى ذلك سيكون ايجابيا اذ تبدو وهران لا محالة في إحسن تخطيط .

أما وضعية وهران تبعا للاستراتيجية البحرية ، وخاصة خليجها قبل ان يصبح ميناء تجاريا وعسكريا المرتبط بالمرسى الكبير حيوية وحركة لتفريغ حمولة المراكب أثناء فترات القرصنة أو الغزو ، ذات علاقات وطيدة مع هذه الأخيرة في شتى المجالات العسكرية والبحرية تسفر عن أهمية كبرى لا يمكن التغافل عنها أو عدم اعارة الانتباه اليها . اذ لا تبعد عن مدخل البحر الا بحوالي 240 ميلا 1 .

فهذه الوضعية تمنح لها مميزات ذات فائدة عظمى تبدو مآثرها في مراقبة شبكة الطرق البحرية ، فأولاها تزويد السفن والمراكب بالمؤونة أو اللوازم العامة أثناء المرور ، وثانيها احتجاز البعض منها حسب ماتفرضه الاوضاع .

يمكن اعتبارها اذن معبرا بحريا لترويج بضائع مملكة تلمسان ومخزنا لغلالها ومنتوجاتها . ومحورا أساسيا لعمليات التصدير نحو الخارج أو الاستيراد كذلك . ثم منطلقا للمواصلات، فهي "... ميناء محصن يسافر منه الى أسبانيا ليل نهار" 2 .

هذا بالاضافة الى اتخاذها كنقطة ارتكاز للعلاقات التجارية للبحارة المسلمين القادمين من أسبانيا بين موطنهم والداخل الأفريقي للحوض الغربي من المتوسط .

---

1) تاريخ وهران للماركيز لاطابالوزوس Tabalusas المترجم من طرف كازناف (المجلة الافريقية ص 336 لسنة 1930م .

2) يتحدث المقديسي عن وجود ميناء لوهران في بداية ق 11 م بيد أن الحقيقة تعارض ذلك لم يكن ساعتئذ سوى خليجا لم يرصف بعد . وقد دعم هذا الرأي حتى أثناء فترة الاحتلال المؤرخ هنري ليون فاي Henri léon Fey في كتابه (تاريخ وهران) ذاكرا "أن الاسبان سكنوا البنايات التابعة للبحرية أي حي البحرية . La marine ولم يكن هناك ميناء بأتم معنى

السكان :

لا نستطيع التعرف بالضبط على الطاقة السكانية لمدينة وهران قبل الهيمنة الأسبانية ، واذا ما وجدت بعض المعلومات الطفيفة العابرة التي تشير الى تعداد ديمغرافي اجمالي ، فهي تدلي بأرقام تقريبية ، متفاوتة في العدد والاحصاء ، وجد مقتضبة .

يمكن أخذ الجانب الجغرافي ازاء هذا الوضع بتقسيمه الى ثلاث مراحل ؛ 1) سكان قبل الاحتلال ، (2) سكان أثناء الاحتلال الأول (3) سكان أثناء الاحتلال الثاني . حيث يبدو لزاما مراعاة الطبقات المختلفة ضمن هذه المراحل التي كانت تضم العديد من المجتمعات المختلفة ، فمن عرب وبربر ، ثم أندلسيين ويهود .

يقدر سكان المدينة بمجمل قبائل سويد ومنى عامر المستولية على معظم سهول ولاية وهران ب 20 ألف نسمة في فترة غير محدودة لسنا ندري على وجه الدقة أكان ذلك قبل نزوح أهالي الأندلس من يهود ومسلمين أم بعد ا. والقاء الضوء على تقديرات ليون الأفريقي 1 . المحتملة في بداية ق 16 م ب 6000 ضوء أو خيمة التي تحوي أكثر من 25000 نسمة ، من شأنها أن تستدرجنا الى الشاطئ التقريبي من الحقيقة والمعرفة وذلك عن طريق المقارنة . فيكون الاستنتاج المحتمل ساعتئذ في تبلور الفرق المتباين البالغ 5000 ساكنا . وقد أشار الى ذلك المقري بما يلي : " . . . فخرجت ألوف بفاس وألوف أخرى لتلمسان من وهران " 2

نتيجة لتدفق الأعداد الوفيرة من المسلمين الى هذه المدينة خاصة ، وجهلنا لاحصائيتها لعدم ذكرها أو التطرق اليها في مختلف المراجع العربية والاجنبية على حد السواء ، يحتمل اذا أن يكون عدد 15000 نسمة ينفرد بها على وجه التقريب مع قليل من التحفظ .

الا أنني أستبعد أن يكون العدد أقل من ذلك ، وخاصة منذ الساعات الاولى للاحتلال حيث يورد المؤرخ مينوز 3 في سرده لخسارة الأهالي بعد اقتحام أبواب وهران ب 4000

---

1) السبب الذي دفعني بهذه العملية الحسابية البسيطة . هو أن مجمل عدد السكان . برزفي فترات جد متقاربة بالاضافة الى أن الكمية الكبيرة لـ 25 ألف نسمة هناك من يدلي بها بعد النزوح ومغادرة المسلمين من أسبانيا .

2) (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب) لصاحبه أحمد المقري المغربي ج 3 ص 168 .

3) أبي ايفنوال Abbé umn An- nuel (في مرجعه على خطوات العلم Sas les pas du Dra- peau ص24 .

قتيل و 8000 أسير ، وحتى لو سلمنا بمجموع العدد المبالغ فيه ألا وهو 12000 فأين هو اذا عدد النازحين الفارين الى ضواحي المنطقة ! وأين ارتحل عنصر الشيوخ والنساء والصبيان ؟ هذا من جهة وقد يغيب عن الأذهان اذا ماكان عنصر النازحين من اليهود مدرجا في قائمة

هذه التقديرات أن طرح جانبا ولم يؤخذ بعين الاعتبار من جهة أخرى . (1)

أما الاحصائيات بالنسبة للمرحلة الثانية مابين 1509 و 1708م دونتها ذاكرة فاليجو ب 500 ضو و 20000 ساكنا . ويحدو في ذلك حدوه هونتابا مسترسلا في حديثه أنهم والمجموعة توصلوا الى تعداد السكان بحوالى 20000 سكنا لكن هذا التقدير جد مضلهل وغير قابل للتحقيق الجازم نظرا لعدة عوامل شاهدتها المدينة منذ الساعات الأولى للاحتلال منها أن الأفلهية المطلقة للسكان سارعوا بالفرار، مغادرين اياها الى الضواحي، نتيجة للخوف والاضطهاد، مع بقاء العدد الضئيل من عائلات التجار اليهود ، وثانيها عدم الاستقرار والارتباط بالمكوث طوال هذه الفترة سواء من قبل المدنيين أو أفراد العامية . ترك المدينة تتأرجح بين الزيادة والنقصان العمراني .

وحتى بالنسبة لأفراد العامية المقدرة ب 1500 شخص يلاحظ نسيان أو عدم تسجيل أو تحديد عدد المنفيين Destrados الذين كانوا يقومون بالكثير من الأشغال المدنية كالتنظيف والبناء المعماري ، والخدمات العسكرية وحتى عدد المنفيين الذين يبعث بهم الى وهران قصد التكفير عن خطاياهم مقابل هذه الخدمات في فترات محدودة ، جاءت في حقب متباينة .

ومن خلال ماتقدم يمكن احتمال مجمل السكان ب 15000 نسمة بغض النظر عن أفراد العامية وهذا في الفترات الأولى من الاحتلال حيث لابد من الاشارة الى ظاهرة رئيسية كانت السبب المباشر والداعي الذي حدى بجداول الاحصاءات للاختفاء وعدم التحقيق ، ألا وهو عامل الأهالي بمختلف الطبقات الذين بارحوا المطحاء زرافات ووحدانا خارجين عن نطاق المدينة ،

أما الشطر الأخير الذي يتضمنه أطار الاحتلال الثاني ، تمثل فيه عنصر الأهالي مائلا للاختلال والزوال . حيث نلمس أن عدد أفراد البعثة أصبح يفوق عدد السكان المدنيين وسبب هذا التضاعف راجع لعدم الأمن والاستقرار خاصة أثناء فقدان الثقة في العناصر المتحالفة مع الأسبان لتغيير الأوضاع كان ولا بد من انتهاج سياسة التعمير بواسطة النازحين الأسبان أو استقدام التجار والموظفين وحتى المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة وذلك لخلق يد عاملة دائمة تشارك في الأشغال العمومية . وتساعد البعثة في الدفاع عن المطحتين وقت الحاجة .

1) يلاحظ أن ابتداء من فترة الاحتلال الأولى أصبح عدد أفراد البعثة يفوق عدد السكان المدنيين بكثير نتيجة فرار هؤلاء التخلي عن منازلهم ولم يقم الاسبان بأي شيء تجاه هذا ،

الأوضاع السياسية للمغرب عامة

تمكنت الدويلات المسيحية بشبه جزيرة ايبيريا من الاتحاد فيما بينها ، غير ان الضعف والتفكك ،اخذ يسري في اوساط الدول الثلاثة الرئيسية بالمغرب ، ناهيك عن انقسام الداخلي ضمن الدول نفسها ، فالمغرب الاقصى شهد بروز حكومات ثلاثة ، (١) في نفس الفترة الزمنية ، أولاها بفاس ، وثانيتها بمراكش ، والثالثة الاخيرة بسجلماسه ، اضافة الى الطرق الصوفية التي سلكت منهجا حياديا لا يمت بصلة التبعية السياسية الى الحكومات الثلاثة مطلقا ، فازعة الى الاستقلال ،بينما لوحظ استقلالية الموانئ في المغرب الأوسط في اطار حكومات خاصة (٢) ، تكاد تشبه الى حد كبير في نسقها السياسي نظام موانئ الجمهوريات الايطالية البحرية ، اما في الجانب الشرقي فقد كانت الدولة الحفصية منقسمة الى فئتين حاكمتين : احداهما في تونس ، والاخرى في بجاية .

---

١) كارلوس دي لونا (تاريخ جبل طارق) مورسيا ١٦٢١

٢) Carlos de luna Jose, - Historia de Gibraltar - (Murcia 1621) p 49

ويسد فعنا المجال السياسي هذا ، للقيام بمقارنة ما بين الدول الاسلامية في المغرب من جهة ، والامارات المسيحية في ايبيريا من جهة اخرى ، فكما كانت هذه الامارات المسيحية المتناحرة والمتنافسة ، تستعين من حين لآخر على بعضها البعض بدولِ المغرب ، كانت المملكة الزيانية تحالف وتستمد العون من المملكة القشتالية ابان صراعاتها الداخلية ، فمن غارة مرينية الى حرب حفصية ومن مناهضة مغراوية أو تويجنية ،الى منافسة زيانية ،وفيْ دسيسة سويدية شاقة عامرية . (١) .

ومن الملاحظة انه حدث مرارا انضمام تونس وفاس لبعضهما في حلف ضد تلمسان ، وكثيرا ما كان كل طرف يجد ضالته بحثا عن امير متحفز للقيام بالاطاحة بالعرش ليحل محل الملك المنصب سلفا ، فَيَحْضَىٰ عند الانقلاب بالمساندة من طرف القبائل الناقمة على السلطة .

---

(١) مبارك الميلي - تاريخ الجزائر في القديم والحديث - الجزء الثاني ص ٣٨٣ .

كان للموانئ الجزائرية في السواحل الغربية ، وخاصة بمنطقة القبائل ، التي تعتبر كهوابة هامة ، وممرا ستراتيجيا مابين الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي ،وقربها من بلدان شبه الجزيرة الايبيرية ، تاثيرا كبيرا على تطور الاتجاهات السياسية والاقتصادية .(1)

كانت كل من البرتغال واسبانيا ، تسعيان دوما وعند القدم ، عبر المسار التاريخي الطويل ، للبحث عن منافذ بحرية تكون كقواعد دائمة ،تؤمن لهما التحكم في مضمار التجارة الدولية ،وتحميهما من الزحف الاسلامي ، وتجعل هذا العملية القرصنة الثقافية وبشكل حسيم في الحوض الغربي ،وبالتالي تفتح لهما آفاق جديدة للتعرف على مزايا وثروات العالم الجديد .

وقبل كشفنا عن بوادر ومعطيات الاحتلال الاسباني للعديد من النقط الساحلية ، يبدو وانه من الاهمية بمكان تتبع مختلف المراحل السابقة لهذه الفترة ، والمتعلقة على وجه الخصوص بالهجمات الاجنبية المتعاقبة على سواحل المغرب .

---

(1) Campan y Antonio:,- Memorias Historicas Sobre la Marina- (Madrid 1792) p. 131

ففي عام ١١٨٠م ، انطلق أمير البحر البرتغالي فواس روبنهو Fuas Roupinho من الشواطئ البرتغالية عاقد العزم على القيام بغارة حسب تخطيط مسبق ، على مرحلتين : أولاهما بالشواطئ الاندلسية ، وثانيهما بالساحل المغربي ، الا أن هذه الأخيرة لم تسفر عن أية بادرة ايجابية .

وحتى يتسنى لسكان المغرب ردع هذه التحديات والتهديدات الساحلية المتلاحقة ، يخرج القائد عبد الله بن جامع بأسطول من مدينة سبته يبحر في نفس الفترة من اشبيلية القائد أبو العباس العقلي ، على أن تكون قاعدة التجمع شفر قادس، وهذه بتم الزحف صوب شلب (١) Silves التي تشهد الهزيمة البرتغالية ، حيث يلقى فواس البرتغالي مصرعه أثناء ذلك .

---

(١) أحمد مختار العبادى ، عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ٢٦٨ ط . دار النهضة العربية بيروت ١٩٦٩ .

في عهد الفونسو العاشر ملك قشتاله يغير على مدينة ـ سلا ـ وهذا بالرغم من تحذيرات الشريف أبي القاسم العزفي بوقت جد متقدم عن الغارة ، وذلك أثناء تتبعه وترصده الأساطيل الاسبانية المعادية قرب منطقة المضيق

يلاحظ من كل المعاهدات السلمية التي أبرمت مع كل من اسبانيا والمغرب ، بشأن مسألة المضيق ، قصد السيطرة والتحكم فيه (وتعتبر هذه القضية قديمة جد المالها من تأثيرات سياسية واقتصادية على الساحة الدولية) أن هدفها الأساسي كان يرمي الى اعطاء الفرصة ، وابتاح المهلة لكلا الفريقين ، وذلك لتدعيم وتقوية اسطولها البحري في فترة السلم هذه ، لأنها جوهر التفوق والغلبة بالمنطقة .

وللحدّ من سطوة الأسطول العثماني وهجماته على الشواطئ الاسبانية ، وتفتيت وحدة الأندلسيين النازحين الى مدينة وهران ، يقوم القراصنة

البرتغاليون عام ١٤٠٥م بقيادة بيدرو نينو Pedro Nino - بمحاولة اقتحام ارزيو والمرسى الكبير ووهران ، وقت ان كان مولاي حاجي أخو سلطان المغرب المريني قد حطم البلاد وخربها .

شهدت السنوات الاولى من القرن الخامس عشر ، هجما آخر في تضخم عمليات القرصنة ، حيث أصبحت شواطئ البرتغال شبه معزولة ، فسرت بعد ذلك في البرتغال نهضة ملاحية كبرى ، في عهد الملك جوان الاول ، الذي أولى اهمية قصوى للثغور المغربية ، وبالاخص منطقة المضيق ، اذ هاجم مدينة سبته - سنة ١٤١٥م (١) فاستولى عليها وعلى نواحي جباله. (٢)

بينما يذكر - فاي - (٢) في نفس السياق أن الملك جوان الأول ظهر أسطوله أمام المرسى الكبير ووهران بتاريخ ١٤ أوت عام ١٤١٥م ، وحسب تعقيب رواية - ديدي (٣) Didier انه قد يبدو من العسير جدا ، بل من الاستحالة بمكان ، ان تكون الأساطيل البرتغالية قد زحفت على وهران والمرسى الكبير ، يوم ١٤ أوت بينما تحتل في اليوم الثاني من ذلك سبته ، بالرغم من طول المسافة ، وصعوبة التحرك ، اضافة الى

---

(١) - De Castries, - les sources Inedites de l'Histoire du Maroc-portugal - TA p 7

(٢) - فاي - تاريخ وهران - ص ٤٦

(٣) - (ديدي) - تاريخ وهران - ص ٤٤٩ ع ٤٢

عدم استعراضا وذكرا لأي مؤرخ عن الأولى من هذه المدن.

واصل ادوارد ابن جوان الأول المسيرة التي ابتدأ بها والده، بهجومه على مدينة - طنجة - وذلك عام ١٤٣٧م انطلاقا من مدينة سبته، بمساعدة أخويه ومشاركتهما في الحملة وهما: فارنندو، وهنري، لكنه يمني بالفشل، وهزيمة مريرة بمراودجرا، ولم تصل حتى هذه الفترة بالمذات الجيوش البرتغالية، الشواطئ الوهرانية[1] على عكس ما ذكره - فاي - نفسه.

ما كانت ثغور طنجة، لتحيد أو تغيب عن أنظار وسطاء مع البرتغاليين، لذا كان لزاما البحث عن طريقة حربية جديدة تضمن لهم افتكاكها، ففي أكتوبر من عام ١٤٥٨م، استطاع الملك الفونسو الخامس احتلال ميناء - القصر الصغير[2] الذي يتوسط كلا من

---

(١) دييدي - تاريخ وهران - ص ٤٨ ج ١٧

(٢) وعن ذلك قصة طريفة، تروى أن البرتغاليين أنزلوا بالمرسى صناديق مغلقة، لايهام السكان بوجود سلع ومؤونة داخلها، لكنه اتضح فيما بعد أنها كانت تحوي ما يقرب من أربعة آلاف مقاتل، خرجوا ليلا، فيما فتحوا سكان المدينة، وبذلك تمكنوا من احتلالها.

مدينتي سبته وطنجة ، وهذا كتمهيد أولي ، وتوطئة مرحلية ، قبل التوجه الى مدينة طنجة ، وبالرغم من قاعدة الوصل هذه ـ أعني القصر الصغير ـ لم يتمكن من احتلال طنجة طيلة المراحل الثلاثة التي اتبعها في الهجوم ابتداء من ١٤٦٣ حتى ١٤٦٤م ، وإنتهت جميعها بطابع الفشل والهزيمة.

على الساحة الاسبانية ، وبعد الوحدة السياسية الشاملة والقوة البحرية للاسبان ، تبرز هذه السمات في احتلالهم لجبل طارق سنة ١٤٦٢ م ، وحتى الشعر لم يرضى أن يظل محتبسا داخل برجه الفني والأدبي ، بل ساهم بدوره في مختلف المجالات السياسية التي كانت تطرأ من حين لآخر على الساحة السياسية المغربية والدولية ، وفي ذلك نسجل رثاء عبد الكريم القيسي وهو آخر شعراء الأندلس مردادا :

وقائلة لي ما لي أراك مقطبا : كأنك للتقطيب هددت بالذبح
فقلت دعيني ، الحزن فرض على الورى : أما قد حوى أهدافنا جبل الفتح

نظرا للنزاعات المتتالية ، والصراع حول السلطة والملك ، ما بين محمد بن علي الشريف الادريسي ، ومحمد بن الشيخ الوطاسي قائد مدينة اصيلا ، ينتهز فرصة هذا الخصام والتطاحن ، الفونسو الخامس ويعيد الكرة على مدينة أصيلا

---

(١) تتضمن هذه الهدنة من خلال بعض الشروط ، اطالة فترتها لمدة عشرين سنة ← الصفحة الموالية
واحتلال العرائش بموازاة مدينة أصيلا ، واطلاق سراح بن وزوجات السلطان محمد الشيخ المحتجزين خلال معركة أصيلا ، وهذا حتى يتسنى له التفرغ لمحاربة خصمه الشريف محمد بن علي .

سنة ١٤٧١م بجيش قوامه ثلاثون الف مقاتل على متن ٤٧٢ سفينة حربية ، فيحتل المدينة .

أثناء الهدنة (٤) الموقعة مابين محمد الشيخ ،والفونسو الخامس الذى ينكث العهد ، ويضرب بعهود الهدنة عرض الحائط، يتجه بأساطيله صوب مدينة طنجة ،فيستولى عليها بعد جلاء السكان عنها قبل وصوله اليها وهذا في ٢٩ من شهر أغسطس سنة ١٤٧١ م أي بعد احتلال أصيلا بخمسة أيام فقط.

وفي نفس السنة يتمكن من اقتحام مدينة وهران ، لكن فترة هذا الاحتلال ، لم تدم طويلا حيث أصبح البرتغاليون محاصرون زهاء ستة أعوام متتالية ، فيقررون التخلي عنها والخروج منها نهائيا .

ان القوة البحرية للبرتغال ، ستحتفظ بوجودها خاصة في القرن الخامس عشر للميلاد ، وهي بصدد الصراع الاسباني ، وهذا نظرا لانهاء أحد الحرب بين الجانبين ، واعتراف اسبانيا بأحقية الدولة البرتغالية في احتلالها للمدة السابقة في مملكة فاس ، أمثال سبتة ، العرائش ، ميناء القصر الصغير ،أصيلا ، ثم طنجة ، وهذا وفقا للمعاهدة المبرمة بين الطرفين في ٤ سبتمبر ١٤٧١م بالكاثوفاس .

---

(٤) زكي لبعباص ، - وهران - ص 47

ثم جددت بطليطلة في ٦ مارس في سنة ١٤٨٠ م وأصبحت البرتغال بعد ذلك متحكمة عليها ، واستراتيجيا بمضيق جبل طارق .

وبما تعاد القوتين معا ، من خلال الاتفاق السالف الذكر ، والاعتراف الضمني بالوجود البرتغالي[1] واحقيته بالسلطة على السواحل المغربية التي كان قد احتلها من ذي قبل ، اضافة الى اسقاط الهدنة ما بين اسبانيا والمغرب قصد ابعاده عن المسرح السياسي ، نظرا لهذه العوامل ، اصبحت الموانئ والسواحل على طول الشريط الساحلي من الحدود الغربي من المتوسط ملكا تتقاسمه الدولتان سويا .

---

[1] Jousset (Ph) - l'Espagne et le Portugal - p 270

المراكز الساحلية المسطرة في برنامج الاحتلال ، وعمليات التجسس:

قبل البحث في اسباب الاحتلال الاسباني لوهران ودوافعه، يبدو من الاهمية بمكان أن نتوقف عند هذه الفترة ، لنعود الى الوراء قليلا لمتابعة المد الاجنبي على جل مدن المغرب ، ومراعاة الزحف الاسباني على كامل الشريط الساحلي ، في نطاق مخطط الغزو المحضر سلفا بعناية ، وهذا قبل احتلال المرسى الكبير ووهران بأمد بعيد .

ان الهاجس الاكثر الحاحا في تحركات الاسبان بعيدا عن شواطئهم، يكمن في عوامل عديدة ، عسكرية منها تتمثل في توجسهم خيفة ،من خطر توسع الامبراطورية العثمانية الممتدة من قبينا وبودابست حتى مدينة طرابلس الغرب ، مما يجعلهم يقفون وجها لوجه امام الهيمنة الاسبانية على جنوب اوروبا الوسطى والغربية ، ثم اقتصادية نظرا للفاقة والبطالة ، وطمعا في ما تزخر به اراضي المغرب من ثروات قيمة ، فتسارعوا ـ لاسيما ـ الحوض الغربي من المتوسط ، وذلك لما تحتله اسبانيا ضمن هذا الحوض من مراكز استراتيجية بدءا بجنوب غرب ايطاليا ، وجزر صقلية ، وساردينيا وكورسيكا ، فجزر البالير، وبذلك يصبح الحوض بحيرة اسبانية صرفة ومطلقة [1]

وفي غمرة ذلك الشعور ، يقود البابا فيكتور الثالث أسطوله في اتجاه المهدية بتونس ، منذ نهاية القرن الحادي عشر، لكنه يفاجأ بعنف المقاومة ، وصمود المدينة ، حيث لم يتمكن من احتلالها ، [2] وفي بداية القرن الثاني عشر يتمكن روجي Roger الاول صقلية من احتلال

---

1) A Guado Bleye Pedro: _Manual de la Historia de Hispana-Tomos III p72

2) " "

انظر ضمن المرجع ص 83

مدينة عبر الشريط الساحلي التونسي ، لكنها تفك القيد وتتحرر ، في عهد من يخلفه فيما بعد .

لم تتوقف هذه الهجمات ، على المغرب الشرقي عند هذا الحد ،بل اعاد الكرة ملك نافاريا دون سانشو Don Sancho محاولا الاقتراب من مدينة تونس ، وبعد انزال جيشه برا ، يصاب اسطوله بزوبعة عاتية يتحطم على اثرها ، وفي شهر جويلية من سنة ١٢٧٠م يزحف القديس لويس Louis الى تونس كذلك ، الا ان آثار هذه الحملة كانت جد سيئة ، حيث يصاب بالطاعون في ٢٥ اوت فيودي بحياته[1]

قبل انهاء هذه السلسلة الطويلة من الحملات ، نلاحظ بجلاء مدى فشل مخططها ، وعدم التمكن لحد هذه الفترة ، من تحقيق احلامهم في السيطرة والاحتلال ، اذ يسارع ملك آراغونه بيار الثالث في منتصف القرن الثالث عشر بارسال الاميرال روجي دوكورا . Roger de Caura بقصد تخريب موانئ الساحل الافريقي ، لكنه يمنى بالفشل ويولي الادبار[2]،وبعده بسنوات ، يعيد الصورة نفسها نيل كاستال الجديدة جيلفار Gilver في عملية انزال لبعض فرقة بالريف المغربي لا تغادره كقاعدة أمامية ،فيخونه الحظ ويرغم على التراجع .

وفي سنة ١٣٥٥ م يتقهقر اميرال جنوه ، فيليب دوريا امام طرابلس ويفشل في محاولته ، بينما تظهر فيما بعد وبالتحديد في جوان من سنة ١٣٩٨ م تحضيرات واسعة لحملة كبرى ، وبمساعدة فرنسا ، على راسها الكاردينال بوربون ، بجيش تعداده ٢٦،٠٠٠ جندي ، الاان مدينة المهدية ، وبالرغم من محاصرتها ما يقرب من شهرين ،

---

[1] العبادي محمد الحميد - المعجل في تاريخ الاندلس - ص ١١٤

[2] Carlos de luna Jose: - Historia de Gibraltar p. 98

تظل عامدة وتفشل الخطة الحربية ، ويتعرض الاسطول لخسارة فادحة .

اما في الجانب الآخر من المغرب ، يبدأ سيدونيه سيدونيه عام ١٤٩٧ باحتلال مليلة التي كانت تعتبر بمثابة السبب الرئيسي لفتح الطريق مستقبلا أمام الحملات القادمة . اذ نجد الكونت تاندييه Tendella يسهر في تقديم وعد لاحتلال الرقعة الشاسعة القائمة ما بين مليلة والجزائر ، لكن نهاية وفاة ايزابيلا عجل بتأجيل الفكرة [1] وربما كان ذلك نتيجة لنقص خيمينيس سياسة الوفاق والتحالف البريطاني البرتغالي الذين كان محورهما الاساسي يتمثل في توجيه الحملة الصليبية ، صوب الأرض المقدسة ، قصد الحصول على غنائم وثروات من هذه الاصقاع للخروج بنتائج ايجابية

هذا باختصار ما حيك ضد السواحل المغربية ، وما حل بساحتها خلال القرون الاربعة التوالي ، من حصار وهجوم فاشلين ، الى احتلال ضيق الرقعة قصير المدى ، فما عن عمليات الترصد والتجسس بالاراضي الوهرانية ، قصد التوطئة لحملة كبرى على كل من المرسى الكبير ووهران ؟

اذا تخطينا الجانب العسكري ، في مباشرة الدول الاجنبية تحديد وتركيز ، حملاتها على المغرب من حين لآخر ، وهو جانب في غاية الاهمية ، يكون من البديهي الاشارة الى الخطوات الاولى الممهدة للاحتلال والتي تدخل في نطاق بث العيون ، وارسال الجواسيس لرصد كامل المعلومات سواء كانت سياسية عسكرية ، ام اجتماعية اقتصادية ، حتى تساهم بشكل موضوعي شامل وادق في انجاح الحملة .

---

[1] A. Guado Bleye Pedro : - Manual de la Historia de Hispana - Tomos III p 113

ولـيس ثمة شك في أن الملك فارديناند بعد سقوط غرناطة ، والذى استأثرت بلبه فكرة التوسع خارج اسبانيا ، وهذا برغبة والحاح من خيمينيس الذى لم يدخر جهدا في تحقيقه انتزاع الرضى والقبول من الملك ، بالرغم من العجز المالي الذى كان يعاني منه .

وتحقيقا لهذه الامنية ينتقي الملك ، حكام القلعة لورانزو دى بادييا Lorenzo de Padilla مكلفا بهذه المهمة ، فيبحر في اول شهر من عام ١٤٩٣ الى وهران ، ويظل بمملكة تلمسان زهاء سنة كاملة يتجول في ارجائها متنكرا ، لاستقصاء الحقائق ، وجمع المعلومات ثم قفل راجعا مزودا بأخبار دقيقة .[1]

غير ان نصيب المهمة التجسسية ، لم يكن بالحد الكافي لبدء عملية الاحتلال ، وعلى اية نقطة يمكن اتخاذها قاعدة اماميه ، ولحسم الموقف وقع اختيار ميناء هينن كمرحلة اولى ، ثم ميناء ولس ، وكان سبب هذا الاختيار راجع الى نوعية العلاقة مابين نائب ملك مايوركا واهالي الميناءين السالفين ، وكمنفذ للخطة ، يبعث بمبارتان Martin de Robles على هيأة تاجر خاص بشراء الخيول ، فيهتدي عبر هذه المراكز ، لكن معلوماته المستقاة لم تكن على حد بالغ الاهمية .

وفي تلك الاثناء ، يبرز على الساحة السياسية تاجر ايطالي بمتابة مفاوض على علم تام بمحصل الساحل ، نظرا لتحركاته وتعاطيه للتجارة ، يدعى جيرومو فيسالو Geromino Vianelo ، تناصحالهم باختيار المرسى الكبير نظرا لاهمية الموقع ، والامتيازات التي يتمتع بها كبوابة رئيسية للدخول الى وهران مقدما للقارد ينال خيمينيس خارطة طوبوغرافية عن اوضاع كل من المرسى الكبير ووهران .

1) Alfonso el Sabio: — Primera Cronica General de Espana — p. 245

الفصل الثالث

بوادر التوسع الاسباني ، واحتلال المرسى الكبير ووهران :

١) احتلال المرسى الكبير

-ا- النزاع الملكي الاسباني ، ب - اصرار ايزابيلا على التوسع

جـ- استراتيجية موقع المرسى الكبير ،

د- التجهيزات الاسبانية ، والاستيلاء على المرسى الكبير ، - ك - مجلس الشورى ، ونهاية الاحتلال .

-٢- التحضيرات العسكرية ، واحتلال وهران

-٣- غنائم الاسبان ، ونهاية الاحتلال .

-٤- تنس ، والصراع بين الاشقاء

-٥- سياسة التنصير : ا- مشكلة التنصير ، ب - عملية فرار جند الاسبان ، جـ- اعتناقهم الاسلام بسبب المجاعة .

-٦- الاوضاع السياسية بالمغرب عامة ، والجزائر خاصة .

-٧- تقسيم القبائل قصير منطقة وهران ، قبل الاحتلال ،

-ب- تقسيمها اثناء الاحتلال .

جـ- القبائل الموالية للاسبان .

-د- القبائل الطحررة .

احتلال المرسى الكبير :

كانت مجمل الظروف السياسية والاجتماعية لسكان المغرب ، مواتية لاجتياح طليعي اسباني ، وذلك من خلال التقارير الواردة الى الملك فارديناند من طريق الجواسيس ، والامين التي بعثها لعمل بداية الحملة ، كما اشرنا الى ذلك سلفا ، وكي يضمن النجاح لهذه الحملة سعى منذ المرحلة الاولى الى الحفاظ على ابقاء السكان في غفلة تامة ، عن باقي بلدان الاسلام الغربية ، حتى لا تتلاحم في عصبة الاسلامية موحدة (١)

اعتبر المغرب دوما ومنذ القدم ، ملجأ وخزانا تستمد منه الاندلس العون والنصير ، في مواجهتها مع المملكة الاسبانية الناشئة ، وهذا ما كان يشغل بال الملكين والاساقفة بصفة مستمرة مقصودا بعد سقوط غرناطة وحينما كان الملك ايمرو الذي قد طلب الاستجاب مع ذويه الى المغرب ، الامر الذي اعاق الملكين - فارديناند وايزابيلا - من حصوله على المدد من عند لا نقال الجليقي . (٢)

---

(١) ذكر مخلف الصادر الاسباني ان الملك الاجنبي ارسل وفدا الى السلطان قانصوه الغوري بالقاهرة ، والذي يعتبر الاخير لدولة المماليك وفدا بقيادة البطرس مارتير دانغويرا وذلك لا يرام معاهدة تحالف ضد (؟)

(٢) المجلة الافريقية ١٩٢٨ ص ٤٢ .

لكن التقارير التي توصلا بها ، أفصحت لهما سريعا عن الوضعية السياسية التي تمر بها بلاد المغرب من انشقاق وتمزق وتناحر واقتتال ، مما أراح نفسيهما وجعلهما يتعرفان على حقيقة الموقف ، وبدد ركان من خلال ذلك الاستعداد للمجابهة العسكرية من قبل سكان الشمال الغربي ، افتقاد الى التعصب المسيحي البارز بقوة لدى القساوسة والرهبان ، الذين ظلوا يذكون جذوة الحماس الصليبي في الوسطين الملكي والشعبي ، حيث طالب البابا بروما وضع الامكانات المالية والعسكرية تحت تصرف ملوك اسبانيا عن طريق مساعدة صحبت بالكروازادا

النزاع الملكي الاسباني واصرارايزابيلا على التوسع :

لم تسارع اسبانيا الى تنفيذ سياسة الاحتلال في منطقة نفوذها ، بعد الاتفاق مع البرتغال (١)

---

(١) في سنة ١٤٧٩ وقعت معاهدة بين البلدين تم بمقتضاها تقسيم مناطق النفوذ الى منطقتين ها منين اولا هما تخضع للحكم الاسباني ابتداء من صخرة باديس شرقا ، وثانيهما تتكلف البرتغال بصبغة البهيئة طبعها عبر السواحل الممتدة غربا وجنوبا من صخرة باديس وتجدر الاشارة بان هذه المعاهدة عززت بها تفاقية ثانية سنة ١٤٩٤ في مونتر - غرويز بالقرب من Tordesillas

مباشرة وذلك لبروز بعض ملامح الاختلاف داخل الأسرة الملكية الحاكمة ، أي ما بين فاردينالد وايزابيلا ، حيث لوحظ تباعد في تفكير سياسة التمركز بالشرق الأوروبي حفاظا على نفوذها بإيطاليا وسواحل سياسة التشبيت والبقاء ، نظرا لاعتماد اسلافها الملح في تموينها على قمح إيطاليا وصقلية ، وكذا العامل العسكري الذي ألف في الميدان اهتمامات وتطلعات الفرنسيسكان الى ايطاليا أولا ، كمورد اقتصادي ، وثانيا كمركز عسكري استراتيجي خطير ، خاصة في مطلع سنة ١٤٩٤ .

كان تحمس ايزابيلا الشديد باديا ، في تطلعاتها العسكرية خارج الرقعة الايبيرية ، قصد ملاحقة المسلمين في المغرب ، مدعمة في ذلك بمساندة وتأييد أغلبها الكبير لمشروعها ، ونتيجة لهذه الاختلافات الحادة ، ظلت ايزابيلا تطالب بالحاح بالتعجيل في تهيئة الظروف لتحضير الحملة العسكرية ، وربما كان ذلك سببا في تخوف الاسبان من مسلمي الأندلس ، في اعادة الكرة وتجديد حملة أخرى تحول لهم العودة ، كما كانت تنتابهم هواجس أخرى تكمن في وجود نشاط استراتيجية تجابههم في الخارج المقابل ، وبقطنها أصحاب ثأر تركوا أملاكهم بالأمس القريب وبقاعي المعالم الحضارية ، فوجودهم يهدد كل الخطر الداخلي

لذا طالبت ايزابيلا بتنظيم حملة لابعادهم تمثلت في الحروب الصليبية في أوسع مظاهرها .

ضمن هذا الجو المتأزم والحافل بالاختلافات في وجهات النظر ما بين الحكام كان ضروريا أن يقوم الملك باستدعاء الكاردينال خيمينيس لعقد مجلس استشاري حول الاستعدادات والترتيبات لشن هجوم يكتسح معظم شواطئ الشمال الافريقي ، الا ان هذه الاستشارة ولم تجد صداها في سمع فارديناند كما توخا ، الصليبيون ، حيث وافقهم على تنفيذ الخطة بعد فيها وطالبهم باعطائه مهلة من الوقت للتروي والتفكير ، بحجة العجز المالي الذي عاناه من جراء الحروب الايطالية وفقدانه الوسائل المادية الكفيلة بتمويل هذه الخطة لضمان نجاحها .

اغتنم الكاردينال الفرصة ، وبادر بتقديم الوعود والاماني للملك وشرح الخطة العسكرية التي يتطلبها الغزو ، معتمدا في ذلك على تعهده بتقديم المساعدات المالية ، وتحمله كافة المصاريف شريطة ان يكون ذلك قرضا من الكنيسة ، يشعره بان هدف الغزو هو بني صليبي أعمق من أن يكون سياسيا وبما ان هذه الفكرة نضجت منذ امد بعيد في ذاكرة ايزابيلا ، فقد حظيت بالقبول

من ملوك الكاثوليك الذي كانت تربطه بها علاقة دينية وثيقة ، اضافة الى رغبتها البابا الكسندر السادس الذي أعطى الحملة طابعها الديني في تصريح ١٤٩٤ حيث "طالب الأولياء بتشجيع منه ، ان مصلحتهم تكمن في اعادة رسم الذكريات الاسبانية النبيلة ." (١) .

لكن ظروف الاقدار في سنة ١٥٠٤ أن تفارق الملكة الحياة دون تحقيق أمنيتها ، هذا بعدان أوصت بعدم التخلي عن مواصلة الاستعدادات لتأمين الغزو وتوجيه الحملة ضد شمال افريقيا قائلة ، "انني أرجو من الامورة ايزابيل والامير زوجي وآمرهم باطاعة وصايا الكنيسة أمنا المقدسة ، فعليهما ان يقوما بحمايتها ، والا يكفا عن متابعة فتح افريقيا ومحاربة الكفار ." (٢)

حسب المصادر الاولية ، والتي كانت سطرة ضمن برنامج الاحتلال ، كان التفكير بانجازعملية الانزال بوهران اولا ، الا ان معلومات جيرونم فيما تبقى من الوثيقة (٣) واختيار المرسى الكبير للاسباب المذكورة سلفا ، فلم يكن شمال افريقيا قاعا مجهولا وجديدا على الاسبان ، بل كان مسالكا معروفا لهجرة البحارة القاعا لا تيون ورسل الامراء لجمع الغنائم احيانا ونظرا للعجز المالي الناجم عن الخزينة الملكية .

---

(١) شارل - فاي - (تاريخ وهران قبل واثناء وبعد الاحتلال الاسباني) ص ٢٤

(٢) ابي ابيا نيال (طي مخطوطات العلم .) ط ٢٧ .

تكفلت الكنيسة بتمويل مشروع الحطة بمفردها ، ومن خلال مالها ، بعد ما اعطى الملك موافقته لتنفيذ الخطة

استراتيجية موقع المرسى الكبير

تكمن اهمية المرسى الكبير في موقعها الاستراتيجي العسكري ، الذي يمثل البوابة الرئيسية لوهران او المهر او المنفذ لها نتيجة لاعتبارات عديدة ، منها قوة تحصين برجيها الطل على الميناءين ، وصلاحية رسو المراكب بها ، اذ لا امن أو استقرار لوهران دون تهيئة كليهما للآخر ، فالروابط التجارية والطوبوغرافية جد وطيدة بينهما ، اذ يمكن الدخول الى المدينة اي - المرسى الكبير - بمضيقة كبيرة هذا ان لم يكن من طريق وهران " (١) .

وقد ابدى معالم هذه الميزات اثناء تجسيد على المراكز الساحلية المغاوى فيمالي ، حينما قدم تقريرا وخارطة من ذلك لهلا ستف عن ذلك للاستفادة منها في تحديد ما سهاب بالاضافة الى مكانة وهران عن الباصات التجارية والعسكرية للمرسى الكبير ، واصفا اياها " بالمكان القوي التحصين والملجأ الوقائي للقراصنة " (٢)

ولم يغب عن أذهان الاسبان بواسطة ما جمع لديهم من معلومات واخبار ، عن فعالية المرسى الكبير استراتيجيا (٣) .

---

(١) لبيماس وهران دراسة جغرافية وتاريخية ص ٧٠

(٢)

ومدى اتخاذها كنقطة ارتكاز وتجمع أولى نظرا لهذه الخاصية ، كما أنها تخول لهم التمركز وحدقوا هم لمدد الانطلاق الى وهران ثم التوسع بالداخل ، مما يصح لهم فيما بعد اتخاذها كقاعدة خلفية في حالة تثقل الزحف ، سواء كان ذلك على طول الشريط الساحلي ، أم صوب الداخل الوهراني ، وفي نفس هذا السياق يذكر فالمجو" بما يقال ،فان هذه المدينة ستظل دوما ذات اهمية لمملكتنا ، فالمرسى ومليحيها لا تعدنا الا اذا امتلكنا الاحتفاظ بوهران، الاحتفاظ بالمرسى الكبير" . (١) _

من هنا تبدو نوعية العلاقة ما بين المدينتين ، والقيمة العسكرية التجارية في الاحتفاظ بهما معا ، اذ لا لا استغناء الواحدة عن الاخرى ، هذا كله ساعد فيما بعد على اختيار المرسى الكبير كمنطلق اساسي للاحتلال وضمن دائرة هذا النشاط العسكري التجاري ، وهو جانب في غاية الأهمية ، يطالعنا وصف الادريسي للمرسى الكبير اذ يورد قائلا : ولها على ميلين منها - اي مدينة وهران - المرسى الكبير ، وبه ترسو المراكب والسفن الصغيرة وهذا المرسى يحترز من كل ريح : وليس له مثال في مراسي جانب البحر من بلاد البربر ، ويشرب أهلها من واد يجري اليها من البر وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه مكثة ، وأهلها في خصب ، والعمل بها موجود ، وكذلك السمن والزبد ... ومراكب الاندلس بها مختلفة ..."(٢) .

---

(١) كازناف (البطة الافريقية) ١٩٢٥ ص ٣٣ .

(٢) الادريسي (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ص ١٠٥ .

لم يعدنا شر جبل طارق وحده بالصفات الطوبوغرافية ، التي تخول له أن يكون فعلا بوابة للبحر الأبيض المتوسط ، فقد كان المرسى الكبير بدوره مركزا حساسا لمراقبة أو تهديد السواحل الغربية من الحوض الغربي ، اضافة الى اعتباره حلقة وصل ما بين الامبراطورية الافريقية ، وكذا ما بين الساحل الافريقي وما خلفه[1] ، ومن هذه الوضعية يورد ـ ا يورا ـ Gonzalo Ayora ذاكرا أن " المرسى الكبير سمي بطحاء جدّ قوية وكبيرة ، ذات قيمة كبرى لجلا لتكم ولفتح افريقيا ، وحسب اعتقادي يتطلب من جلا لتكم تدميرها في مصاف المراكز الاولى ، اذ كان جبل طارق بكل ما يملكه من وسائل لفتح افريقيا وامن اسبانيا . . . لنفس الغرض والاسباب تجعل المرسى الكبير في المقدمة ، فهو سلطته يتم فتح نصف الشمال الافريقي ، وضمان كامل أمن اسبانيا تدميرها ، " (٢)

التجهيزات الاسبانية والاستيلاء على المرسى الكبير :

تضاربت الآراء وتباينت التحليلات التاريخية ، حول تاريخ انطلاقة الحملة من الساحل الاسباني ، وكذا حول تاريخ وصولها الى المرسى الكبير ، وسنورد فيما يلي بعض

---

1) Marmol carvajal, - Description de Affica 2 parte

٢) ديدي (تاريخ وهران) الجزء ٢ ص ٢٦٩

هذه الوقائع سنة واحدة في نفس الوقت ، التركيز على الاقتراب من تحديد موعد ابحار الاسطول الاسباني ، اضافة الى تاريخ وصوله الى الساحل الوهراني .

"كان يوم ٣ سبتمبر ١٥٠٥ هو تاريخ ابحار الاسطول من قاعدة كانتال دى فاز ميليانه Canal Vegmeliana - بالقرب من مالقة متجهة صوب المرية ، ثم منها الى كاب فالكون حيث يتم الانزال يوم الاربعاء ١١ سبتمبر" (١) قد يكون هذا اقرب الى الصواب اذا ما اعتقدنا أصلا على شهر سبتمبر كتاريخ مشترك يجمع مختلف الروايات ، التي تتخذ مكزمن رقيمي لبداية الانطلاقة ، اضافة الى تعيينه القاعدة البحرية القريبة من مالقة الاوهي - كانتال - على نقيض مالا نجده في مختلف الروايات مذكورا ، اذ يجمع الرأي المؤرخين على - مالقة - لا غير ، دون تحديد لهذه النقطة الساحلية الهامة ، بينما تبدو وجهة الاختلاف في عملية الانزال بالنسبة للمكان ، اذ تمت هذه العملية بساحل الاندلس ولهس كاب فالكون (٢) .

غير أن - فاي - يجاري في تحديده لتاريخ الحملة ادلاء ساندوفال - دون ذكره للقاعدة الساحلية التي أبداها سابقة سلفا ، فيذكر الاسطول خرج من مالقة يوم ٣ سبتمبر ١٥٠٥ ، ونتيجة للرياح المعاكسة لم يصل الى - المرية - الا بعد ستة ايام لشحن حامية أرغونيه ، ومنها - أي المرية حيث يصل الى ساحل الاندلس في اليوم الثاني ." (٣) أي ١١ سبتمبر وهو التاريخ الذى يوافق تدوين ساندوفال ،

---

١) دييغو (تاريخ وهران جزء ٢ ص ٢٦٢

٢) ساندوفال (الحملة الافريقية) ص ١٨٢

٣) ل . فاي . (تاريخ وهران وقبل واثناء وبعد الاحتلال الاسباني) ص ٥٨

الا ان جيليان - يستبعد قليلا عن هذا التاريخ بسبعة ايام وفي نفس الشهر ، واعتقد ان مرد ذلك راجع اساسا الى اتخاذه - العرف بدلا من مالقه قاعدة الابحار لانه يبدو من خلال ما استعرضنا ، ان الاسطول حمل بالمرية فعلا في اليوم التاسع ، اذا ما اعتبرنا الفترة الزمنية التي استغرقتها المسيرة الساحلية الاولى والمقدرة بستة

ايام ، يضاف اليها الايام الثلاثة الأولى اي ٣ سبتمبر وهو تاريخ بداية الابحار من كارتاجنة ، بينما يتفق مع ما بقيمة بالنسبة لفترة حصار المرسى الكبير التي استغرقت زهاء خمسين يوما وتاريخ الاستيلاء الا وهو ٢٣ اكتوبر وعن ذلك يستطرد قائلا : " بعد غارة قراصنة المرسى الكبير على سواحل - المكانت - والشي ، ومالقة في ربيع ١٥٠٥ يدخل الاسبانى حلبة الصراع ، فيتمكن الاسطول الاسباني من الرد على المرسى الكبير خلال شهر [1]

---

(١) ش.أ.جيليان. (تاريخ شمال إفريقيا) ص ٢٢٤

وتصدأ في من ٩ سبتمبر حتى ٢٣ اكتوبر ."(١) .

وما دمنا بصدد وغزو المرسى الكبير نجد سوارز Diego Suárez تائها في عظم التنا قضات ، وفي فوضى من عجيب الترتيب لبعض التواريخ بالنسبة للمورخين الاسبان الاساسيين ، الذين يذكرون ان الغزو تم ايام ١٣ سبتمبر او ٢٣ اكتوبر ١٥٠٥ م ، وحسب رايه ان هجوم الاسبان على المرسى الكبير" حدث يوم الاثنين ١٣ جويلية ١٥٥٦ م وفي الغد اي ١٤ جويلية - يحتل الاسطول المدينة ."(٢) الا ان ذلك بعيد عن جادة الصواب، حتى اذا ما اعتمدنا في تحليلنا وركزنا على المذكرة التي ارسلها خوان لاسو Juan Lasso من المرسى الكبير الى جلالة الملك والمؤرخة بتاريخ ١٢ جوان ٥٦م .

كذلك اورد المورخ بلميس Pelissier عن تقرير اسباني مترجم الى الفرنسية ان " الاسطول الاسباني غادر مدينة مالقة يوم ٢٩ اوت ١٥٠٥م ... ووصل امام المرسى الكبير يوم ١١ سبتمبر" اذ كيف يعقل ان يكون تاريخ الابحار هو ٢٩ اوت واقامة القداس بمسجد المدينة

---

١) ش ا . جيلمان . (تاريخ شمال افريقيا) ص ٢٥٢
٢) توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة) ص ٩٦ .

الذي حول الى كنيسة القديس مكائيل ، يوم ١٥ اغوستس
اي قبل تاريخ الابحار ؟ وفي فترة زمنية متأخرة
شيئا ما نجد ان الاحتلال الفعلي للمرسى كان بتاريخ
٢٣ اكتوبر فعلا ، في حين يركز ـ كال ـ على تاريخ
رحيل الاسطول بساحل المرسى يوم ١٢ سبتمبر
محاولا عن ذكر تاريخ الابحار من الساحل الاسباني (١)

فتركيزنا على العامل الزمني هذا يضعنا فرصة
للتحليل ، ويعطينا المفتاح لحل عقدة الابحار
والاحتلال ، معتمدين في ذلك على ما اجمعته مختلف
الروايات بصفة شاملة حول مدة الحصار التي دامت
قرابة خمسين يوما . وها نحن نورد احداث ووقائع
الاحتلال كالتالي : اعرض الملك فاردينا ند عن رأيه
المتمثل في رفض نقل ميدان الحرب الى ساحل
الشمال الافريقي ، المقترح من قبل خيمينيس
بحجة العجز المالي لتغطية مصاريف الحملة (؟؟؟
فتراجع عن هذه الفكرة ، ووافق على استعدادا تها وتجهيزاتها
وقد برز هذا اثناء تعبئة وتعريب الشواطئ الاسبانية
هامة مملكة ـ نابولي ـ وربما كان هذا هو الوازع
الذي دفعه لقبول فكرة التوسع ، بل كان احد الاسباب
الرئيسية بالتعجيل لاحتلال المرسى الكبير .

ابحر الاسطول من ـ كانتال دي الصليبيا ـ
بالقرب من مدينة مالقة يوم
٣ سبتمبر ١٥٠٥ م على متن ست عمارات بحرية ومجموعة

(١) كاسي كال (وهران وهو حيها قبل الاحتلال الفرنسي
ص ٢٥

من السفن وبواخر التموين ، تحت اشراف - بيرون دي كاردون D. Raymond de Cardone جنرال الاسطول الاسباني وبامر من الملك فرديناند نفسه ، بينما وضع الجيش الذي يبلغ قوامه ... ، ٥ جندي تحت قيادة - هارنوند ازدي قرطبة D. Diego Hernández de Cordova وكان سبب اتجاهه الى المرية بعد طول المدة للوصول اليها ، نظرا للعوامل الطبيعية المتجلية خاصة في الرياح المعاكسة ، حيث استغرقت الفترة حوالي ستة ايام ، بهدف الى تعزيز القوة العسكرية بحامية ارغونية يتم نقلها من المرية كي تساهم في تدعيم الطاقة العسكرية للأسطول .

كانت الخطة العسكرية التي اعتمدها الاسبان في سبيل حصار المرسى الكبير وحصنها ، تتمثل في فتح جبهتين رئيسيتين متوازيتين ، اولاهما بحرية وثانيهما بحرية ، وهذا حتى لا تتكرر صور الفشل التي اعتادوها خلال هجماتهم الغارطة ، وقع انزال الوحدات الاولى بشاطئ الأندلس يوم ١ اكتوبر التي لم يتعرض لها او يعرقل زحفها صوب قلعة المدينة ، سوى زرافات قليلة العدد في مناوشات ومحاولة رد فقاوموا عملية الانزال مقاومة عنيفة وباسلة ." (١) تحرس القلعة والمدينة حسانة جندي لا غير ، ومرد ذلك الى طول انتظار وصول الاسبان الى المرسى الكبير بسبب الحاجز المناخي

---

١) قرامون (تاريخ الجزائر في العهد التركي) ص ١٢٧

أي الملاحة المعاكسة - جعل قوافل المسلمين المتوافدة الى المدينة من كل حدب وصوب ، لشد ازرها هدى المرسى ، تسلم وتهاس من هذا الوصول ، فغادرت المرسى املا منها في العودة ، اذا ما تم الامر فعلا ، تاركة وراءها ذلك النزر القليل من الحراس اذ كان كامل الزمن له دوره الفعال في تقهقر المسلمين وسقوط المدينة من حيث المجابهة .

تمكنت الفرق العسكرية الاسبانية من اختراق سور القلعة ، واحتد الاشتباك ما بين الفريقين ، بالرغم من الحصار المضروب على المرسى وساحلها زهاء خمسين يوما كما اورده جل المؤرخين في مختلف تقاريرهم (١) واستطاعوا من فتح ثغرة في القلعة ، سهلت لهم عملية اختراق الكرات الحديدية بالداخل ، والتي اصابت احداها حاكم القلعة فتوفي على اثرها ، وبذلك اقتحموها فتم لهم الهيمنة عليها ، والتحصن بها في انتظار الاستيلاء على ما تبقى من الحصون والمدينة ، بينما ظل الاسطول رابضا بالمرسى ، سواء لقلة الحصن والمدينة باستمرار لتغطية زحف الوحدات البرية المتجهة صوب القلعة .

---

١) قاي - تاريخ وهران قبل واثناء وبعد الاحتلال الاسباني ص ٥٨ .

مجلس الشورى ونهاية الاحتلال :

في تلك اللحظات الحرجة ،التي يتوقف عليها تحرير المرسى وتعزيز المقاومة ،(١) كانت انشغالات اعيان المدينة ، وشخصياتها الدينية السياسية تطالب بعقد اجتماع عاجل لتدارك الموقف ، والتعرف على الوضعية التي ادت بالاسبان الى احتلال القلعة ، والتفكير في اعادة تنظيم خطة الدفاع ، وطلب المدد من القرى والمدن المجاورة .

اتخذ مجلس الشورى - الذى يعتبر بمثابة هيأة اركان حرب عامة - جلسته بدار المزاور ، ولعل ابرز ملامح التنفاض الناجمة عن هذا الاجتماع،قد عجلت باحتلال ما تبقى من الاماكن اذ تصدعت الوحدة ، وانشطر الجمع الى فريقين ، فمن مؤيد لاعادة تنظيم خطة الجهاد،ومواصلة المقاومة حتى الرمق الاخير ، وهذا بزعامة الشاب موسى بن علي الذى لم يجد لحماسه وجسارته لدى المجلس آذانا صاغية ، ما عدا موافقة النزر القليل من الحاضرين له ، ثم من مستسلم للأمر الواقع نظر التفوق المدو عدة وعددا ، حيث كان الهاجس الاكثر الحاحا يكمن في التخوف من رد الفعل ، والانتقام من الأهالي ، وهتك الأعراض

وفي تلك الأثناء جاء رد الأغلبية بتوقيع العريضة وعقد اتفاقية ، كانت شروط الاستسلام

---

١) قد اشرنا سلفا ان المرسى الكبير قد تعرضت لهجمات برتغالية متعاقبة كانت اولاها سنة ١٤١٥ وثانيها عام ١٤٧١ م .

فيها قاعدة تعطي للاهالي مدة ثلاث ساعات للرحيل واخلاء المدينة من كامل السكان (١) ومنعهم من التزود بالمؤونة وحمل اواخذ السلاح ، والاحتفاظ بحيواناتهم الجر وحد ما كان متوقعا ، فيغادر الجميع الحصون والمدينة معًا .

وصل المدد واطل على مشارف المدينة ولكن بعد ان وقعت الحرب اوزارها ، وتمكن الاسبان من التحكم الفعلي والكامل لها ، كانت قوة عسكرية هائلة ، لو وصلت يوم واحد فقط قبل التوقيع على شروط الاستسلام لاستطاعت ردهم و تحرير القلعة ، اذ كانوا يفوقون الاثني وعشرين الف رجل ، والفين من الفرسان ، كلهم من القرى المجاورة ومن مملكة تلمسان ، واسفر وصولهم عن مجابهة حول اسوار المدينة التي تحصن بها الاسبان ، وتصبوا عليها مدافعهم ساعة التسليم ، واعتبر المؤرخون هذه المجابهة بمثابة اختبار لقوة الفريقين وعن ذلك يذكر ـ ابورا ـ Gonzalez de Ajora كشاهد عيان " لم ارفي حياتي اطلاقا ابدع من هذه الفرقة المؤلفة من ثلاثمائة من الفرسان العرب التي كان يقودها بن دالي ولا ارهف سلاحا ."

وقد بدا خلنا بعض الريب في عدم استغلال العبر من الهجمات الاجنبية المنصرمة ، اذ كانت مغادرة القوى العسكرية المتمركزة بالمرسى قبل حلول الاسطول الاسباني احد العوامل وفي تفاوت العدد مابين الجبهتين وتسهيل مهمة

(١) فاي ـ تاريخ وهران قبل واثناء بعد الاحتلال الاسباني ص٥٨

الا حتلا ل ، ا ضافة الى عدم تنسيق وضبط ا جهزة الا تصالا ت فيما بين المدن المجا ورة لوصول النجدا ت في نقطة ما ، وفي ا سرع وقت .

التحضيرات العسكرية وا حتلا ل وهران :

ا غرى خيمينيس (١) Ximenes الا سبان بما قدمه من وعود بالنصر المحقق " فتركوا آخر الا مر ا رض الا ندلس كي يبدأ نفوا في ا فريقيا الحرب الصليبية التي ختموها في الا ندلس فاستولوا على المرسى الكبير ١٥٠٥ ووهران ١٥٠٩" (٢)

---

(١) يبدو منذ نهاية القرن الخامس عشره ومستهل القرن السادس عشر ، ان مصير المملكة الا سبانية كان بين يدى الرجل المتدين خيمينيس الذى اتم دراسته في اللا هوت وزار روما ثم انخرط في صفوف الفرانسيسكان واعتزل في اديرتهم زهاء ثمان سنوات ، والذى اتخذته ايزابيلا معلم اعتراف ـ Confesseur ـ للا قرار بخططها ها ، حيث تأثرت بشخصيته ، فاعترفت به ، واصبحت تطلعه على كل القضايا الملكية وحتى الا سرار منها ، والا تقدم أية قضية الى المجلس الوزارى دون اطلاعه عليها مسبقا ، للبحث فيها وابداء الرأي ، ومن ثمة بدأ يعتلي المناصب الدينية من رئيس اساقفه طليطلة الى كاردينال ، فوزير أول .

(٢) دائرة المعارف الا سلا مية المجلد السادس ص ٣٤٦ .

وقد رأينا ان التطاحن السياسي الداخلي باسبانيا، كان جلنيا في العلاقات ما بين الملك الكاثوليكي والكاردينال خيمينيس اسقف طليطلة، نظرا لتعصب هذا الاخير، واصراره على الاسراع بالتحرك صوب وهران للحصول على نتيجة، يدعم بها شرف مكانته وقدراته الحربية، خاصة تجاه انظار الملك، بالاضافة الى صبغته الدينية، كما كسا الرأي العام كله لصالح الحملة وهي في بدايتها، في الوقت الذي هنددت فيه شواطئ كلّ من فالونسية واندلسيه فابدى الملك موافقته مع اعطاء الحرية المطلقة في التصرف للكاردينال

وقبل ركوب البحر يقرر عقد اللقاء بقرطاجنة، بتاريخ ١٥ ابريل ما بين الكاردينال والجنرال بيدرونافارو(١) Pedro Navarro الذي نصب على رأس الحملة من طرف الملك، وليس النية لرغبة خيمينيس التي كانت ترمي الى اختيار بديل عنه، وبالرغم من رواج بعض الاشاعات والتي مفادها ان الجنرال بيدرو نتيجة للحقد والحسد الذين يكنهما للكاردينال، عزف عن عدم رضاه للمسيرة للعسكرية تحت اشراف اسقفه، فاصدر الملك قرارا رأى مر فيه نافارو بوضعه تحت القيادة المطلقة للاسقف، والامتثال لطاعته

---

(١) بيدرو نافاروهو من عائلة بسيطة وبدوية بنافاريا، لم يتعاطى العلم والتربية منذ نعومة اظافره فمستواه يظهر في قراءته البسيطة فقط، حيث ابتدأ حياته العملية كبحارة. كازناف (المجلة الافريقية ١٩٢٥) ص ١٤٣.

فنجم عن هذا ابرام اتفاقية يتعهد فيها الجنرال بتعطيه مسؤولية تموين الجيش ، وضمان المواصلات عن طريق الاسطول ، وحماية الفرق العسكرية (١) وذلك في اواسط فبراير من سنة ١٥٠٨ م .

يبرز على مسرح الاحداث الغاوص جيرونم فينا يلي Geronimo Vianelli (٢) الذي سبق الاشارة اليه في عمليات التجسس على الساحل الافريقي ، مما سببا للحملة كدليل ، والذي لم يتوان في استغلال الفرصة المناسبة للاتصال بالكاردينال عارضا عليه خطته وخدماته ، فتمكن من اجراز استحسانه ، وقبل كمستشار تقني للحملة .

عززت الحملة الثانية (٣) هذه المدعمة بالقائد خيمينيس وبيدرونافارو وجود الوحدات الاولى بالمرسى الكبير ، تحت قيادة مارتينياز ووطدت تمركزها ، وهذا منذ ان اقلعت من قرطاجنة يوم الاحد ١٣ مايو غير انها ارسلت بالسفن نتيجة للعواصف ، ولم تنطلق ثانية الا يوم الاربعاء ١٦ مايو وعلى متن اربعة عشر سفينة ، خمسة عشر الف جندي ، على الساعة الثالثة زوالا ، فترسو بارزيو كقاعدة اولى ، ولا تصل الى المرسى الكبير الا يوم ١٣ من نفس الشهر .

---

١) كما مي كال (وهران وضواحيها) ص ٢٥

٢) اضافة الى سمعته التجسسية فقد سبق ان تجند في المدفعية تحت اوامر نائب سلك نابل برتبة عقيد قديم .

٣) كان التأطير للحملة العسكرية الثانية مكونا كالتالي : الجنرال العام للحملة بيدرونافارو ، ديا قو قرطبة النقيب العام ، سانش مارتينا زدي لارقاعده ، حيث سيتولى هذا مستقبلا منصب حاكم لوهران ، وبقية القادة الونزودى قرطبة ، بيلالبا ، وكونت ألتاسير ، دياقودى فيرا قائد المدفعية ، فونزالودى ايورا ، جيرونم فينا يلي اميرال شرفي ، وحراس الكاردينال تحت قيادة الخمير موسا .



Pierre NAVARRO

القائد الإسباني « بيدرو ناڤارو »

فيجمع خيمينيس قواده في التوفي مجلس عسكرى حيث يقرر بالرغم من بيدرونا فارو الابحار في اللحظة نفسها دونما انتظار ، اذ كان طوال الليل مشتغلا بالخطة الهجومية المرسومة ، وفي الصبيحة تتوقف المراكب امام وهران . (١) وضمن المجهود المتواصل الذى انجز ، سكان المدينة في تحصينها وغلق الابواب البحرية والبرية لا حتمالهم في الافق القريب ،حجافل المراكب الاسبانية وقد رسيت على مقربة من المدينة ، فاوقدوا المشاعل على رأس جبل مرجاجو ايذانا بدو الخطر، واشارة تفاهم يشعرون فيها قبائل السهول المجاورة باخذ الحيطة وارسال المدد .

كان لاحتلال المرسى الكبير عاملا هاما في احتلال وهران ، حيث سمح الطريق البرى لنافارو من الاتجاه صوب الجهة الشمالية الغربية من المدينة معتليا ربوات الجبل وهذا صبيحة يوم الجمعة ١٨ ماي صحبة الفي جندي ، وبعد اجتيازه الممرات الجبلية ، والمسالك الوعرة ، اقترب من سور المدينة بواسطة المتسلقين من الجند .

كانت هذه الخطة التمهيدية للاحتلال ، قد تبعها الهجوم البحري وذلك عن طريق التاجر اليهودى المدعو بن زواوه

---

(١) Alfonso El Sabio : - primera Cronica General de España - (Madrid 1952) p. 48

بمرسيناً يلقبه مارمول ماتوره Cetorra (١) أو شاطبوا (٢) من مها جرهي الاندلس ، حيث تمكن بواسطة مراكبه الصغيرة استقدام الجنود الاسبان من على ظهر السفن الراسية قرب وهران ليلا ، وادخالهم الى مخزنه ، ويذكر المازري بهذا الصدد " ان احد اليهود الذين هم بوهران تحت ذمة المسلمين يدعى زولي بن كبيسة - وفي رواية اخرى بستوره ، ادخلهم سرا بالحيلة ، فقام الجيش لباب المدينة المقابل للمرسى ففتحه لهلا ، واخذ العاصين ، وهما عيسى بن غريب العروسي ، والقناص بن طاهر عبد اللاوي " (٣) .

اندفع الاسبان صوب الداخل بعد تراجع الاهالي واعتصامهم بالمسجد الاعظم بحي القصبة ، فما استطاعوا للتصدى لهذه الاعداد الضخمة من سبهل ، فسقطت المدينة بعد نزال شرسي دام خمسة ايام بلياليها ، فمنهم من لقي حتفه داخل المنازل والمسجد بعد ان دكت اركانه ، ومنهم من فر تاركا وراءه اهله وأملاكه الى الضواحي القريبة ،وأما الزمرة المتبقاة من دخلت في نطاق الأسر وكان عددهم ٨٠٠٠ ، بينما اكتظت الشوارع بجثث الصبية والشيوخ بما لا يقل عن ٤٠٠٠ قتيل .

يصل خمسينيس عن طريق البحر ، ويحل مركز المدينة ،حيث يجد في استقباله الجنرال نافارو فيسلم

---

(١) يذكر كازناف انه تاجر يهودي ذو علاقة ، وطيدة بموانئ اسبانيا التجارية

(٢) أ توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة) ص ١١١

(٣) المازري (طلوع سعد السعود في اخبار وهران ، ومخزنها الاسود المقصد الرابع

فيسلم له مفاتيح المدينة بالاضافة الى تقديمه ٣٠٠ رقيق مسيحي كانوا محتجزين اسفل الثغر الجديد (البرج الاحمر سابقا) فيد خلها متهاهيا متحدثا لاقربيه، بلهجة الغبطة والتهكم انه " انتزع من الكفار - اي المسلمين - مدينة اكثر جما لا واقوى بطحاء ثراء في العالم ." (١) ويذكر الما زرى بهذا الصدد قائلا : " وسما طوكيها - المرسى الكبير استقروا بها الى ان تقدموا لوهران ، فدخلوها في آخر المحرم سنة اربعة عشر من العاشر . (٢)

غنائم الاسبان ونتيجة الاحتلال :

في اليوم الثاني من سقوط المدينة ، يمتدى خيمينيس كل الجند للتجمع بالساحة وهم معلمين بكل ما جمعوه من غنائم ، فينتقى اندر النفائس ليبعث بها الى الملك فارديناند بفرناطة ، ويوزع ما تبقى على افراد الحملة ، بينما ينازل عن حصته ولا يختار الا بعض الكتب العربية التي عثروا عليها بمكتبة القلعة ، وثريا المسجد الأعظم ، اضافة الى الاسلحة والاعلام ، ويختتم حفله بتوزيع المساكن على

---

١) بلوم (على خطوات العلم) ص ٢٤ .

٢) الما زرى (طلوع سعد السعود في اخبار وهران ومخزنها الاسود) . المقصد الرابع .

الفساطيط كرا لهم صنيعهم باسم الملك والكنيسة (١) وقدر المؤرخون ومنهم - قامار - مجمل الغنائم بحوالي ٥٠٠٠٠٠٠ اوقية ذهب و ٦٠ قطعة مدفعية كبيرة كانت مثبتة بأسوار الحصون ، وكل القطع الحربية المتداولة في تلك الحقبة .

اذا تركنا هذا المجال جانبا ذو الصورة القاتمة، والتفتنا لاستعراض الاوضاع السياسية للقبائل المجاورة، نجد ان قبائل بني عامر، ومن احتوتهم دائرة الاحتلال الاسباني بضواحي المدينة ، قد سخروا انفسهم لخدمة الدخيل وتحولوا الى جواسيس وعبيد .

وفي الطرف الاخر نعني به مملكة تلمسان، فقد تلقت الصدمة بفاجعة اكبر واهول منها، اذ اعلن ابو حمو الثاني مجرد وصول النبأ، اعترافه بتبعيته للمملكة الاسبانية والتعامل معها ، وموافقته على دفع الجزية المقدرة سنويا باثني عشر الف دوقة ، اضافة الى اثني عشر من احسن الجياد .

---

(١) Pons Boigues Francisco, - Ensayo bibliografico sobre los Historiadores y geografos Arabigo - Españoles, - (Madrid 1898) p 214

* تنس والصراع بين الاشقاء :

كرس دون دياجو DON DIEGO جهده بعد كارثة مسرغين في البحث عن وسيلة تكمن أولا في بث التفرقة فعصفوف أمراء تلمسان وثانيا في محاولة الأخذ بالثأر بواسطة القبائل الموالية له ذلك أنه كان محط أنظار المملكة الاسبانية والممثل لها على هذه الرقعة الضيقة ضمن الاطار الكبير لشمال افريقيا فلا بد اذا من التخطيط للرقي من كرامة أسبانيا المنهارة والتي وحلتها قبائل مسرغين ووهران في التراب آنفاً .

كانت ضالته المنشودة في ذلك تكمن في شخص يحيى الثابتي - الذي سبق لعمه أبي حمو الاطاحة بعمه أبي زيان والاستيلاء على العرش فسعى دياجو لمساندة يحيى وامداده بالعدة والرجال ، وعمل على توسيع هوة الخلاف بين الاشقاء وزرع بذور الشقاق ليس هذا بين القبائل فقط بل وحتى بين أفراد العائلة الواحدة كذلك .

حدث ذلك بتنس عندما أعلن يحيى الثورة على عمه والذي سبق له أن أخذها تحت حماية الاسبان حيث كانت الضحايا من الطرفين على أيدي المجموعتين نفسيهما ، والاسبان يشرئبون بأعناقهم من على لمشاهدة الاماسة ، وهم في كامل الغبطة لنجاح خطتهم المتمثلة في ضرب العرب بالعرب (وعلى هذا المنوال ضربوا عصفورين بحجر واحد) .

بعد سقوط العدد الكبير من الطرفين رفض جيش أبي حمو مواصلة القتال وهم في أوج الانتصار على يحيى ربما كان ذلك استدراكا منهم بالفخ المنصوب من طرف الاسبان ، فرجعوا الى تلمسان تاركين يحيى بتنس .

لماذا تأخر احتلال وهران عن المرسى الكبير بأربع سنوات ؟

هناك العديد من الاحتمالات ساهمت في الابطاء وتأخير الاحتلال لمدينة وهران تكمن في شدة التحصين ، وكذا المناوشات المفاجئة التي يتعرض لها الاسبان من حين لآخر من طرف القبائل المجاورة فقد حاول الاسبان انزال وحداتهم بوهران ، لكن وجدوا في ذلك صعوبة ناجمة عن تعذرهم لتسلق أسوار المدينة واقتحام أبوابها الموصدة فعادوا أدراجهم الى نقطة التعسكر بالمرسى الكبير ،

ردود الفعل والمقاومة الدينية :

لم تمر هذه الاحداث أمام أعين الائمة ورجال الدين هكذا سدى بدون أن تعيرها أى انتباه ، كما أنها لن تظل فى موقف المتفرج طويلا بل كان ولا بد من القيام بحملة دينية للتوعية والوعظ ضد هؤلاء المغتصبين ، المنسلخين عن عقيدتهم وقبليتهم الاصيلة عساهم أن يرجعوا الى جادة الصواب ... فكاتبوهم فى ذلك نثرا وشعرا وأرسلوهم به برا وبحرا ... (٨) ولما دقت ساعة رحيل الاسبان والجلاء عن وهران وفى التفكير فى مستقبل هذه الفئة الظالة أيسمح لها بالبقاء والتكفير عن خطاياها أم ينبذوها ويتركوها وشأنها . وبالفعل وقعت استشارة بهذا الصدد بين الامير وجماعة من العلماء والايمة الذين التحقوا بوهران أثناء الفتح الاول ، أسفرت عن تساؤلات الأمير بحيث هل يؤمنهم خوفا من أن يذهبوا من الكفار الى بلادهم فيتنصرون أم يدعهم وشأنهم خوفا من انضمامهم ثانية الى الاسبان والذوبان والانصهار فى بوتقتهم .

وأخيرا وقع الاتفاق على مراسلة الحكام والتعهد بأمنهم ، والمحافظة عليهم ، الا أنهم لم يثقوا بذلك وطالبوا بارسال سخصيات ذات ثقة ومعروفة تؤكد لهم ذلك التعهد وتلتزم بتنفيذه فما كان من أمر الأمير الا أن يلبى طلبهم هذا ، فبعث اليهم بقاضى البلد السيد عبد الله بن حواء وخطيب المسجد الأكبر السيد محمد بن فريحة فخطبوا فيهم ومنحوه السلم والأمان . وعند الرجوع اصطحبوا معهم نحو الاربعين نفرا بينما الفئة المتبقاة وعدتهم بالاستسلام والرجوع حينما توافيهم الظروف لبيع أثاثهم لكونهم كانوا مرتابين ومنتظرين فيما اذا كان النصح الحقيقى قد تم بالفعل للمسلمين ويسلم الاسبان المدنية أم لا ولما تحقق ذلك مكثوا مع العدو ثم ارتحلوا معه الى سبتة .

---

(٨) الحاحاوى ، أرجوزة - ص ٩

سياسة التنصير : شكلة التنصير - عطية فرار الجند الاسبان - اعتنا قهم الاسلام بسبب المجاعة .

قد يكون جد طبيعي قبل التعرض لفكرة التنصير والقيام بعطية ربط بينها وبين عطية الاسلام فكلا هما وقع بالفعل في نفس الفترة .(١) اذ الفكرة الأولى تولدت عن طريق الامر بالقوة والاكراه، بينما الثانية جاءت نتيجة الازمة الاقتصادية التي عرفها افراد الحملة من جوع وفقدان المواد الاولية والتي كان سببها الرئيسي يتجلى في عدم تموين الاسبان لمراكزهم الساحلية من شمال افريقيا .

هل اقتصرت سياسة التنصير على مسلمي شمال افريقيا اثناء الاحتلال فقط؟ للاجابة على هذا السؤال لا بد من الرجوع بشريط الأحداث الى الوراء قليلا وفي نطاق خارج عن المسرح الافريقي بل على الارضية الاولى من بلاد الاندلس . لقد كانت اكبر مجموعة اسلامية تمثل الجاليات العربية متمركزة بمنطقتي فالونسيا وأندلوسيا وعلى صلة وثيقة بين افرادها ورابطة قوية بينها وبين البحارة الاتراك وهذا حتى بعد الهيمنة الاسبانية المطلقة على بلاد الاندلس ورغم اجراءات التنصير التعسفية ظلوا محافظين على تقاليدهم العربية ومتمسكين بالدين الاسلامي

---

(١) ذلك ان الكثير من المؤرخين يتعرضون لفكرة التنصير المقتصرة على المسلمين دون شرح وابراز اسباب اعتناق جند الاسبان الاسلام كما جاء في مرجع المؤرخ ستيفان كزال (تاريخ شمال افريقيا)

ومرتلين للقرآن سرا للكتمان دون الاجهار به ونتيجة للضغط والاضطهاد يمدون يد المساعدة لكل مسلم يتوسمون فيه النخوة والجهاد فيتخذ هم كدليل ومرشد لمعرفتهم الدقيقة بالاراضي الاندلس ومسالكها الوعرة ومنافذها.

كان الوضع الاجتماعي والقانوني للمجتمعات العربية الباقية في الاندلس ، - التي احتفظت بمناطق اقامتها ووجودها جد متباين من فترة لاخرى ، وذلك بعد ان مست في حياتها الفكرية والعقائدية والاقتصادية ، فرضخت عنوة للسيطرة الاسبانية التي الزمتهم بارتداء لباس معين يميزهم عن باقي السكان الاسبانيين ،اضافة الى تحويل مساجدهم الى كنائس، وقد فاقت مهارتهم في الميدان الاقتصادى المجتمع الاسباني ذاته ، خاصة في ميدان وانواع الزراعات المختلفة كقصب السكر والتوت والرز ، وهذا بشهادة الاسبان انفسهم ، " فاخذوا كل الحرف والاعمال والخدمات كعمال لدى السادة، وبما انهم كانوا يقومون بهذه الاعمال على الوجه الاكمل ، لم يتعرضوا للبطالة ووفروا المال ، اما العاملون المسيحيون الاسبان فلم يجدوا عملا ." (١) .

ان السياسة التي نهجها - شيشنيروس- كبير اساقفة طليطلة ، (٢) على نقيض مارتاه اسقف - تالابيرا وقد ظهرت بجلاء في عملية القاء القبض على المسلمين المتمسكين بدينهم ، ورميهم في السجون وهم مكبلين لفترة غير محدودة، الى حين قبولهم ماء التعميد ،والا يعهد بهم الى اناس قساة

---

١) احمد بدر تاريخ المغرب والاندلس - ٢٨٦

٢) تهدراسته العليا في اللاهوت فزار روما ، وانخرط في صفوف الفرانسيسكان واعتزل في اديرتهم مدة ثمان سنوات ، ثم اصبح صاحب اعتراف للملكة - ايزابيلا - فمستشارلها .

اشداء في التعذيب ، فنجم عن ذلك بروز اول انتفاضة بحي البايازين ، والتي ستكون النواة الأولى في اندلاع العديد من الثورات مستقبلا ، كاد - ثيشنيروس ان يذهب ضحيتها خلال الحصار الذى دام اكثر من ثلاثة ايام ، فخمدت مقابل منح الامان للجميع مع حسر العقوبة ، تلتها فيما بعد ثورة جبال البشرات سنة ١٥٠٠م زها ثلاثة اشهر كاملة ، ثم ثورة بالمرية ، فاخرى بجبال - رنده - (١) .

ويلاحظ من جراء ذلك ان الموريسك ظلوا محافظين على اداء طقوسهم الدينية سرا ، والتظاهر بالمسيحية مع تحمل الاذلال والاستفزازات وذلك مابين سنة ١٥٧١ و ١٦٠٩م ، اما الذين رفضوا الصمت ، وابووا الا ان يعاشوا عن تمسكهم بالدين جهرا تحطوا نتيجة ذلك عقوبات محاكم التفتيش التي تدرجت في سياسة ضغطها وتشديدها ، بين مصادرة الاموال الى الجلد فالحرق (٢) ، وعن ذلك امثلة كثيرة ، لا مناص من ذكر بعضها ضمن هذه العجالة ، تتلخص في احراق مسلم سنة ١٥٦٠م بامريكا ، ومحاكمة امرأة من اصل غرناطي اعترفت امام المجلس القضائي انها مسلمة ، ولا زالت مصرة على احتفاظها بدينها وهذا في المكسيك ، فهي اذا متابعة وملاحقة محاكم التفتيش المسلمين حتى خارج المملكة الاسبانية . (٣) .

---

(١) Henre lespes; - Dan - p.42

(٢) Simonet Francisco Javier; - Description del Reino de Granada - p.217

(٣) دوزى رينهارت - تاريخ مسلمي اسبانيا - ترجمة د . حسن حبشي ص ٢٥١

وبالرغم من ذلك حافظ الاندلسيون المستقرون بالمغرب على علاقاتهم مع اخوتهم بالداخل الاسباني ، مما ضاعف من الهجمات البحرية التي اصبحت غير كافية بضرب السفن في البحر فقط ، بل قاموا بعمليات انزال عديدة على الشواطئ كانت سببا في تقوية الروح المعنوية للمسلمين ،وازاء هذه الاتصالات والثورات قامت محاكم التفتيش بعدة حملات بحثا عن الاسلحة ، ففي عام ١٥٦٣م تم تفتيش ما يقرب من ١٤٣٧٧ منزلا ، وتم العثور على ٣٣٠ قطعة سلاح ، و١٤٥، ٢٧ قطعة سلاح ابيض ، واعتقدوا بوجود رصيد آخر من الاسلحة خارج غرناطة ، ثم تهريبه سلفا الى المغاربة بالجبال (١)

أمام هذا الوضع بادرت محاكم التفتيش بمصادرة الاراضي لعدم وجود وثيقة الملكية ابان العهد الاسباني ، وعن ذلك يعلق احد الاسبان "ان الموريسك كجماعة دون قوة تدعمهم ،اولسان ينطق بالدفاع عنهم ، راووا انفسهم وقد اصبحوا ضحية حكم ينتزع منهم اراضيهم التي ملكوها شراء اووراثة عن اسلافهم ، دون ان يصغي احد لصيحاتهم(٢)

---

١) احمد بدر - تاريخ المغرب والاندلس-ص ٣٠٥

٢) العبادى عبد الحميد - المجمل في تاريخ الاندلس-ص ١١٣.

وقد بلغ مجمل القضايا المروضة امام محاكم التفتيش بغرناطة وحدها فقط تسعين قضية ، دفعت برجال الكنيسة الى عقد اجتماع بالمدينة طالبوا فيه اسكان العائلات الاسبانية مع الموريسك ، ومنحهم الحق في الدخول الى منازلهم وارسال ابنائهم الى قشتالة على نفقتهم الخاصة حتى ينشأوا على التربية الكاثوليكية .

غير ان هذا تسبب في اعلان الثورة في بعض قرى البشرات سنة ١٥٦٨ بقيادة محمد ابن امية (١) الذى اجمع المجاهدون بتنصيبه ملكا عليهم ، وتمكنت هذه الثورة من الصمود والبقاء لمدة سنة كاملة ،لم تتح للماركيز - دى موندىخار - فرصة الانتصار ونتيجة لفشله وانهزامه بقتل المساجين الغرناطيين بقشتالة ، فسمح الامبراطور فيليب الثاني (٢) بنهب الاهالي والتنازل عن خمس الغنائم للمملكة ، ثم ترحيل اهالي غرناطة خارج المدينة لعزل الثورة عنها ، فاوفد الموريسك رسلا الى كل من تطوان والجزائر وقسنطينة قصد مساعدتهم ، وشد ازرهم في مجابهتهم للاسبان فوعدهم - علبج - بعمليات انزال قوات من الجزائر، وامدهم بالاسلحة على فترات متتالية .

---

(١) ضمن دائرة استبدال الاسماء العربية بالاسماء الاسبانية المسلمي الاندلس قصرا ، اطلق عليه لقب هارناندودى بالور .

٢) طبقا لقراراته منعهم من استعمال اللغة العربية ، وارتداء الالبسة التقليدية ، وحرمانهم من القيام باحتفالاتهم واعيادهم وحماماتهم .

لم يقتصر التهجير و الطرد على المسلمين فحسب بل حتى على العنصر اليهودى الذى اعتبر منذ امد بعيدبالاشد مهارة في التجارة و اعمال الصيرفة ، فاصدرت محاكم التفتيش سنة ١٤٩٢ م مباشرة بعد سقوط غرناطة قرارا بطردهم ، وكانوا يمثلون المليونين من مجمل سكان اسبانيا ، فنزحوا الى وهران وتلمسان ثم فاس ، باعداد كبيرة و العدد المتبقي البالغ ... ، ٢٠٠ كان مصيره و التشيل والتعذيب(٣)

اما المسلمون فقد اعطيت لهم مهلة ثلاثة اشهر للتنصير او يحرمون من كل ممتلكاتهم ، عززها ملك البرتغال - دون مانويل - Don Manael - بمنشور تصريح يمهل فيه اليهود نفس الفترة الزمنية للخروج من اراضيه او يتنصرون(٢) - Bahteme غيران الكثير من الآباء القووا ابنائهم في الآبار خشية التعميد وآخرون اعتنقوا الموت ،وكان مجلس الحكومة الاسبانية بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٥٨٢ م قد اصدر قرارضد اولائك الذين كانوا مجموعات بمملكة فالونسيا ، ينص على طرد المسلمين لكنه من اجل ولم يدخل حيز التنفيذ نظرا للاحتجاجات ، وبالرغم من تدخل البابا نفسه واقتراحه بتحسين اوضاعهم بعض الشيء الا انهم ظلوا محمديين - مسلمين - قلباوقالبا.(٢)

---

(١) ا . توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة) ص ٥٢

(٢) Aguado Bleye Pedro:. Manual de la Historia de España - Tomos III p. 314

اما المسلمون فقد اعطيت لهم مهلة ثلاثة اشهر للتصفية او يحرمون من كل ممتلكاتهم ،عززها ملك البرتغال - دوما نويل - بنشر تصريح يمهل فيه الموريسك نفس الفترة الزمنية للخروج من اراضيه او يتنصرون (١) فيران الكثير من الآباء القوا ابنائهم في الآبار خشية التعميد وآخرون اعتنقوا الموت ، وكان مجلس الحكومة الاسبانية بتاريخ ١٩ سبتمبر ١٥٨٢م قد اصدر قرار ضد أولائك الذين كونوا مجموعات فالونسيا ، ينص على طرد المسلمين لكنه اجل ، ولم يدخل حيز التنفيذ نظرا للاحتجاجات، وبالرغم من تدخل البابا نفسه واقتراحه بتحسين اوضاعهم بعض الشيء الا انهم ظلوا محتفظين قلبا وقالبا .٥ (١)

٨

ومن النادر جدا العثور على من تنصر منهم عن طواعية - وحتى من اجبر على ذلك فانه ظل محتفظا بطابعه وعاداته ٥ فتصلنا اخباره عن طريق الوشاة .٥ (٢)

وكان مرسوم فيليب الثالث الموقع بتاريخ ١٦٠٩م لم يدخل حيز التطبيق الا في سنة ١٦١٠م حيث يتم الطرد النهائي للموريسك ، فجندت اسبانيا لذلك اسطولا خصص لنقلهم الى السواحل المغربية مكون من ٧ مراكب من نابولي و١٦ من جنوه ، وتسع سفن من سقلية واربعة

---

١)

٢) انظر نفس المرجع لبيدروص ٣١٥ .

واربعة من البرتغال ، بالاضافة الى السفن الاسبانية فسلمت قيادة الاسطول العامة الى - دون لويس فاكسار دو - الذى توجه الى مدينة الهكانت ثم جبي ٥ ب - دون أوقيستان ماكسيا - تنفيذ عملية الطرد ، وأصدر قرارا الى كل المسلمين للاجبار في التوصحبة أبنائهم ونسائهم (١) ، ورخص لهم حمل بعض الأثاث المنزلي نقله ما هذا الذهب ، وقسطا من المال لتغطية نفقات السفر ،ونصف حليهم اما النصف المتبقى يدخل في حوزة الخزانة الملكية (٢) .

وما حلت سنة ١٥٢٦ م حتى كانت هذه الجالية الاسلامية تنصرت قصرا . وأي تنصير هذا الذى يدى سطحيا ولم ينل من عقيدتهم في شيء ، بل اصبح مجرد ثانوى كان ذلك على رقعة بلاد الأندلس.

أما بالنسبة لشمال افريقيا فلا بد من التفاتة الى الوراء لاستذكار المشروع الباباوى المتضمن للمشروع الصليبي الشهير تردد بعيدا من الانف الذكر (٣) الذى نتج عنه قرار ثان ينص على فسح المجال لبداية الحروب الصليبية على بلاد المغرب ، لكن المشروع في حد ذاته لم يكن سوى اضافة وتتمة منتظرة للتنفيذ ، تنطوى ضمنها على أحلام ورغبات كل من فارد ينوند الكاثوليكي

---

١) - فترة مضطربة في تاريخ غرناطة -(صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مدريد ١٩٥٩ ص ٣٩ .

٢) دي ماس (لاطوى) العلاقات التجارية بين افريقيا والممالك المسيحية باريس ١٨٨٦ ص ١٢٩ .

٣) للتعرف على فحوى هذا المشروع الباباوى لابد من العودة الى الاوضاع السياسية باسبانيا -

واتيـزا بيلا ، فرفضتهما كانت قبل قرار البابا اكسنـدر السادس حول الصلح وتقسيم مناطق النفوذ بينهم وبين البرتغال ، في ملاحقة مسلمي الاندلس ، اما للقضاء عليهم اودفعهم للتنصير ، ثم متابعة الحرب الصليبية بعد ان توقفت ردحا من الزمن بسبب الحروب الاوربية وذلك للوصول من هنا اي من الاندلس الى الكفار اي المسلمين الذين كثيرا ما سارعوا لنجدة اخوتهم بالاندلس

وبعد ان استتب لهم الامر في الاحتلال العضيق بادروا بتنفيذ خطتهم في تنصير الاهالي ، كرها عن طريق الضغط وهنا لا بد من التوقف قليلا للاشارة الى نقطة هامة تتجلى في السؤال التالي : هل كانت سياسة التنصير لمجرد التنصير فحسب أم لأغراض أخرى ؟ .

طبعا ان هذه السياسة التنصيرية كانت تخفي داخلها أغراضا شتى ولم تكن تهدف فقط الى تسمح المسلمين . ذلك ان وجودهم مع دعاة الاسلام سيثير لهم من جديد مشكل المجابهة التي عانوا منها الكثير في الاندلس سابقا ، كما يسمح لمسلمي الاندلس المتمركزين بوهران والنواحي من اشعال نار الحمية في قلوب القبائل والقيام بحملة دينية عارمة من الممكن ان توجد الصفوف وتجمع الشمل بعد التفرقة خاصة ان الوجود الاسباني لم يكن متغلغلا نحو الداخل بل محتميا بأسوار النقاط الشاطئية (٢) .

---

(١) [illegible]

لم يكن هذا التوقع او الاحتلال المحدود بعيدا عن فكرة التوسع لولا المقاومة الشعبية والضايقات المتالية من طرف القبائل وليس دليلا على انهم لم تكن لديهم النية في التوسع كما نفى ذلك شارل اوندون جوليان (تاريخ شمال افريقيا)

ص ٤٨ .

ونتيجة لهذه الاسباب يبرز عامل الشك والحيرة لدى الاسبان ، فيهرعون للبحث عن وسيلة تخول لهم ان تتم عملية التصحيح هذه على نسق من الجدية والواقعية ، وأن تكون مرتكزة على محورين ،الاول يكمن في ارسال القسيسين والرهبان الى بلاد المغرب العارفين والمطلعين بقواعد اللغة العربية ، وحتى العبرية قصد تنصير اليهود كذلك (1). على ان يتم ذلك في فترة معينة وجد محدودة . والثاني يتمثل في ارسالهم لاسبانيا للتعايش مع الكاثوليكيين والتالم معهم جو مسيحي بحت . اذ نجد مقتصد وهران يدعم الفكرة الثانية في تقريره ذاكرا " ... ان العرب النهاريين لا يمكن تحويلهم الى مسيحيين اذا ما تم بقاؤهم بوهران لانهم يعاشرون العرب الآخرين ٢٠ . لكن هناك تناقض بالنسبة لهذا الادعاء . فمجرد ذكر كلمة هارب يتضح ان الفار الطالب الحماية يقبل على كل شيء دون بادرة الاعتراض ويرفض لشروط الحامي له خاصة اذا كان المجير عدوه في الدين واللغة والوطن ، ثم من هؤلاء العرب النهاريون أولائك الذين تهدتهم القبيلة بسبب وشايتهم للعدو وسموا بالمغطسين لتجسسهم على ابناء قبيلتهم قصد قيام العدو بغاراته الصفاجية ... ام العرب الذين يتمثلون في القبائل المتحالفة معهم ،فكلاهما يحتمل

---

1) كان هذا امل وطلب الكاردينال كزيمناس في بداية الترتيبات للحملة وعقد مشروع الصلح الشهير تحت رئاسة البابا الكسندر السادس.

2) كامي كال في مرجع وهران والمنطقة . ص ٣٢ .

الوقوع والقبول . وحتى نسبة المنتصرين وتعدادهم يبدو جد ضئيل اذا ما تصفحنا القائمة حيث اقتصر فقط على الاطفال الصغار ، الذين لم يتجاوزوا سن السابعة والحصل عليهم كغنيمة من جراء عمليات السطو والغارات ، ولم يحدث التنصير ابدا عن طوع بل عن كره وضغط وقوة . فوالي وهران فالمجو بذكر . (١) ... ان الاسبان يحصلون أثناء الغارات على الحبوب والانعام والرجال والنساء والاطفال الذين يبيعونهم للتنصير . اذا كان المعدل السنوي - حسب احصائه - ثلاثين منتصرا ..." وما دمنا بصدد الحديث عن التنصير بالقوة فحتى القبائل المتحالفة مع الاسبان نجدها ترفض فكرة التسميح وتضعها في اعلى قائمة شروط التحالف . مشترطة ان بقاؤها على تقاليدها وعاداتها ودياناتها وأنظمتها القبلية في الحكم .

ففي رسالة على هيأة وثيقة تحالف منها قواد وشيوخ وسكان كل من مدينتي مستغانم ومزغران نقتطف منها الفقرة التالية قد عهما لما استعرضناه من الامثلة والادلة السابقة ..." ... اذا احتفظ القواد والشيوخ وسكان مستغانم ومزغران بما هو مسجل ادناه فان الملك سيضطر لمحاربة كل اعدائهم برا وبحرا ولا يكلفهم او يجبرهم على التنصير بل يسمح لهم كي يعيشوا ويحكموا حسب قوانينهم وشريعتهم .... "

---

(١) فقرة مقتبسة من كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لصاحبه احمد بن محمد ابن علي بن سحنون الراشدي . حقيقة ان سياسة التنصير كانت تسير تحت غطاء الضغط والقوة وعلى هذا المنوال يذكر كارولان ((لم يكن للاسبان من الجراة والجسارة سوى نقل ميدان الحرب التي دامت باراضيهم الى شمال افريقيا ، وتحويل سلمي افريقيا بواسطة السلاح الى الايمان والعقيدة المسيحية ..)) . ص ١١٦

فمن خلال ما تقدم ذكره يتضح ان سياسة التنصير لم تحقق هدفها المرجو ولم تكن حافزا لتخلي الاهالي عن عقيدتهم كانت صخرة تحطمت عليها احلام المحتلين .

الا ان المشكل اساسا لم يكن في التنصير بل في التعمير وسياسة الاستبطان . حيث يبدو من تصريحات الملك وقواده انهم كانوا يرغبون دوما في الاحتفاظ بهذه النقاط الساحلية ، وتحقيقا لهذا هدفوا الى تعميرها بالعنصر الاسباني من المسيحيين واستقدامهم من اسبانيا وحتى يبعدوا عامل الشك والحيرة ويكون اعتمادهم اعتمادا منطقيا وفعليا على ابناء من جنسهم ودينهم وملتهم وتبعا لذلك نجد الملك فارديناند يقرر في بلاغات كان يبعث بها الى الكونت نارو يامره فيها الا يمكن بطحتى المرسى الكبير ووهران اي عربي ، بل يعمر كلاهما بالمسيحيين ، الا ان ذلك حق بالمراقبل نتيجة لتوزيع مجهودات الاسبان على طول الساحل الغربي من المتوسط حيث كان من المفروض استخدام اعداد وفيرة هائلة من الجند لم تكن في وسعهم وطاقتهم بالاضافة الى ضمان حامية لوهران التي كانت تشكل طليعة الاحتلال العنصر الرئيسي في انحصار الاحتلال وتضييقه .

---

(١) وحتى هذه الوثيقة تتناول جانبا من المجال الاقتصادي والعسكري تجاه سياسة الاحتلال المجلة الافريقية ١٩٢٨ م ص ٧٢ .

وازاء هذا الوضع لا بد من علمية الربط بين التنصير وسياسة التوسع الاستيطانية ليس فقط تجاه نقطة ذرتكاز معينة كوهران والمرسى الكبير بل على طول الشريط الساحلي حيث يسترسل الملك فارديناند في احدى مراسلاته للكونت نافروقاللا (١) .... أظنه كذلك كما ارسلتني عدة مرات . وانه اذا ما اردنا الاحتفاظ بافريقيا لا بد لنا من احتلال وهران وبجاية وطرابلس وتعميرها كلها بالمسيحيين ... هذه هي سياسة التنصير بالنسبة للعرب فما هي ريفود الفعل لدى الطرف الاخر من البديهي قبل التعرض للفكرة الثانية المتعلقة بالملحق الجند الاسباني ، دراسة الوضعية الاقتصادية العويصة التي عانى منها الكثير ، ولكي تكون الرويا واضحة ، لا بد من الاشارة الى ان معظم عمليات تموين الحملة خلال الفترة الاولى للاحتلال كانت تاتي وتستورد من اسبانيا . ملحقة بذكر عجزا في اداء المدفوعات ، وقد كانت التعقيدات الداخلية من اسباب التدهور الاقتصادي بعد موت ايزابيلا - Isabella - وحتى المشاكل المالية اثقلت كواهل الحكومة وحالت بينها وبين التقدم اشواطا بعيدة نحو الامام . اذ ان الحملات البحرية كلفتها نفقات باهضة ، حيث كان رئيسا في حرفها لتموين المركب وجمع المواد الاولية والالبسة وتقديم رواتب الجند . وكثيرا ما صرح الملك فارديناند بان

---

(١) وقعت هذه المراسلات في اوائل شهر ماي من سنة ١٥١٠م (المجلة الجغرافية القسم الثالث من سنة ١٩٢٥م.

بان حرب افريقيا تعمل على نفاذ الخزينة الملكية . فهذه الوضعية خلقت نوعا من جو التوتر والتصدع في نظام التموين مما ساعد بالفعل على خلق ازمة اقتصادية تمثلت في الجماعة التي بسطت اجنحتها على جند الاسبان فترة طويلة في الزمن ، ونجد هذا في ادلات وتصريحات الكثير من القادة والحكام حيث كانت الحرب دوما ضد الجوع اكثر من ان تكون ضد العرب .

وحتى الكونت الكودات Alcaudete نفسه كثيرا ما كاتب الملكة شاكيا من نفاذ المؤونة ناكرا ان العرب لا يأتون بالخضر والحبوب الى وهران ، اذ يموت جوعا . وانه ليس لديه اي شيء للدفاع عن البطحتين ضد الجوع وضد العرب في ان واحد .

فهذه الازمة كانت الدفاع الوحيد الذى حفز جند الاسبان للقيام بعمليات الفرار سرارا سيمين شطر القبائل المجاورة معلنين اعتناقهم الاسلام (١) ، طمعا في سد الزمن وانهاء قلة الجوع والحرمان ونحصل على الفكرة في التموين في الفصل الثاني للباب الثاني ... " الكثير يموتون جوعا اذ يوصلون الى عبيد من طرف العرب ... " وفعلا قد كان فرارهم ساري المفعول وبصفة مضاردة ليس بسبب الجوع فقط بل كذلك بالبرد القارس ، وذلك قصد حصولهم على البسة صوفية تقيهم شدة وقسوته ، وقع هذا طيلة الحقبة منذ بداية فجر ١٠٣٦م ويمكن ان نلمس ملامح هذه المظاهرة .

---

(١) وذلك بعد اجراء تحقيق سنة ١٥٤٠ يشرح جند الاسبان كانوا يريدون الدخول في الاسلام نظرا لما عانوه في البأس والجوع والبرد ونلمس هذا كذلك في الاستعراض التاريخي الموجز للاحتلال الاسباني في مرجع كاسي كال تحت عنوان (وهران وولاياتها) اذ يذكر بالحرف الواحد :

(تقسيم القبائل ودورها الاجتماعي والسياسي)

1) توزيع القبائل عبر منطقة وهران قبل فترة الاجتلال الاول .

2) تقسيمها أثناء الاحتـــــلا ل .

3) القائل الموالية للأسبان : أ ـ كريشتل ، ـ ب ـ شافع ، ـ ج ـ حصيان ، ـ د ـ غمرة ـ ك ـ قيدزة ، ـ أولاد عبد الله ، ـ و ـ أولاد على ـ ء ـ الغزازوة .

4) القبائل المتحررة أو الشبه مستقلة .

---

1) توزيع القبائل عبر منطقة وهران قبل فترة الاحتلا ل :

بما أن الدراسة الحالية تضم بدورها وضعية هذه القبائل الاجتماعية والاقتصادية بل وحتى السياسية أثناء فترة الاحتلا ل ، كان من البديهي استعراض مجمل النقط التي تمركزت بها وتنقلت ، وهكذا حتى تتضح لدينا المعالم الجغرافية ، ونتعرف عن الدواعي التي مكنتها من التنقل أو مغادرة أراضيها والاحتفاظ بالاماكن التي وجدت عليها أثناء الاحتلا ل ، سنسرد في سياق حديثنا أسماء هذه القبائل التي تربعت عليها ، مبينين ذلك بوضوح بواسطة القائمة التالية ثم الخارطة .

قائمة أسماء القبائل وأماكن استيطانها .

القبائل	الأماكن وحدودها .
قبيلة فروحة	بالقرب من غريس والمجاورة لقبيلة غريس نفسها الرابظة بأرض ملاتة حتى نسمط .
الصبيد الشراقة	قرب المقلين .
حميان .	بأرض الحفرة التابعة لقرية ملاتة .
هبرة	بموضع يقال له يحلو في جبال سيرات .
بني شقران	رجال عين الفرس الشرقية .
كريشتل	بمزغران غرب مستغانم عند مصب نهر الشلف ثم تحولت الى القرية الحاملة لاسمها .
غمرة	قطنوا خلف وهران بالحفرة بالتجاور مع حميان عند ملاتة .
قيدزة	بنواحي تارقة قرب وادي المالح (ريوا سالادو) .
أولاد عبد الله	بوادي الثلاثاء بملاتة .
الونازرة	وادي سنان بعين تموشنت قرب تارقة المجاورة لقيدزة .
أولاد جلفة	بأراضي جبل حميد ورغرب وهران حتى وادي يسر بتلمسان .
أولاد زاير	بجبال تاسالة .
أولاد علي	بجبال سيرات في الجهة الاخرى من وادي سيق .
أولاد الميمون	بثنية القصبة ، وادي تلمسان تحدها شرقا تاسالة ، وجنوبا بالسلسلة الجبلية للتانيرة .
أولاد ابراهيم	بوادي ميكيرة حتى سيدي ابراهيم تحدها غربا سلسلة التانيرة وشمالا أراضي أولاد الميمون .

توزيع القبائـــــل عند فاليـــجو

قبائل

الفرسان النبيلة المتحدة	البدوية	الغـــرب	المتحررة أو الشبه مستقلة	المستقرة
أولاد على ـ أولاد العساس	حميان	تلمسان	هبرة ، بنى يعقوب	أولاد سيدى عبد الله
أولاد سليمان ، أولاد الميمون		الغزال	بنى شقـــــران	أولاد سيدى حمد بن يوسف
أولاد ابراهيم ، أولاد جلفة		ولهاصة	شـــــافـــع	أولاد سيدى سعيد
أولاد زاير ـ أولاد السلطان			غصـــــــرة	أولاد سيدى المسعود

أقليم معســكر	مستغانم ومزغران
بنى راشد	مست غانم بن قرة
هاشـــم	مزغران سيدى محمد بياتى
المرابطون	ســـــــويـــد

تقسيم القبائل أثناء الاحتلال ونوعيتهم ـ القبائل المرتدة ـ:
كريشتل ـ شافع ـ حميان ـ قيزة ـ أولاد عبد الله ـ أولاد علي ـ الونازرة ـ .
القبائل المتحررة أو الشبه مستقلة .

تقسيم القبائل أثناء الاحتلال ونوعيتهم :

كان من الممكن تقسيم اهالي وهران والضواحي الى كتلتين اجتماعيتين متباعدتين من سادة وعبيد . الا أن الحقيقة البحث يفرض تناول الاوضاع المختلفة للقبائل والقيام بعملية التقسيم بنوعيتها واتجاهاتها الاجتماعية والسياسية تجاه الاحتلال .

لذا أصبح ضروريا من خلال دراستنا لشتى القبائل وتقسيمها الى فئتين غير قارتين : أولاهما متحالفة ومتضامنة مع جنود الغزو(1). وثانيهما شبه مستقلة أو متحررة ومتنمرة ضد الوجودين الاسباني والتركي . فكلاهما يتأرجح مابين الاعتزاز والاحتقار بمبادئه والبقاء عليها تارة وما بين الخضوع والاستسلام أو الانظمام عن طريق القوة والضغط تارة أخرى فمن هي قبائل الطائفة الاولى وأين كان تمركزهم وما هي نوعية العلاقة بينهم وبين الاسبان .؟

اذا ماأردنا تحديد مناطق هذه القبائل يكون من الافضل الاشارة الى كلمة سبقا دونتها قريحة الوالي العام بوهران فاليجو Valiejo اذ يقول بالحرف الواحد "... انه من الصعب تحديد مناطق القبائل لتعاطي الاغلبية منها الحياة البدوية الترحالية ..." صحيح الى حد الآن بالنسبة لبداوة القبائل واريقة تدخلها واقتفاء آثارها ، ويردف قائلا " ... يذهبون الى الصحراء طلبا للكلأ ويرجعون عند نهاية الربيع في فترة الحصاد لجني المحصول ، الكثير منهم يحط الرحال قرب ضواحي وهران مثل غمرة ـ أولاد جلفة ـ وشافع . بينما العكس من ذلك لدى بني راشد القاطنين بجبل عمور أو جبل راشد بعيدين عن النقاط الشاطئية مع سويد بينما البعض يتوقف عند مستغانم مثل هبرة ونجدهم بعد ذلك عند سهول سيرات، (2) لكن يمكن التعقيب بذلك بما يلي :

بما أن هذه القبائل المتنقلة تغيب ثم ترجع الى أماكنها في الربيع لجني المحصول .

اذن فهذا دليل على ارتباطها الوثيق باقطاعاتها بينما نجد البعض يتوقف عند مستغانم

---

1) حبا في الاختصار وعدم الاطالة على القارئ الكريم في حشو ذاكرته بحشا كل الثانوية كان بودي تقسيم هذه الفئة كذلك بدورها الى قسمين : 1) الموالون من خدم داخل المدينة وعلى مقربة من الاسوار . 2) الموالون من القبائل الساكنة خارج المدينة والمتربصة على أرضية الضواحي .

(2) المجلة الإفريقية 1948 ص 218

وأراضيها التي تمتلك لها الطاقة أو المورد الاقتصادي الهام ، فكيف تترك تتمركز بالضواحي ، بينما نجد البعض يتوقف عند مستغانم هذا من جهة ، ومن جهة أخرى حتى في حالة ما اذا أدارت ظهرها عن اقطاعياتها فقد يكون من الممكن الى حد قريب من أن تستولي عليها قبيلة أخرى فتنشأ عن ذلك صراع دموي ، ذلك مالم نسمع أنه حدث مثله في تلك الآونة قـــــط ، لهذا كله فانه يبدو واضحا تحديد أماكن استيطان البعض منها منذ البداية مادامت العودة اليها مضمونة .

أما الاستنتاج الثاني وبعيد عن الاحصاء الشمولي ، لكونه يرتكز على فئة معينة من القبائل ألا وهي السائرة في ركب الاسبان التي استعرضها المشرفي . يتجلى في تعدادها وذكر أسلحتها وطاقتها الديموغرافية وأماكن استيطانها ، وقد أشار فاليجو نفسه مترنا بعمـــق تفكير ودراسة المشرفي لهذه القبائل بتوجيه كل قارئ يريد الاستزادة لنفـــس الكاتب المذكور سلفا أعتقد أن هذا التوجيه غير كاف للرد عن فكرة فاليجو فتوجيهه هـــنا يشرح نفسه بنفسه .

بينما يعطي احد المؤرخين ومن ضمنهم أحمد المشرفي ، تعدادا عدديا لهذه القبائل ويركز عليها في سرده لبعض الاحداث التاريخية ، الا أنه يلاحظ قد نسي ولم يذكر في احصاءاته قبائل أخرى كانت لها روابط علاقة تحالف مع العدو ، ربما كان ذلك نتيجة وسبـــبا في غلـــو القبـــائل الاولى في معاضدة الاحتلال أكثر مـــن غيرها ، أوكـــان الصد يتنـــاول ذكر البعـــض منها فقط على حد الاكتفاء الاســـتراتيجي والحـــصر لاغير ، فيسترسل قائلا . " ... ثم ان هذه الفرق الثمانية الضالة وهم كريشتل ، شافـــع ، حميان ، رغمرة ، جيدزة ، أولاد عبد الله ، أولاد علي ، والونازرة ، لمـــا اجـــتمعوا لدى الاسبانيين وساروا على كلمة واحدة في الدفع والجلب اشتد بهم عضد النصارى ... "[1] .

---

1) عبد القادر المشرفي المرآة الانيقة لسنة 1924م ص197 .
وكذا عبد القادر المشرفي الجزائري نفسه في (بهجة الناظرين في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر) تحقيق محمد بن عبد الكريم ص37 ط بيروت لبنان .

واستنتاجا مما سبق أمكن لنا تحديد التقسيم كما يلي فى التصميم التالى :

القبائل

القبائل المرتدة ↓ كريشتل - شافع حميان غمرة - قيزة أولاد عبد الله - أولاد على - الزنازرة .

القبائل المتجرة أو الشبه المستقرة ↓ الاعشاش - الحشم - فليتة - سماتة - هبرة أولاد مقداد بن المجاهر -.

كريشتل : قد مررنا على هذه القبائل بصفة عابرة طفيفة لكي حاليا من اللائق التعرض هذه النحاحية بشيء من التوسع سكنوا قرب مقر نهر الشلف ردحا من الزمن . ثم انتقلوا الى مزغران فى هجرة ثانية ومنها الى أرض متوعرة كانت مرتعا ومسرحا لقبيلة بنى ريان وهى بطن من بطون زناتة فى أواخر عزها ومجدها . اذ تلاشت قوتهم وضعفت شوكتهم وساءت أحوالهم . فاغتصبوها منهم واستقروا بها منذ بداية القرن الثامن الهجرى ولما طاب لهم المقام بها شرعوا فى تشييد قرية صغيرة حملت اسمهم نظرا لما تتوفر عليها من امكانيات استراتيجية لكون موقعها فى غاية التحصين اذ هو محاصر من الجهتين بالبحر والجبل الذى يصعب على الغازى اقتحامه وذلك لعدم توفر طرق المواصلات البرية ، ماعدا الممر الجبلى الضيق الوعر الذى يخول لها التفتح على العالم الخارجى والمناطق المجاورة لها .

ومما زاد فى تشبثهم للبقاء بها هو وجود عيون عذبة منهمرة بدون انقطاع تسقى بعض الحقول المحاذات للشاطىء ضمن مساحة جد محدودة ذات تربة خصبة تنتج العديد من الخضر والفواكه التى سيكون لها دورها الاقتصادى مستقبلا فى تموين الحملة الاسبانية بوهران

فهم طائفة قليلة العدد فى غاية الضعف يقدر مجمل سكانهم بحوالى تسعين دوارا ورغم ضآلة عددهم فهم متلاحمون ومتضامنون يحسب لتنمرهم ألف حساب(1).

وبغض النظر عن العلاقات التجارية والمواصلات بينهم وبين الاسبان حيث سيأتى ذلك فيما بعد قد استخدمهم العدو كأداة لجلب الأخبار والتجسس على القبائل المجاورة قصد الاغارة عليها وللوصول إلى عمق دياره.

---

(1) عبد القادر المشرفي - بعجة الناظر - ص 37 ط بيروت لبنان


خارطة توزيع القبائل
(1) كريشتل، (2) كانيستال - حميان - (3) أولاد علي -
(4) اولاد زاير - (5) أولاد المهيمون - (6) أولاد إبراهيم -
(7) اولاد شافع (8) قيدزه - (9) فروحة، (10) هبرة -
(11) العبيد الشراقة - (12) غريس،
البحر الأبيض المتوسط
مستغانم
المقطع
معسكر
القلعة
سيق
غليزان
تلمسان
بوجار
سيدي بلعباس
وادي سيق
وادي تافنة
وادي سيدي
وادي مولاي
وادي تارقة
وادي الكاف
وادي سلطان
تاشالة
مكرة
تلاوت
الشحة الكبرى
مرغين
بوليليس
الحمدنية
باريقو
غريس
القرطنة
الرحى
العرج
عين
حاسي حجار
تافراوي
(1) (2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10) (11) (12)

يتنكرون بلباسهم على هيئة تجار متجولين على ظهور الحمير المحملة بشتى أنواع المعروضات كباعة للعطور والجلود المختلفة يجوبون معالم الدواوين سواء تلك الموالية للاسبان أو المعارضة له . وأثناء وجودهم بالدوار يتحينون الفرص اما يخلو له الجو وتهدأ الاوضاع فينفردون بالصغار ويخطفونهم وحتى الكبر في بعض الاحيان ان أمكن ذلك وعند العودة يقصدون وهران مباشرة لبيعهم كرقيق بثمن باهض ونتيجة لهذه الاوضاع ظهرت فيما بعد ظاهرة الصناعة التي تجلت في سوق الرقيق في فترة جد متأخرة من الاحتلال الأول بالاضافة الى عمليات التصدير الى أوربا للبيع .

وقد سموا هؤلاء بالمفطسين 1 . ويحكى أنهم فلسوا امامهم وباعوه ولم يظهر من خلال هذا الاستعراض بعض التناقض وذلك بما أنهم يتاجرون مع العدو بواسطة امداده بالخضر والفواكه المتكاثرة لديه عن طريق البحر على متن مراكب صغيرة عادة لا زالوا يمارسونها بالنسبة لبيع الخضر وحتى الاسماك على ظهور المراكب مع وهران لحد الآن ـ وكانت بالنسبة لهم تجارة رابحة ورائجة ، فكيف يعمدون الى القيام بعملية الاختطاف هذه ؟ ربما تعاطى لهذه المهنة عدد قليل من الافراد فحملت القرية بأكملها التابعة هذا العمل . أضف الى ذلك أن كل قبيلة لا تخلو من محاسن ومساوئ من سوقة وأخيار من أشراف وأنبال ولهذا لا يمكن الحكم على عمل فردي وانتسابه الى القبيلة ككل .

هذا من جهة، الا أن هناك ثمة مشكلة توضح زيارة القرية من طرف العلماء الذين يكنون العداء للوجود الاسباني كالشيخ أحمد بن يوسف الراشدي حيث نزل بشاطئها عروج ليلا فاتصل به بغية الترابط والوحدة لمجابهة الاسبان . 3

---

1) أطلقت هذه التسمية استنادا الى المدلول اللغوي لفعل فطس يفطس . لكن يراد هنا بالفطس هي الكفر والالحاد ولا يفهم منه الوقوع في الماء .

2) يعتبر هذا الشيخ من ألد أعداء الملوك الزيانيين لذا حكموا عليه بالاعدام والتجأ الى قرية كريشتل رهطا من الزمن من كتاب الشفر الجماني ص15 .

3) قد ذكر أحمد بن علي بن سحنون صاحب الشفر الجماني صفحة 15 من أن عروج كان يتصيد بعض الشواطئ فينزل فيها مختفيا حتى تخول له فرصة الاتصال بمن يتوسم فيهم العون والاتحام .

قبيلة شافع :

انها القبيلة الثانية الموالية والمتعاملة مع الاسبان الا أن تعاونها هذا بعيد عن الميدان التجاري والاقتصادي بل كان مقتصرا على الانخراط في السلك العسكري حيث عطوا كجنود مرتزقة وذلك لبأسهم الشديد وقتالهم الشديد فهم أحد بطون عامر يبلغ مجمل تعداد القبيلة ككل بحوالي 20 دوارا 1 .

قبيلة حميان :

كان مسكنهم الاول الذي مكثوا به طويلا بأرض الحفرة من ملاته ثم اقتطعهم الاتراك أرضا بالغرب من تامزوغة نحو ساقية سيق الى أن جاءت الحملة الاسبانية التي تفرغت لهجماتها بالهجوم على العبيد الشراقة حذو المقطع " . . . فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين ورجع فلهم لوهران ومن ثمة أتوا بحميان من ملاته لهذه الارض التي هم بها الآن ترسا بينهم وبين هؤلاء الاعراش " 2 وهكذا تم لهم الاستقرار جنوب كانستال وشرق مدينة وهران .

طاقتهم الديمغرافية لا تتعدى الثلاثين دوارا أصحاب مكيدة شديدة في الحروب أصحاب مكيدة شديدة في الحروب ويقاتلون المسلمين خفية أو علانية والحديث عنهم لا يخلو من حقائق وروايات . اذ أن هناك رواية طريفة بالنسبة لاعتناء الاسبان الشديد بقلعة مرجاجو وبنائه برجها لضمان تحصين المدينة وتقويتها . تروى أنه تعذر عليهم ايصال الماء الى قمة الجبل فأشار عليهم شيخ حميان بتنظيم صف من بداية العين حتى القمة وملأ القرب التي يتداولونها بالتناوب ويمررها الواحد الى الاخر حتى البئر . وبعد اتمام المهمة حفر الاسبان بالقرب من أساس البرج بئرا عميقا وألقوه فيه دون علم الآخرين وذلك حتى لا يرشد أعداءهم ويدلي بهذه الحيل 3 .

---

1) قد كان اعتماد الاسبان على هذه القبيلة في المرتبة الاولى قبل قبيلة كريشتل وذلك لمعرفتها بأسباب الحروب وفنونه . وهم بنو شافع بن عامر بن زغبه الهلالي » عبد القادر المشرفي ص 14

2) يذكر عبد القادر المشرفي أن هذه القبيلة اشتهرت بالترحال من مكان لآخر واتبعت في ذلك الحياة البدوية المتنقلة . وهم بنو حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة الهلالي » ص 26

3) يذكر فايو في احدى مذكراته المترجمة من طرف كازناف عن القبائل " . . أن كميان وشافع يتحالفون دوما مع الاسبان وهم أحسن الاصدقاء لهم " ويشير الى كونها قبيلة بدوية . المجلة الافريقية 1924 ص 218

هناك نوعا من التحفظ والتشكيك في موالاتهم للعدو اذ أن هذه الموالات وحتى المساهمة في البناء والتشييد والاقامة لم تكن مجرد فكرة اختيارية وطوعية بل ربما لدافع الضغط أو طمعا في انجاز بعض المصالح المعيشية . أضف الى ذلك مقاطعتهم وعدم الرضوخ للاوامر أحيانا وهذا مايفسره ويدعمه رأي العلامة المازوني في التعرض للحديث عن هذه القبائل ذاكرا "... أن حميان كانوا تارة مذعنين وأخرى ممتنعين "(وكما يقول المثل أهل مكة أدرى بشعابها).

قبيلة غمرة :

شاءت الصدف أن تتجاور هذه القبيلة في السكن وتندمج في سلك طاشفة انفة الذكر الا وهي حميان فبالفعل قطنوا معهم بأرض الحفرة من ملاته وتعايشوا معهم طويلا الا أن نستهم يختلف عن الاخرين فهم ينتسبون الى البربر عن طريق جدهم غمرة البربر ،فهم قليلوا العدد اذ لا يتجاوز معظم تجمعهم أكثر من 6 دوار مناصرين للاسبان على المسلمين . " ... حتى أنهم كانوا عضدا لهم في كل شيء "(2) وهنا يمكن الاشارة الى نقطة هامة تتمثل في مغادرتهم وهران والالتحاق بفرق البعثة الاسبانية الراحلة الى اسبانيا بعد انكسار شوكتهم واخراجهم منها بعد انتصار المسلمين .

قبيلة جيدزة :

أحد بطون عامر سكنوا بنواحي تارقة القريبة من عين تموشنت حيث سمي اجبل باسمهم ، الا أن هذا المكوث لم يدم طويلا شأنه في ذلك شأن الفرق الاخرى المتنقلة القبيلة تارة . ولما تم اللقاء بينهم وبين اخوتهم الونازرة انتقلوا مصطحبين اياهم الى جهة ملاته فسكنوا بضواحي تامزوغة ووادي الفاسول ويبلغ عددهم يتعدى 13 دوارا .(3)

ساعدوا بدورهم وساندوا الاسبان طويلا في مختلف المجالات منهم من دخل في سلك الجندية كما فعلت طائفة شافيسابقا ومنهم من انظم الى فئة المخلصين . وقد سموا باللصوص نتيجة لما قاموا به من عمليات اختطاف الاهالي كقبيلة كريشتل بحيث كانوا يسكنون معهم بوهران أي بامبين البرج اليهودي وبرج مرجاجوا لما تطبق المدينة من طرف القبائل المتحررة وحتى الاتراك الذين يشددون الخناق والحصار لها . ويذكر المؤرخ المشرفي أنهم يتمتعون بمحبة الاسبان والعاف عليهم ، وقد جاء ذكر هذه القبيلة في منظومة الحلفاوي الجزائري جاء فيها مايلي : "... فما زالوا يجسرون العدو بخيلهم ورجلهم

---

(1) المازوني بن عودة (طالع سعد السعود) مخ ص 11

(2) عبد القادر المشرفي (بهجة الناظر) ص 36

(3) جيدزة ، نسبة لجدهم فيزه بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف ، المشرفي ، ص 21

العدد وكنهم. فتمكن ذلك العدو من البلاد، والنهب
من البر والبحر الفضاء، وقطع سبل المغرب الأوسط، وفيه حجاجه
وركب من البحر إلى منتهى مراكب المسلمين تجاره، وقطع لهم فيه طريق
مقصده. ورصد انتهاز الفرصة فيهم بكل مرصد، حتى عاث فيهم وملأ
البر والبحر، فجبى المسلمين، ثم امتد أمله للاستيلاء على عرصة
مملكته، والاستواء على عرش أيالته، فرغب من أجلاف الأعراب في
عدده وردهم بعدده، واكتسحهم بغرض النجاء، فرغب في ركوب
البحر منهم والنجاء، حتى أضاف إليه أقاصية مغرب عامر كقواعد
واحيائه، وكانوا هم عيون الذين يتبعهم بهم على عورات المسلمين
وأعوانه الذين يشن الغارات بهم على الأبعدين، وكان هذا أيضا
بعد الفرقتين. أهل جبلة، فجاز البوابة بسبر والعدو بينهم
وجلبهم على اقتحام حلل المسلمين ودورهم، وانتهاك حريمهم
وانتهاز الفرصة فيهم، ومع هذا كله فالناعب بالأنباء، والموالف أنكى
الكاسرين بالنصيحة والمبايعة لهم على الطاعة والإذعان
كانوا معه يعتقدون أنهم على صراط الأبرار، وأنهم في حسبة الله تعالى
خالدون. ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم
أولياء، ولكن كثيرا منهم فاسقون. فانظر هذا أحر هو بحل المسلمين
أو الكاسرين، وكيف يكون مسلما من لا غيرة له على المسلمين وحرمته

عالية

"القبائل المرتدة"

"مخطوط" "ترجمة الكاشفاوي"

على اقتحام حلل المسلمين ودورهم وانتهاك حرمتهم والتلاعب بالاديان وموالاة الكافرين بالمغدة والنصيحة والمبايعة لهم على الطاعة والاذعان 1 ."

قبيلة أولاد عبد الله :

انها القبيلة القوية والكثيرة عدة وعددا . فهم ينحدرون من بنى عامر وذلك نسبة لجدهم الملقب بعبد الله بن الصغير بن عامر بن ابراهيم . وقد ضربوا الرقم القياسى فى الاستقرار كقبائل أولاد حامد وأولاد سيدى سعيد وأولاد سيدى مسعود اذ كان استيطانهم ومسكنهم بوادى الشلاثاء من ملاتة . ينتسبون الى بن يعقوب بن معروف بن سعيد بن زياد بن حمد بن ... زعيم

يفوق عدد مجموعاتهم الاجمالى الستين دوارا ، الا أن سلوكهم وعلاقتهم مع الاسبان تعددت مساوئ كل من تقدمها ذلك أنهم امتزجوا مع اليهود الذين يجلونهم ويبدون لهم المودة والاحترام ، وتصاهروا معهم ومع الاسبان حيث يقول المشرفى فى هذا الشأن :

"... كان لليهود عليهم من الصولة العظيمة التى وسموهم بها سمة الذل . كانوا أشد نصحا واعانة للاسبان ... لقد أخبرنى من أثق به أنه رأى العامرى يقبل يد اليهودى فضلا عن النصرانى من الجهتين وأنهم: تصاهروا مع الاسبان واليهود ، فلا ترى الا العامرية فى بيت الكافر تجول وأهلها فى غاية الفرح ..."

لكن خلال هذه الفقرة يجد ربنا التلميح الى جملة - أخبرنى من أثق به من كريشتل - التى تحمل بين طياتها زوابع الشك وعدم اليقين ذلك أن آفراد كريشتل كما سبق ذكره من المخلصين الخاطفين للأهالى والمتعاملين مع العدو فكيف جاءت فكرة هذه الثقة ؟ لست أدرى .

قبيلة أولاد على :

مقر هذه القبيلة من بأراضى الضواحى من تامزوغة تحدها شمالا أراضى حميان وجنوبا وادى سبو مع أراضى أولاد سليمة ، وهم يقطنون من بطون عامر كذلك ، كثيروا العدد يتجاوزون السبعين دوارا أصحاب بأس شديد مع أنفة على غير أولاد عبد الله 2

---

1) تعرض اليها المشرفى ذاكرا باسباب النواحى السياسية التى جعلتهم ترتبط بالاسبان خاصة فى الفترة الاولى من الاحتلال .

2) أولاد على اعتبرهم المؤرخ فاليجو من القبائل النبيلة للفرسان فى المجلة الافريقية لسنة 1928 م/ ص 79.
Valléjo R. A. 1925 P. 357 P.79

3) عبد القادر المشرفى - بهجة الناظر - ص 33

ينطوي تعايشهم على دقة التنظيم خاصة في ميدان الاندفاع حيث يفوق عددهم على 200 فارس من الأعيان هذا فضلا عن المشاة ليكون تحالفهم ومساندتهم تندرج في تائمة تموين المدينة وسيأتي ذلك في الباب الثاني .

قبيلة الوغازرة :

هذه الطائفة لها اتصال وثيق بأولاد عبد الله حيث يعتبرون بطن من بطونها وذلك نسبة الى جدهم ونزار عبد الله بن صغير بن عامر ، كان مقر سكناهم بادئ ذي بدئ بوادي سنان بعين تموشنت فسكنوا تارقة مجاورين لأخوتهم العامريين من قبيلة قيدزة ثم انتقلوا معهم الى تامزوغة فاستقروا أخيرا بملاتة . لكن طاقتهم الديمغرافية ضئيلة جدا لا تتعدى 6 دوارا ورغم هذا فقد كانت مساعدتهم تتجلى في الانظمام الى الفرق العسكرية كجنود ، فارتحلوا معهم الى سبتة لما انفلت زمام حكم المدينة من بين أيديهم (1).

هذه مجمل الفرق الثمانية التي ذكرها المؤرخ في استعراضه . فأين البقية الباقية من الطوائف التي جعلها ولم يبرزها ؟

هناك قبيلة سويد التي كانت تسيطر مع بني عامر على مسالم سهول ولاية وهران ، اذ نجدها تحارب الى جانب صفوف الاسبان . وقد عثر على وثائق تتضمن رؤساء سويد الى ملك أسبانيا وأخرى الى الوالي الكونت الكودات يطلبون أجرتهم لمحاربتهم في صفوفهم بأمر من رئيسهم حميدة العبد (2). وهذا بالاضافة الى قبائل أخرى كبني ريان وكانسال الى غير ذلك وقد أشارت أرجوزة الحلفاوي بهذا الشأن الى عصيان بني عامر وخروجهم عن جادة الصواب لتواطئهم مع حملة الصعيب فجاء بهذا الصدد " . . . ولما كثرت على المسلمين غاراتهم ودولة الترك بالجزائر حينئذ على أول خاطب علماء الآفاق أعيان بني عامر وزناتة . . . مستصرخين بهم ومحرضين لهم على الاعانة . . . " (4).

---

(1) « ونزار بن عبد الله بن صغير بن عامر بن ابراهيم بن يعقوب بن معروف » المشرفي ، ص 28

2) بيدوان رحيل بعض الافراد مع الاسبان كان سببا من أسباب الخوف المتمثلة في سياسة الردع من طرف الأمير

(3) المجاسة الإفريقية عام 1873 ص 11

(4) ارجوزة الحلفاوي ص 9

وقبل طي ملف هذه القبائل يكون من البديهي التذكير بأن استمالتها وتحالفها مع العـــدو لم يكن ناتج عن طواعية أو حب فيه ، بل وقع ذلك عن كره أو استمالة مؤقتة ، اذ أن بسط النفوذ الاسباني المؤقت على تلك المناطق يفسر هذا ويدعمه . وكذا أرض البطحاء وسيرات وملاتة ، وغيرها كلما كانت لهم خاصة يزرعون بها ويستعبدون أهلها طوعا أو كرها .

4) القبـــــائـــــل المتحررة أو الشبـــــه المستقلـــة :

تحالفنا في قائمة هذه الفئات المتمردة ، قبيلة الأعشاش 1 ، التي كانت تسد طريق المشور والجزائر على القوافل التجارية والمسافرين مرورا بهذه الناحية . وذلك عن طريق التحايل لأخذ أمتعتهم وتخلي هذه القوافل عن حمولاتها من بضائع ولوازم فردية .

ثم قبيلة الحشم ما بين معسكر وتاهرت ، ذكر ابن سحنون الراشدي أنهم أكثروا فسادا في البلد وتحولوا الى لصوص وقطاع طارق ، وظلوا على هذه الحال ردحا من الزمن ، حيث تقاعس الامراء عن غزوهم ، ولما استفحل أمرهم وعظم خطبهم لاحقتهم فلول جند الأمير فأذلتهم واستكانوا ثم سيرهم من جندهم (2) .

وهذه قبيلة فليتة كانت بعيدة كل البعد عن أحكام السلطان ، بحيث امتنعت عن أداء الخراج منذ سنين طويلة غير أن هذا الوضع لم يدم طويلا على هذا المنوال بل انقلبت الاوضـــاع رأسا على عقب حيث استسلموا فيما بعد وصاروا من رعيته .

قبائل سماتة كان نفاذها في قطع السبيل المكانة الاولى ، لكونها لم تقتصر على السطو فقط على القوافل ، بل كان القطع التام للطريق الرابط بين المدية والجزائر ، وتوضيحا لذلك ، وتدعيما لما سبق يليق بنا أن نقتطف الفقرة التالية من ((الثغر الجماني التي تفصح بما يلـــي :

" ... كتب السلطان السيد حسن الى الامير كتابا يأمره فيه بغزو سماتة لانهم أكثر فسادا وقطع طريق المدية والجزائر فاضطر أميرها للسفر بغير الطريق المعتاد ... وعجزت عنهم طاقـــة مجاوريهم من الامراء ... لما سمعوا بانتدابه اليهم تشتتوا في الاودية والجبال وامتزجوا بما يجاورهم من القبائل والاعراب ... "

1) قبيلة الاعشاش على بعد بضع كيلومترات من بلدة مغنية بالغرب الجزائري .

2) سحنون الراشدي (الثغر الجماني ص 123 .

ويلاحظ من جراء ذلك أن سبب تقاعس الامراء المجاورين لهم للقيام بردعهم يتجلى في كثرة أعدادهم ووعورة بلادهم وجبالهم وقد تشكك الناس تجاه هذا الموقف في عدم امكانية السلطان لنجاحه وتغلبه عليهم ، وتشتيت شملهم وارجاعهم الى جادة الصواب .

كنا قد أشرنا في بداية الاستعراض عن العلاقات الموجودة بين بعض القبائل والاسبان الى قبيلة سماتة ، وقد نا بعض المزاعم والاراء المرتكزة على الرسائل التي يطالب فيها أصحابها من ملك أسبانيا دفع رواتبهم ، لكونهم حاربوا في صفوفه بأمر من قائدهم المسمى حميدة العبد وها هي الفرصة توافينا لابراز هذه القبيلة في اطار الأنفة عدم الرضوخ ، والثورة الدائمة ليس فقط ضد الاسبان بل وحتى الاتراك كذلك ، وقد استفسر الكثير عن أسباب هذا الغليان وهذه التقلبات الجسام التي اتسمت بها طوال حياتها غير أن ذلك يكمن في نوعية مزاجها القلق الذي لا يقبل الطواعية والاستسلام .

تبدو في قائمة القبائل المعادية للوجود الاسباني وتتبوء المنزلة الاولى قبيلة هبرة وهم أصلا من أولاد مقداد بن مجاهر بن سويد بن عمارة بن مالك بن زغبة ، مقر سكناهم بمكان يدعى يعلو بجبل مرادل "... فقد سعى اليهم الدرقو غازيا فاستقبلوه بقتال عتيد وشديد كانت الدائرة فيه على الاسبان بعد فرارهم وترك أثقالهم ..." (1) نجم الهجوم عن خسارة بالغة الأهمية في سلك الاسبان تقدر بـ 300 جندي وأمام هذا الوضع المتأزم بيت العدو عن خطة في الثأر واعادة الكرة من جديد ، وبعد الترتيبات اقتحم أراضيهم ثانية عازما على سحقهم الا أنه ورغم الانقسامات القبلية الموجودة بينهم ظلت روح النخوة العربية والحمية الاسلامية تشد بعضهم بعضا بطابع الوحدة والتكافل فهرع إلى نجدتهم بنو شقران ، وشدوا بأزرهم وهذا بالرغم من مساعدة أولاد علي للأسبان .

وبالنسبة لقبيلة هبرة هذه نجدها في معظم المراجع الأجنبية تصنفها ضمن القبائل الموالية للأسبان بينما نجدها على النقيض من ذلك لدى المؤرخين العرب فعليك يذكرونها دوما في قتال وثورة على الوجود الاسباني ، وحتى الشرفي نفسه لم يذكرها ضمن الطائفة الثمانية الموالية للأسبان . وأعتقد أن سبب ذلك يرجع الى الوقوع في خلط لفظي ما بين هبرة وغمرة — .

---

1) المزاري بن عودة (سعد السعود) ص 124 .

- مصادر الباب الاول -

المصادر :

المخطوطات :

- 1) الحلفاوى التلمسانى (عبد الله محمد بن أحمد) ، أرجوزة فى فتح وهران وتشمل 72 بيتا ، تضم الفصول الخمسه التاليه : 1) فى ذكر دولة السلطان بكداش .
2) وصفه لتجهيز الجيش . 3) محاصرة البلاد والبروج 4) وصف ما آل اليه الفريقان .
5) الحمد والثناء .

- 2) المازرى بن عوده : - طلوع سعد السعود فى أخبار وهران ومخزنها الاسود - فى خمسة فصول : 1) وصف المدينه وتعريفها . 2) ذكر الاولياء والاشراف . 3) ذكر العلماء من مدة التشييد حتى الان . 4) ذكر الدول على حسب الترتيب . 5) ذكر مخزنها يوجد المخطوطان بمكتبة المتحف البلدى لوهران رقم الاول ورقم الثانى .

- 3) المشرقى عبد القادر الجزائرى : - بهجة الناظر فى اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كهنى عامر - مكتبة بلدية وهران رقم 429 .

المصادر الخاصه :

احمد بدر : - تاريخ المغرب والاندلس - المطبعه الجديدة دمشق 1980 م .

احمد توفيق المدنى : - حرب الثلاثمائه سنة بين الجزائر واسبانيا فى 1492 م - الى 1792 م ط ثانيه ، الجزائر 1976 .

ابوراس محمد الناصرى : - عجائب الاسفار ، ولطائف الاخبار - تحقيق محمد محيى الدين ، القاهره . مط السعاده .

ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن على البغدادى النصيبى (ت 1911م)
صورة الارض - (ليدن 1938 م)

ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمان بن محمد . (ت 1405 م) .
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوى السلطان الاكبر - (بولاق 1284م)
ابن خلدون : أبو زكريا يحيى (ت 1378 م)
- بغية الرواد في ذكر الملوك في بني عبد الواد - نشره وترجمه الى الفرنسيه
الفرد بل (الجزائر 1903 م) .
الادريسي : أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت موالى 1154م) .
- المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، عن نزهة المشتاق في اختراق الافاق ،
نشره وترجمة الى الفرنسيه دوزي ودي خويه . (ليدن 1866م)
الراشدي : أحمد بن محمد بن علي بن سحنون - الثغر الجمان في ابتسام الثغر الوهراني
تحقيق المهدي البوعبدلي (مط البعث قسنطينه)
المقري : شهاب الدين أبو العباس احمد بن محمد التلمساني (ت 1631م)
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب -
تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهره 1949 م

المراجع والمصادر العامه :

زظول عبد الحميد :- تاريخ المغرب العربي - (القاهره 1966م)
العبادي : احمد مختار العبادي - سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس - معهد الدراسات
الاسلاميه ، مدريد 1957م
العبادي عبد الحميد - المجمل في تاريخ الاندلس - (القاهره 1959)
فتره مضطربه في تاريخ غرناطه - صحيفة معهد الدراسات الاسلاميه - مدريد
1959) .
علي الجازم : - العرب في اسبانيا - ط دار المعارف القاهره 19521) .
العنان محمد عبد الله - نهاية الاندلس - (القاهره 1961)
صلاح العقاد - المغرب في بداية العصور الحديثه - (دمشق 1962)
طرخان ابراهيم علي طرخان - المسلمون في اوروبا - القاهره 1966 م

مجاهد مسعود : ـ تاريخ الجزائر

مسلم بن عبد القادر : ـ أنيس الغريب والمسافر ـ تحقيق رابح بونار الجزائر 1974 م

محمد بن ميمون الجزائري : ـ التحفه المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحميه ـ تحقيق محمد بن عبد الكريم ط أولى ش . و ا ن . ت بالجزائر 1972

عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : ـ تاريخ الجزائر العام ـ دار الثقافه ، بيروت 1962م

مباركي بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ بيروت ط بدران 1964 م

Bibliografia :

CISMEROS, Cardenal, Cartas y documentossobre la ponquista de Oràn. S. XVI
FLORES Davila (Marquèz de,) D. Antonio de Zaxiga y de Gueva. Papeles originales sobre gobierni de Oràn. Aflos 16.32.50. 3vols.

LEBRIJA, Cartas de... a S.M. (Oràn 1531 sobre soumission de Tremecen. Memorial de Jaccob Alegro, ambajador del rey de Tremecen a S.M. Otros documentos sobre Tremcen . 1531-32.
Lopez de Gomara, Cronica de los Barbarrojas. Collec. T.36.
Marmol Carvajal, Descripcion de Africa P.215 - 216.
Muesas, D. Vicents Maria de, Diarion de la Plaza de Centa y zitioque la puso el rey de Marruecos en 1791?, defendida por Luis Fransisco de Urbina. Nsino , Rayen, Carta de... Al inquisidor Mitard sobre servicios de su padr Jacob Canstino, Hebreo, intéprete en Orèn. 1668.
O'REILLI, Elogio satrico del colegio militar de Avila. Y. papeles varios S. XVIII.
Noticias de la guerra de Espana con Portugal desdà 1762 al sitio de Centa. en 1790.

BAGON, B. Pedro de, Voto de... sobre la expulsion de los hebreos de Oràn 1669.
SOLIS, Fr. Foo., Carta original de ... al Cardenal Nitari sobre cual estra de las plazas de Oràn y represion al Marqués de Velez. 1668.

VELAZQUES, D. Luis José, Papeles varios I vol. Catàlogo de los gobernacio de Oràn Velazquez (Colec) M. de Valdeflores.

N° 48 el rey de Tremacen a Cismeros despnes de la toma de Oran
N° 74 Jornada del Duque Maqueda, gral. de Oràn en Moros Venerages.
N' 75 Cronica de Barbarroja. Aviso sobre Argel.

VELAZQUEZ (Colec.)

N° 83-84 - 85 Memorias sobre Berberia.
N° 89 Descripcion del reino de Turez por Fransisco Ximanez.

Varios.

Traduccion de papel arabigo de un cautivo desertor de Tremecen que vino a Oràn.

Traduccion de varias inscripciones arabigas de Oràn S. XVIII. II-2-6-I3

Instruccion del Marquèz D. Martin de Cordoba al Conde de Alcaudete para gobermar Oràn, Masalquivir, Tremecen y Tunez. Carta original de Muley Xeque a Felipe III sobre su amistad 1606.

1/ Ouvrages Spécialisés

- BLEYE (Aguado).- Marmol de la Historia de España, tomos III y IV.- Madrid, 1972.

- CAMPAN Y Antonio.- Mémorias historicas sobre la Marina, tomos II Y III.- Madrid, 1940.

- CARVAJAL (Marmol).- Descripción de Africa.- Real Académia de la Historia.- Madrid.

- CARVAJAL (Marmol).- Oran, Cindad de la Provincia de Tlemcen.- Real Académia de la Historia.- Madrid.

- CAZENAVE (Jean).- Histoire d'oran pour le Mouques 'tabalosos. Bull, 1930.

- " " .- Pierre Navarro, conquérant de Velez.- Oran - Bougie - Tripoli.

- DIDIER (G.).- Histoire d'Oran. Petit C. 1932.

- FEG (Henri-Léon).- Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination espagnole.
Fevrier, 1858, n°8348.

- HEADO.- Topografia Y Historia général.- Madrid, 1929.

- KEHL (Camille).- Oran et l'Oranie avant l'occupation française.- Fougue L. 1942.

- LESPES (René).- Oran, Etude de géographie et d'Histoire Urbaines, Felix Alcan, Paris, 1830.

- LUNAJOSE (Calos de.).- Histoire de Gibralter.- Murcia 1621.

- PONS BOIGUES (Fracisco).- Ensago Bio-bibliografico sobre los Historia des géografos.- Madrid, 1898.

- PRIETO IVIVES (Antonio).- Formacion del reino de Grenada.- Madrid 1972.

- SABIO (Alfonso el).- Primera Cronica general de Espana.- Madrid,1955

- ZURITA (Géronimo).- Los Anales de la corona de Aragon.- Zaraqoza, 1688

2) Ouvrages Généraux

- BEAUVOIR (S.).- l'Amérique au jour le jour - 1092.
- BERTRAND (Luis).- Histoire d'Espagne.- Paris, A. Fayard, 1941
- CASTRIES (de).- Les sources inédites de l'Histoire du Maroc - Portugal
- COLONIE (La).- Espagnole en Algérie par Demantes in Bulletin de la société de géographie n°1899
- EMAMEL (Abbé).- Sous les pas du drapeau
- Espagnoles (Les), à oran in Bulletin de la Société de Géographie n° 1896.
- GRANIER (Beau-Jean).- L'économie de l'Amérique Latine.
- GUERRE et conquètes de Tlemcen, de cette ville par les espagnoles en 1543 in Revue Africaine n°1890
- GUERRES (Les) d'Oran, pendant l'occupation Espagnoles de cette ville 1509-1792 in Revue Africaine n°1830.
- HANSER (H.) La prépondérance Espagnole.- Paris, Alcan, 1933.- 2vol.
- HENRIQUE - LUIS.- Les colonies d'Amériques.- Paris, M. Quantin C 358
- HISTOIRE.- d'Oran par le marquis de Tababros in Bulletin de Géographie 1930.
- HUBERT - MARC.- Le Mexique, coll. Que sais-je ? - Paris.
- MELLEY (Blum).- La croisade en Algérie, Oran, Fouque, 1898.
- VIRE (P.).- Aupéril de l'Espagne - 1201.

(البـــــاب الثـــــانـــى)

الانعـــكاســـات السيـــاسيـــة ، والاقتصاديـــــة

الفصل الاول

الانعكاسات السياسية والعسكرية

١) المعركة الاولى الداخلية ، اندحار الاسبان بمرسى بن

٢) معركتا اغبال وتلمسان ، واستشهاد عروج .

٣) معركة هنين .

٤) معركة شعبة اللحم .

٥) معركة مستغانم ، ووفاة الكونت الكودات :

ا - اقوال وآراء عن موته ، ب - اسباب ونتائج الهزيمة

٦) التوسع الاسباني صوب الداخل

٧) الحصار الطبيعي ، (داء الطاعون)

٨) الحصار العسكري الاول لوهران عام ١٥٥٦

٩) الحصار العسكري الثاني وتحضيراته ،

١٠) الحصار الثالث عام ١٥٦٧ .

المعركة الأولى الدامية

"1" اندحار الاسبان بمسرغين •

تقع مسرغين شمال البحيرة الكبرى التابعة لوهران ـ السبخة الكبرى ـ LE GRAND LAC
لاتكاد تبعد عن هذه الاخيرة الا بحوالى 12 كلم ولا تفصلها عن ساحة وهران والمرسى الكبير سوى بعض الجبال القليلة الارتفاع والوعرة المسالك في نفوذ الوقت ، لكثرة أشجارها وصعوبة طريقها ومنعرجاتها وكانت قبل الوجود الاسباني وحتى أثناءه تدعى ـ دوار الخرابة ـ (1)
وتفاقما للتحرشات والاستنزازات المتتالية من طرف القبائل المجاورة قرر القائد الاسباني مارتيناز DON DIEGO MARTINEZ DE CORDOBA وكرد فعل للحد منها ، الخروج الى مسرغين قصد اظهار القوة والفعالية العسكرية الاسبانية •

ولم يكن هدفه من وراء ذلك الغنائم والاسلاب وانما جس النبض لتلك القبائل ، للتعرف على مدى قوتها وصمودها والاطلاع على الطرق البرية المحيطة بالمرسى الكبير والتى كان يجهلها من قبل• يخرج دون دياجو DON DIEGO من المرسى الكبير بجيش قوامه 1500 جندى ، وذلك فى 6 جوان ليلا من سنة 1507م مستليا بك هيدور ، ويساعدهم فى ذلك رجال ـ قيدزة ـ كدليل ، ولم يترك بقاعدة الغزو الاول سوى مجموعة قليلة من الجنود تحرس أسوار المدينة •
وبعد الرحلة الليلية الشاقة يتمركزون قرب الدوار قبل مطلع الشمس ، فيجد الاهالى أنفسهم عند الاستيقاظ مطوقين من كل جانب وعلى الرغم من حصول الاسبان على الموقع الاستراتيجى وتفوقهم بالعنصر العددى والمباغتة الا ويضرعون لقتال الذى لم تكن نهايته لصالحهم • فيتم أسر

---

(1) أحمد توفيق المدنى (حرب الثلاثمائة سنة) ص 103

من بقي منهم على قيد الحياة ، وتسبى النساء والاطفال ويستحوذون على كل ما يعثرون عليه من ثروات غذائية وحيوانية ، ثم يولون الادبار الى قاعدتهم .

ماكادت نيران المعركة يخمد أوارها ، حتى تستأنف الجولة الثانية من جديد على أرضية جبل هيدور ذلك أن رسل مسرغين الذين برحوها قبل الاتصال بالقبائل المجاورة طلبا للنجدة قد توصلوا الى اذكاء روح الحمية والمقاومة في نفوس هذه القبائل ، فصبوا مجتمعين لقطع الطريق عن العدو والاخذ بالثأر قبل وصوله الى قاعدته والاحتماء بين أسوارها .

قبل الزوال بساعات تمكنت هذه الفلول من العثور على القافلة الاسبانية فتعرضت لها والتحمت معها في معركة حامية الوطيس حيث أذهل صياحهم المتصاعد الى عنان السماء عدوهم ، وبث في صفوفه الرعب والفزع .

كم كانت فرحة المقاتلين جسيمة عندما التحقت بهم وانظمت اليهم مجموعات كبرى من وهران . فعللوا وكبروا وكادوا يقضون على القافلة كلها ، لولا استسراع أحد الاسبان من المتنصرين بالكف عنهم ، وابقائهم في حوزتهم في انتظار الفدية من أهليهم بأسبانيا .

لم يبق لدى القائد الاسباني غير العدد القليل جدا من حراسه ، فسارع بالفرار لكن الفرس الذي كان يمتطيه قتل ، مما اضطر أحد جنوده بالتضحية بفرسه وتقديمها له . غادر الساحة مخذولا منهزما ولشدة ما كانت فاجعته وخيبة أمله كبيرة عندما وصل قرب أسوار المرسى الكبير ، ولم يتمكن من الدخول(1) . فبقي منتظرا بأبوابها حيث أمضى ليلته كلها خارج المدينة لم يسمح له بالدخول الا في الصباح .

وبعد هذه الكارثة وحبا في الانتقام والثأر يقرر النزول والهجوم على وهران مستقبلا .

---

1) ذلك أنه قد أصدر أوامره المشددة بعدم فتح الابواب لأي أحد كائنا من كان ، وبأي حال من الأحوال قبل مطلع الشمس ... " توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة) ص 106 .

معركتا أغمات وتلمسان واستشهاد عروج :

- بعد تمكن خير الدين من فتح دلس والرجوع الى تنس واستقراره بها ، قدم اليه وفد من تلمسان مستنجدا به ، شاكيا له الفوضى والاضطراب الذى عما بالبلاد ، والاقتتال القائم ما بين الاخوة والعائلة الواحدة ، خاصة ضد السلطان أبي حمو الثالث المنصب من طرف اسبان وهران ، هذا الطلب الذى سبق له ان اعلن الولاء والطاعة للملك الاسباني حينما اجتمع به بمدينة بورغوس - Burgos - بعد سجنه الملك الغرناطي أبي زيان .

صمم عروج على تطهير القسم الغربي من الدخلاء وانهاء الوجود الاسباني ، لما يشكله من خطورة وتهديد بالداخل ، خصوصا اذا توغل الاسبان صوب مملكة تلمسان والقلاع بحرها تارة مناصرة لبعضهم ، واخرى مناهضة لهم حسب ما تمليه عليهم مصالحهم الدفاعية وتطلعاتهم الاستعمارية ، فبادر عروج بالتحرك صوب تلمسان .

اتخذ من بني راشد حضنا وقاعدة خلفية لضمان المواصلات من والي تلمسان ، وترك بها حامية مكونة من ٦٠٠ رجل بقيادة شقيقه اسحاق بن يعقوب ، وأمرهم بحفاظة اسبان وهران ومناصرتهم حتى يشق طريقه نحو تلمسان بسراحة وأمان . (١) لكن اثر وصوله الى أغمات تقابل

(١) أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة - ص ١٨٨

مع أبي حمو وجيشه البالغ ٦٠٠٠ فارس و ٤٠٠٠ مشاة ، فتمكن منهم وشتت شملهم وواصل طريقه نحو تلمسان ، بينما فر أبو حمو الى فاس ومنها ارتحل الى وهران واعتصم في خدمة الحاكم العام وفي حمايته . (١) .

اعاد عروج السلطان ابي زيان الثالث السعود الى العرش (٢) ، ونصبه من جديد بدل عمه ابي حمو ، وسعى حثيثا لاستتباب الأمور وتوحيد البلاد ، لكن ما لبث الوضع بعد استقرار وجيز طويلا ، ان انقلب الى دسائس وفتن اضطرت عروج للقضاء على ابي زيان وانصاره ،

اسر كالوص الخامس (٣) - شارلكان - حاكم وهران ان يعمل ما في وسعه والا يدخر جهدا في اعادة ابي حمو الى العرش ، واعداده بجيش قوامه ١٠٠٠٠ جندي فخرج ابي حمو والجيش الاسباني من وهران قاصدين تلمسان عن طريق العين بني راشد ، فصادروا قائدها اسحاق وتعهدوا بله بمساندته اياها دون اذى ،غير انهم نكثوا العهد وغدروا به بعدما نصبوا له كمينا فقتلوه عام ١٥١٨م ، بينما كانت فرق عسكرية اسبانية اخرى قد توجهت صوب تلمسان عن طريق راشقون لتفتح جبهة ثانية وتلقي بقوة ابي حمو لمحاصرة

---

١) المازري بن عودة : - طلوع سعد السعود - مخ ص ١٥٦

٢) هـ . ل . ، فاي - تاريخ وهران - ص ٨١ .

٣) المازري بن عودة : طلوع سعد سعود - مخ - ص ١٥٧

المدينة وتشدد بعد الخناق عليها . اقتحمت هذه الجموع أسوار تلمسان ، وتحول النزال الى معركة شوارع وأسواق وحتى داخل المنازل ، وكان عروج قد تحصن بالقصور، لكن جنوده من بقوا معه وهم قلة ، اضطر الى اختراق جدار القصر والخروج من تلمسان صوب الساحل بجمال بني سناسن ، فالتقى بالقائد الاسباني فارسيادى لا بلاسا Garcia de la plaza - بين جدران زاوية سيدى موسى فاشتبكا وسقطا معا على الثرى ، (١) فكانت فرحة الاسبان لا تضاهيها اية فرحة ، فاحتزوا رأس عروج وطافوا به شوارع مدينة وهران والمدن الاسبانية وحتى الاوروبية منها . (٢)

لم يكن استشهاد عروج خاتمة المطاف لمواصلة الجهاد والمجابهة . بل كانت قاعدة جيش حاملة باسماء القادة والابطال الذين ما يقوا الوجود الاسباني بوهران وحاصروه داخل أسوار المدينة ، " توفي قرب مقطع الوادى Rio Salado في شهر ماي ١٥١٨ وعمره يومئذ تسع واربعون سنة ... ووضعت ملابسه في دير مونا سترمان جرحوم بقرطبه ... ودفن بجوار رضريح

---

١) ارجع الى بيرجار - Berbrugger - (R.A) المجلة الافريقية (اكتوبر ١٨٥٩)

٢) م . ل . فاي - تاريخ وهران - ص ٨٢ ، ٨٣ .

رمضان ." (١) بينما يذكر توفيق المدني " انه بلغ الخمسين من عمره ." (٢) ومجمل القول ، أن أسباب الهزيمة واستشهاد عروج راجع لعوامل عديدة اتضحت جلية خصوصا ، عبر مراحل تاريخ المملكة التلمسانية ، ويمكن حصرها في نقط رئيسية ، منها النزاع المستمر حول تولي السلطة والاستحواذ على العرش ضمن الاسرة الحاكمة الواحدة ،التأرجح تارة مابين الانضمام الى تونس واخرى الى مراكش ، واحيانا التحالف والتعهد بالتبعية للحكام الاسبان بوهران ، اضافة الى بعد المسافة عن الجزائر وطلب النجدة من حين لآخر بينما كان الرأي العام في الوسط الشعبي مدفأة للتذمر والاستنجاد بالقوة الجزائرية طيلة العهد الملكي .

---

١) عبد الرحمان الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ج٣ص٤٤

٢) أحمد توفيق المدني : حرب الثلاثمائة سنة ص ١٩٢ .

معـــركـــة هنـيـــن .

تمثـــل هنين المركز الا ستراتيجي الا قتصادى ، والمرفا الـرئيسي لتلـمسان ، القريب منها مسافة ، وابان احتلا ل الا سبان لكل من المرسى الكبير ووهران ،بادر ملك تلمسان با رسـال جيش قـوي لصدّ الزحف الا سباني عن الميناء قبل توقعه الهجوم على المدينة بسنوات خلت ، وهذا نظـرا لما كانت تمثلـه مدينة هنين من آثـار وسمات اقتصادية جـدّ هامة ، تجلت في كونها قاعدة وجسرا لتمرير التجارة من والى الساحل الاروبي .

فبعد النكسة الا سبانية والهزيمة التي أنزلها خير الدين بالا سبان في واقعة البنيون - صخـرة الجزائر- والتـي كلفتهم أرواح العـديـد من جنـدهـم وعلى رأسهم قـائد القلعـة مارتينودى فارقا

وطلب للتـاثـر بامر الا مبراطور شـارلكان القائد الغارودى بازان D.Alvaro de Bazan في شهر اوت من عام ١٥٣١م بالهجوم عـلـى ميناء هنين ، وذلك لشلّ الحـركـة العـسكرية والتجارية للعاصمة الا قتصادية بمـمـلـكـة تلمسان ، وفتـح طـريق بحـري ا خـر ينطـلـقون منه صوب

تلمسان بدون خطر او وقت ضائع . (١) .

تمكن الجيش الاسباني من اقتحام المدينة وميناءها بسرعة ، نظرا للحامية التلمسانية القليلة عدة وعددا والرابضة بالمرفا بواسطة ١٣ سفينة حربية ، وتمكنوا من احتلال القصبة وغنم ما فيها ، فلماذا عمد الاسبان لاختيار ميناء هنين عن غيره من الموانئ الاخرى ؟ .

قد كلفهم الخروج من وهران ، ومحاولة التوسع والتوغل داخليا ، الامر الكثير ، حيث ان الطريق البري الذي اعتاد الاسبان نهجه صوب تلمسان ظل محفوفا بالمخاطر ، وعرضهم دوما للكمائن المستمرة والمحكمة من طرف القبائل المجاورة ، ولم يوفر لهم البتة ربط مواصلاتهم تموينية كانت ام عسكرية ، بالمملكة التلمسانية ، فاصبح ظهرهم بل قاعدتهم الخلفية عديمة الحماية وبعيدة المسافة وبالرغم من احتلالهم لهنين ، لم تكن لديهم القوة والفعالية في الاحتفاظ بها لامد بعيد ، نظرا للعائق والحصار الذين سبق ان اشرنا اليهما ، فلم يمكثوا بها سوى سنوات ثلاثة ، اضطروا اثرها لمغادرتها بعدما انزلوا عليها جام غضبهم المتمثل في التحطيم والدمار.

وتشير الوثائق الاسبانية ، المتمثلة في التقارير والمراسلات ان مكانة هنين الاستراتيجية لعن الضرورة بمكان ، للمراقبة وتاديب ملك تلمسان ان خرج عن طوعهم وتنكر لتعهداته واتفاقياته التي ترمز الى الولاء ، والاعتراف باحقية الاسبان في احتلالهم للمرسى الكبير ووهران .

(١) Marmol Carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecen. (Madrid)

معركة شعبة اللحم :

في مطلع عام 1541م يطر أتغيمر في تسيير دفة الحكم بالنسبة المدينة وهران ، فخلف الكونت الكودات الحاكم الجديد كومارس D.Diego Comarez - ، ومنذ أن تقلد هذا الأخير مهامه ، يسترجع الاسبان مكانتهم ، ويستعدون لخوض معارك جديدة ضد القبائل الدانية والقاصية ، بينما ظل أبو حمو وفيا بعهده ولم يتوقف برهة أو يتقاعس لحظة لتجديد ولائه ، وتأكيد مساندته للحكام الاسبان ، غير أن وضعية أخيه عبد الله كانت على النقيض من ذلك ، فلم يحذ وحذوه بل ساند خير الدين في العديد من الفترات ، واشتهر عن تأديه الضريبة للكونت الكودات فيرأنه بعد وفاة عبد الله يبرز على الساحة السياسية بمملكة تلمسان ، الصراع من جديد حول السلطة والعرش " فتكرر غزو النصاري لتلمسان بسبب اختلاف كلمة أمرائها حتى صار كل منهم يستعين على الآخر بالنصارى " (1) وهذا جليا التنازع بين ولديه عبد الله والمسعود الأخ الأصغر الذي طرد من تلمسان ، فتأ على عبد الله مجددا الولاء لحاكم وهران ، وذلك تحسبا لكل مخطو يمكن أن يهدده في حالة ما اذا ساندت الدولة الجزائرية أخاه المسعود ، وتخوفا من اعادته وتنصيبه على العرش من قبلها ، فيسارع في طلب المدد من قادة وهران . (2)

بأمر شارلكان القائد العام بوهران الكونت الكودات بمنحه كل التسهيلات والمساعدات حتى يضمن بقاء ملكه تلمسان على تبعيتها لهم ، وعزلها عن الجزائر خوفا من الانضمام اليها أو التحالف معها لابعاد الوجود الاسباني عن كل من

---

(1) المازوني بن عوده - طلوع سعد السعود - ج ص 157

(2) أحمد توفيق المدني - حرب الثلاثمائة سنة - 311

(3) Marmol Carvajal, - Hom, Cindad de la provincia de Tremecene - (Real Academia de la Historia - Madrid)

وهـــران والمـــرس الكبيـــر ، وطـــالبه بتسليـــم عبـــد اللّـــه أربـــع قطـــع مـــدفعيـــه وامـــداده بـــألـــف رجـــل مـــن حاميـــه وهـــران ، يـــوضعـــون تحـــت قيـــادة الفونســـوما تينـــاز - D. Alphonso Martinez - (3)

قبـــل انطـــلاق الاسبـــان مـــن وهـــران ، يتـــم التشـــاور بينهـــم وبيـــن عبـــد اللّـــه فـــي كيفيـــه تحضـــير الخطـــه العسكريـــه قصـــد محـــاصـــره أبـــي زيـــان المعـــود و مهـــاجمتـــه ، فيتفقـــان معـــا علـــى فتـــح جبهتيـــن تنطلقـــان سويـــا مـــن وهـــران وتلمســـان علـــى أن تكـــون نقطـــه التجمـــع بالقـــرب مـــن عيـــن تمـــوشنـــت .

كـــانـــت أحـــلام عبـــد اللّـــه وتفـــاؤلـــه بـــالنصّـــر علـــى أخيـــه المعـــود تكمـــن ، أســـاســـا فـــي أتكـــالـــه علـــى مســـانـــده القبـــائـــل وانضمـــامهـــا اليـــه وهـــوفـــي طريقـــه نحـــو عيـــن تمـــوشنـــت لكـــن معـــاه خـــاب ، ولـــم يحصـــل المتـــه علـــى أيـــه مســـاعـــده مـــن طـــرف تلـــك القبـــائـــل التّـــي علّـــق عليهـــا آمـــالا جســـامـــا ، والّتـــي كـــانـــت تتنمـــر مـــن حيـــن لأخـــر عليـــه وتعـــرض عنـــه و لا تنـــصـــاع لسلطـــه نتيجـــه لتسلّـــطـــه وارهـــاقهـــم بالضرائب ، بينمـــا لا حـــظ مـــا رتينـــار أثنـــاء وصـــولـــه الـــى شعبـــه اللّحـــم بعـــد حلول بعـــد حـــلول الجيـــش التلمســـانـــي بقليـــل ، أن الطـــاقـــه العسكريـــه لهـــذا الجيـــش جـــدّ ضئيلـــة بالنسبـــه لعـــدد الجنـــود ، واعتقـــد بـــأن عـــدم التحلف القبـــائـــل بالقافلـــه التلمسانيـــه كان ناجمـــا عـــن وحـــظ وتوبيـــه الأئمـــه ، اذ مثـــل هـــذا الوازع الدينـــي بالنسّبـــه للزحـــف الاسبـــانـــي مقـــاومـــه ايجابيـــه ضـــد الفريقيـــن معـــا ، " فمنـــا صـــروا عبـــد اللـــه وأتبـــاعـــه وحتّـــى أصـــدقـــاؤه خـــذلـــوه وتخـــلـــوا عنـــه جميعهـــم تقريبـــا ، حيث لـــم يتمكـــن مـــن العـــوده الـــى تلمســـان ، وطلـــب مـــن مقـــاتليـــه وجنـــده التوجـــه الـــى وهـــران . " (1)

لـــم تكـــن لـــدى مـــاء تينـــاز قابليـــه تسمـــح لـــه بالتـــراجـــع الـــى وهـــران ارضـــاء لـــرغبـــه عبـــد اللّـــه ، مبـــديـــا انتـــدهـــاشـــه واعتـــراضـــه علـــى هـــذه الفكـــره ، ومقـــررا فـــي نهـــايـــه المطـــاف الأعـــوده الأبعـــد المعركـــه ، اذ أن التراجـــتـــع هـــذا سيكلفـــه الكثيـــر ، بـــل الخســـارة القصـــوى . " (2)

(1) هـ . ل - فـــاي . - تـــاريـــخ وهـــران - ص 85

(2) Barges l'Abbé, - Histoire de Beni Zeiyan Rois de Tlemcene - ص 117

فلم يتوان في أخذ زمام المبادره للتدخول في المعركه كمهاجم لا وليس كمدافع ،غير أن تلك الفتره اعتبرت بشابة أسود يوم في تاريخ الحاميه الاسبانيه لوهران ذلك أن الفرسان المناصرين للمسعود استطاعوا من تحطيم وتحقيق القوتين معا ، لجيش من كل من صارتيناز وعبد الله بشعبه اللحم ،فكانت نتائجها وآثارها سيئه وماهفه التكاليف بالنسبه للاسبان نجم عنها موت العقيد أرقوت Argote والظابط مارتيناز (2) ولم يسلم من الكارثه سوى 13 جندي ومعجزه غير منتظره ،حطوا الهناء الى الحاكم العام بوهران .

وبعد ومن خلال هذه المعركه وما سبقها من قبل ،أن نعكاساتها ظهرت بجلاء مبرزه نفس العوامل التي حدثت بساحه الملكه التلمسانيه سلفا ،من تصدع وانهيار للأركان السياسيه والعسكريه ، وتفتت في الوسط العائلي الواحد ،وكذا من فتن ودسائس واضطرابات متتاليه ،فكان تطلع الاسباني وطامعهم في السيطره والحفاظ على موالاة الأمراء التلمسانيين اليهم وهذا بدء بيروز ظاهره الاحتماء بهم حتى أن الاسبان أنفسهم كانوا يعتبرون "ملكه تلمسان من ضمن ممتلكاتهم هما عليهم مملكات الأمبراطور يجب الدفاع عنها" (1) وابعاد الدولة الجزائريه التي سعت حثيثا لبسط نفوذها على كامل التراب الوطني ،وضمن هذا المنظور بدي تغلغل السيطره الاسبانيه بارغام أهلها وأمرائها على عقد معاهدات واتفاقيات لصالحهم .

---

(1) 1) Marmol Carrajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecene - (desp de Africa, Real Academia de la Historia, Madrid)

ملحمة مستغانم ووفاة الكوندات :

لعل ابرز سلامح بوادر الحملة الاسبانية ضد مزغران ومستغانم (١) تهدو جلية في التحضيرات المسبقة لذلك ، والتي عاصرت احداثا سياسية وعسكرية في كل من المغرب وتلمسان ،وكذا باسبانيا نفسها ، فبعد التحالف الثنائي ما بين المغرب واسبانيا على يد كل في الكونت الكوندات والشريف الذي تعهد بموأزرته ومساندته للاسبان عدوهم الأتراك ، يغتبط الكونت بهذه النتيجة فيبعث الى - بابا دوليد لاطلاع المجلس والأسرة جان معا بنتائج هذا التحالف ، الذي يعتبر بمثابة سند جديد واضافي لتدعيم الاحتلال الاسباني ولصالحهم ،والذي سيتخذه الاسبان كقاعدة خلفية لحماية ظهورهم بوهران بعد مملكة تلمسان .

أبدى رئيس المجلس الملكي القشتالي خوان دي فيقا Juan de Vega تفاؤله ومصادقته لاقتراحات الكوندات المتمثلة في زحفه على مدينة مستغانم تلبية لنصرخته ، فبوان فحوى هذه الفكرة المنطوية على التوسع الاسباني عبر الشريط الساحلي للحصول على مراكز استراتيجية جديدة ،ارتطمت بحواجز الرفض قبل واثناء الهجوم على مدينة مستغانم من قبل العديد من قادة الاسبان ، وكان اولهم النمساكيز مونديخار Mendejar الذي لعب دورا عسكريا في الحملة

---

١) يذكرها الادريس في مؤلفه :- نزهة المشتاق - انها مدينة تشمل كل المرافق الضرورية للاقامة فيتحدث عنها قائلا : " مستغانم على البحر مع الجون ، وهي مدينة صغيرة لها اسواق وحمامات وجنات وبساتين ومياه كثيرة ، وسور على جبل مطل الى ناحية الغرب " تحقيق محمد الحاج صالح ١٩٨٣ ص ١٢٨ ديوان المطبوعات الجامعية . " ليس بمستغانم ميناء أو ملجأ - جون لحماية السفن وبما انها ضعيفة يسهل في حين آخر احتلالها بواسطة الاسطول الاسباني القادم من وهران " مراسلة دوريا Juan Doria من قرطاجنة بتاريخ ٦ جوان ١٥٩٤

ضدّ تونس عام ١٥٣٥ ،وكان على اطلاع واسع بشؤون السياسة الافريقية ، اذ عارض خطة الكونت بشدة استنادا على حجج كثيرة تجلت في عدم ثقته بشريف المغرب ومن معه من المغرب نظرا لعدم وجود ضمانات موضوعية ، اعتدادها الاهالي في سياستهم ومعاملاتهم مع حكام وهران سلفا ، وهي تتمثل في تقديم الرهائن بالاضافة الى اذكاء الأئمة نار الجهاد في قلوب العرب المجابهة النصارى ، دفاعا عن الاسلام قائلا : " لم يحن الوقت بعد لارسال الجيش الى مستغانم ، ونحن غير مهيئين للمقاومة " (١) صاحب القائد نيكولو F.Nicolo ـ الكونت حتى قرطاجنة في انتظار أوامر الملك وتوجيهاته ثم عند وصولهما الى فالونسيا يشعره بأنه لا يملك فرقا عسكرية كافية لما تتطلبه الحملة ، وانهم اي الجند شبان دون سابق تجربة عسكرية " وسينهزمون لمجرد الضربة الأولى (٢) فيهدد ان الكونت لم يجرد لأنفسنا صاغة وسيكبد خسائر كبيرا محاولة المغامرة اذا لم يكن لديه حسب رأي ديدييه " حول للتراجع بعد هذه التحضيرات ، حتى لا يمس في شعوره وخاصة شرفه العسكري (٣) .

وحتى قبل انطلاقه الحملة بضعة ايام ومن وهران ذاتها يحذر الكونت فرانسيسكو الفاشلة سبقا ، وينصحه بالتخلي عنها نظرا لضعف جنده " اذ كان من الافضل ارسالهم الى اسبانيا " (٤) واذا امتنع ولم يتّعظ فسيظطر لاعطائه امرا باسم جلالة الملك .

---

١) ديدييه : ـ تاريخ وهران ـ ص ٥٨

٢) ديدييه // // ص ٦٠

٣) // // // ص ٦١

٤) Barjer l'Abbé, - Histoire de Beni Zeyan Rois de Tlemcene - p 187

أما في الجانب الآخر ، فان صدمة الاسبان كانت كبيرة لما ايقنوا ان مساندة شريف المغرب لهم لم تتم طي الوجه الذي توخوه ، وهذا بعد وصول النبأ من قبل السفير هارنونداز Gonzalo Hernandez- الذي كان الكونت قد اوفده الى المغرب من وهران ، يخبره ان عاهل فاس لم يكن استطاعته تنفيذ شروط الاتفاقية ، فكان بمثابة فشل وانهيار نفساني ، حيث كان لزاما عليه العدول ساعتئذ عن تنفيذ الفكرة ، وضمن تقرير من القنصل الاسباني ببلعباس يصرح انه " تجاه هذا الموقف كان من الافضل للكونت اعطاء عطلة لجيشه ، هذا الجيش الذي لم يكن بمقدوره الدخول في حرب بافريقيا لمفرده ." (١) .

في تلك الأثناء ، وعلى محور القطاع الغربي من الجزائر كان حسن بن خير الدين ، قد شد رحاله الى تلمسان ، قصد ابعاد رجال الشريف عنها حتى حدود الملوية ، بعد مناوشات مع السعد بين لموًا زرة القائد - صفطه - في قلعة العشور ، فواصل زحفه صوب فاس لمقاتلة عبد الله الغالب بالله ابن الشريف المتوفي ، لكنه بعد نزال يوم كامل بوادي اللبن حيث التقر الجمعان قرب المدينة ، يقرر حسن الانسحاب خوفا من قطع خط الرجعة من قبل الاسبان ويقفل راجعا الى الجزائر . (٢)

في ربيع ١٥٥٨م تصل هذه الاخبار الكودات وهو باسبانيا

---

١) هـ . ل . فاي : تاريخ وهران - ص٩٧

٢) هـ . ل . فاي - تاريخ وهران ص٩٨ .

فيرى في ذلك وخاصة بعد موت الشريف انها تشكل عائقا خطيرا لعدم مشاركة المغاربة في التدخل لصالحهم ، بعد ان انسحاب حسان من وجهة نظره لا يخدم الا المشاريع الاسبانية ،فبالاضافة الى سمعته وطابع حملته الصليبية ضد المغرب ، يتكلف شخصيا بعملية انخراط وادخال الجنود في سلك الخدمة العسكرية ، فيجمع ما يقرب من ١١،٠٠٠ جندي معظمهم من بنلا ° فالونسيا ومملكة غرناطة الذين هرعوا ازرافات لتلبية ندائه ، وحصوله على المتطوعين من قشتالة القديمة والمانش ، حيث لم يسمح له في البداية الا بعدد محدود لا يتجاوز ٨،٠٠٠ جندي فقط (١) .

وتعهدة لخاطره بمدهما رنونداز Gonzalo Hernandez بمساندة كافية من طرف القبائل الموالية ، اضافة الى سكان مملكة تلمسان ، (٢) ومن الممكن مساهمة المنصور بن بوغانم من بني عامر لهم ، فيهجر الكودات من قرطاجنة صحبة ستة آلاف جندي مع بعض الذخيرة ، بينما تتمركز القوة الثانية البالغة خمسة الاف جندي بمالقة ، وبعد الانتهاء من كافة التحضيرات تحت اشراف ابنه دون مارتان Don Martin يصل وهران بتاريخ ٦ جويلية ، ينتهز اثرها ستة ايام للتفاوض مع حكام مملكة تلمسان التي لم يتمكن لقواة الجزائر اقتحام الجزء الثاني منها ،اذ كان بعيدا عن حوزتهم سهادنا ويمكن ان يكون هذا الاخير على راسه المنصور بن بوغانم ، فلم تسفر تلك المفاوضات عن اي قرار، (٣) فاعتقد الكودات انه باستطاعته اقناع العرب عن طريق استعراضه القوة العسكرية ، وتكون فرصة مواتية لتدريب جنده المكون في سوادة الاعظم من الشبان ، فينطلق بهم من وهران يوم ١٢ جويلية سيما شطر جبال تاسالة وهم في فوضى وعدم انضباط .

---

١) legajo Manusecrito numero 21 (Réal Academia de la Historia, Madrid)

٢) Marmol Carvajal, - Dran Ciudad de la provincia de Tremècene (Africa 194-195)

٣) احمد توفيق المدني - حرب الثلاثمائة سنة) ص ٣٧٤

ابان محاصرة الكودات تاسالة ، ونتيجة لصمود سكانها وفقدانه بل انعدام المؤونة اصبح مفروضا عليه التراجع والانسحاب الى وهران وهذا في نهاية شهر جويلية ، فعانى جيشه من المجاعة الكثير اذ لم يتزودوا الى بمقدار رصيد اربعة ايام لا غير ، مما زاد في همومهم وآلامهم ، ودفعهم للتمرد والتذمر .

ومنذ وصولهم وهران بتاريخ ١٢ اوت ظل الكودات يبحث عن وسيلة تجعله يقف صلبا قويا فيما سيقدم عليه مستقبلا للزحف على مستغانم فيترك بجيشه قاصدا مزغران يوم ١٤ اوت بقوة ١٤،٠٠٠ جندي ومؤونة ستة ايام المحملة على ظهر السفن المصاحبة للجيش لمجاراة الساحل ، فحلوا بمزغران (١) يوم ٢٣ اوت على العاشرة صباحا ودخلوها دون مقاومة تذكر بعد تحطيم بوابتها الرخامية الرئيسية بواسطة ١٢ كرة حديدية ، ومن ثمة تصل المقدمة الى مستغانم ، فتدخل المدينة فيوان الكودات يأمرها بالانسحاب والتمركز مقابل المدينة ، اثناء ذلك ينصحوا ابنه دون مارتان بمباغتة الخصم - سكان مستغانم - ليلا دونما انتظار - ويطالبه بتزويده بالف جندي للمجابهة ، - حسب رأي مارمول - ٤،٠٠٠ جندي وهذا قبل وصول المدد القادم من الجزائر الى المدينة .

---

١) وبهذا العدد يذكر المازري جهز كارلوس وهو شارل الاول جيشا عظيما لغزو مزغران ففتحها عنوة في اواسط الستينى من القرن العاشر تحت رئاسة الطائفة الفرطاس (الكودات) ولما سمع بذلك خير الدين باشا الجزائر تألم كثيرا ،وجمع جيوشا من كل جهة وقصد مزغران فنزل عليها وقاتلها شديدا ، واتحه الله النصر ، فاثخن فيهم قتلا واسروسبا ،الى ان فتحها عنوة زوال يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة الحرام سنة خمس وستين من العاشر ولما فرغ من القتال امر بجمع الرؤوس فجعلت تلا " .

ما نع الكونت الكودات اول الأمر لعدم وصول السفن المحملة بالمؤن ، فيحتد القتال بينه وبين الحامية القليلة العدد من المسلمين الرابضة داخل المدينة ، وتتحول الحرب من معركة كلا سيكية الى حرب شوارع ، صمد فيها المستغانميون وابلوا فيها البلاء الحسن في انتظار وصول المدد ، وتمكنوا من ابعاد الاسبان خارج المدينة ، وفي مساء الخميس يتغير الموقف العسكري ، وتذهب تخمينات الكودات وتطلعاته بالنصر المحقق ادراج الرياح ، ذلك ان السفن المحملة بالمؤن القادمة من ميناء ارز (؟) وقعت في قبضة الاسطول الجزائري فغنموا كل ما فيها ، وهذا ما زاد من تخوفات الاسبانيين فمن دون ذخيرة ومؤونة لا يمكن للكونت الكودات مواجهة الجيش الجزائري بقيادة حسن بن خير الدين ، اضافة الى المدد الذي تمكن الحاج علي من جمعه في مازونة وتنس فكان المجموع يفوق الألفي جندي ، وازاء هذا الوضع يقرر الكودات القتال من طريق الانسحاب .

كانت عملية الانسحاب بطيئة نظرا لجر المدافع على الرمال ، ناهيك عن ضياع لتراس الجند على الساحل بحثا عن الخروب الذي كانوا قد تركوه لهوسهم قبل الزحف على مستغانم ثم حاولوا الرجوع الى مزغران بنصب المدفعية في مقدمة الجيش ومؤخرته . (١) يصل نبأ انسحاب الاسبان سكان مستغانم حسن بن خير الدين ، فتجري ملاحقتهم دون ضياع وقت ، وعند انبلاج الفجر يصلون قرب مزغران ويظفرون بمؤخرة الجيش التي كانت

---

١) هـ . ل . فاي : تاريخ وهران - ص ٩٩ .

التي كانت تحت قيادة دون مارتان وهم في فوضى عارمة فما فتوهم واتووا طي جل جند المؤخرة ، بينما سارع الضباط منهم للجوء الى مزغران ، فحفروا الخنادق ونصبوا مدافعهم طي طول الأسوار ، وتظم الكودات خطة التصدي والاقتتال بواسطة فرق صغيرة مكونة من مائة الى خمس مائة جندي ، كي تضمن للبقية عملية الانسحاب . (١) دامت المعركة ست ساعات فحتى الساعة الثانية عشرة الرجوع الى داخل مدينة مازغران ، لكن جبهة اخرى كانت قد فتحت ففاجاتهم والتحمت معهم، وطي الساعة الثالثة تحل الفاجعة بالاسبان حيث يشتغل برميل البارود فيسبب انفجاره مقتل المئات ، وحسبمزاعم الاسبان ربما كان ذلك ناجما عن اهمال احد الجنود الذي وقعت منه فتيلته وهي مشتعلة (٢) فلقي مصرعه اكبر قوادهم وهو الجنرال نافارات (٣) Navarette كان هذا الانفجار سببا في اندفاع الاسبان داخل المدينة للاحتماء بأسوارها على جثث بعضهم وفي فوضى مطلقة حاول خلاله الكونت تشجيعهم لكن وقع من على ظهر فرسه فمات دوسا تحت اقدام جنده (٤)

---

(١) دييد مي : تاريخ وهران - ص ٦٥ .

(٢) يذكر عبد الرحمان الجيلالي اوقدت النار في مخازن البارود وكان من اثر انفجارها سقوط اسوار المدينة " تاريخ الجزائر العام ص ٩١

(٣) G. Berbrugger, - Conquête d'Oran - R.A 1866 p. 47

(٣٤) احمد توفيق المدني . حرب الثلاثمائة سنة ص ٣٧٦

(٤) المازري بن عودة - طلوع سعد السعود - ص ١٥٥ .

أ قوال عن موت الكونت الكودات :

تضاربت الآراء حول كيفية موت الكونت الكودات بمزغران بعد عملية الانسحاب من مستغانم ، وقد اشار الاول أن الكونت دخل مزغران مرات ثلاثة دون التمكن من محاولة التأثير على الجند صارفا : " هيا الى الموت دون تلطيخ الشرف الاسباني " (١) فمن الجائز ان يكون قد اصيب اثناء هذه الحادثة من قبل الرماة الاسباني الذين كانوا يقذفون من اعالي الأسوار ، بينما يذهب الراي الثاني الى الاشارة باصابته من بطعنتهن من بند قبيلة ساعة المعركة ، أو اثناء تسارع الجند .

فهران ارجعهم وهو الراي الثالث الذى يذكر انه لفظ انفاسه الأخيرة تحت اقدام جنده وفرسه ، وبالرغم من ذلك فسيظل السبب الرئيسي الذى ادى بوفاته محل تساؤل عن طريقة التي قتل بواسطتها ، وبالرغم من ذلك فسيظل السبب الرئيسي الذى ادى بوفاته محل تساؤل عن طريقة التي قتل بواسطتها ، ومهما كان الامر فان موته زاد في بؤس وفشل الجند بغض النظر عن كل مآسي الجوع والعطش ، وحتى الضباط انفسهم - وهذا من بين الانعكاسات السلبية للحملة - صاروا يضربون كل من تحول له نفسه مواصلة القتال باصرار وعناد ، فيتعرض دون مارتان ابن الكونت لاصابة واسر ، وعند غيب شمس يوم الجمعة من تاريخ ٢٦ اوت يستسلم الاسبان ويرفضون الشروط الاستسلام .

ورغم فداحة الهزيمة ، لم يكن هناك اي جندي اسباني قد تمكن من الفرار لابلاغ قادة وهران بما حدث (٢) .

---

(١) دبيدي - تاريخ وهران - ص ٦٠

(٢) Dr. René lespes, - Oran etude G et d'Histoire Urbaine, p 66

الا بواسطة دون مارتان الذى اطلق سراحه فاوصلته كوكبة من جند مستغانم حتى سهناء ارزو فدخل وهران صحبة جنشة ابيه ، وهذا مقابل الفي دوقة واطلاق صراح احد شيوخ القبائل الذى كان محتجزا بوهران من جراء غارة على بعض المناطق المجاورة ، ولهول الفاجعة لم يستطيعوا ابلاغ شار لكان وهو على فراش الموت ، بل لاذوا بالكتمان (١)

خلفت آثار الهزيمة وخاصة موت الكودات قصائد رائعة من الشعر الملحون تصور الواقعة كما حدثت ، فهي عبارة عن ملحمة جديرة بالدراسة الأدبية ، تعطينا فكرة عن كل معطياتها السياسية والعسكرية ، ذلك ان الشاعر هو لسان حال قبيلته ومجتمعه والمدون لكل ما يحيط ويكتنف بيئته من خواطر وانشغالات وعن مصرع الكونت الكودات ومعركة مزغران تنشد عقيرة شاعر قبيلة السويد الشيخ الأكحل بن خلوف الشهير بالأخضر بالأبيات التالية : (٢)

---

١) يذكر عبد الرحمان الجيلالي في هذا الشأن " قضى حسن بن خير الدين على الجيوش الاسبانية المقيمة بمازغران فاسر منها ١٢ الف نسمة ... وكان موت الاكثرية من جيش الاسبان (٧٠٠٠٠ قتيل) وفيهم الجنرال ماجور (الكونت الكوديط) . " - تاريخ الجزائر العام -

٢) الراشدي (احمد بن محمد بن علي بحنوف) تحقيق المهدي البوعبدلي :- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني - ص ٥٥ -

يا سا يلني عـــن طراد الروم ... قصـــة مزغران معـــلـــومه
اركبفارس، اسبق ود نـــا ... بالتعريف يبشـر السلـــطان (٢)
اخفا الواد الشايع المعـلوم ... فيه اصلا ن سويد سلـومه
جاو الشيوخ سويد للسلطـان ... وفيهم ابوبكر ومـــحمـد
من بني راشد وآل سويـد ... وفرا سيـــن اسلاطنه وجواد
يا مغراوه اتحزموا للكيد ... منكم خلـقت اسلاطنه وجواد
طل على الفرطاس(٣) يوم ازمات ... في المغرب اهل الخزي ردوه

لم يبرز الشعر الشعبي خلال هذه الفترة وحتى فيما بعدها ، نمط ملحميا يصـــور مراحل المعركة التي دارت مابين الفريقين تصويرا دقيقا (كما خلد وهذا الشاعر) حتى ليخيل للقارئ كانه امام عرض سينمائي كأنه امام عرض سينمائي تعرا مام ناظرية تلـــك الصور واللقطات وهي تفصح بجلاء عن شكيمة وشدة احكام الخطة العسكرية التي رسمتها الجيش الجزائري ومما يجدر بالاشارة ان اسلوب الشاعر اتسم بطابع الموضوعية والأمانة وتكاد تكـون مجريات الأحداث متشابهة الى حد كبير لما اورده جل المؤرخيـن وحتى الأجانب منهم - من حيث السرد أو الوصف لجل المعارك التي دارت بمستغانم ومزغران فما جندا لو التفت شعرا ؤنا الى هذه الشاعرية ، ووقفوا لحظة تأمل وتفكير لتحليل تلك القصيدة الرائعة التي يمكن ان ترتقي الى مصاف الملاحم العالمية نظرا لغزارة معانيهـا وتعدد صورها ولوحاتها ، وثقـــة تصوير مشاهدها .

---

(١) يقصد بالسلطان حسان بن خـــير الدين

(٢) الراشدي (احمد بن محمد بن علي سحنون) تحقيق المهدي البوعبدلي الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني - ص ١٢٠ .

(٣) يقصد الشاعر بالفرطاس الكونت الكوداث .

نتائج واسباب الهزيمة :

تدل الروايات و مختلف الآراء على ان سبب الهزيمة راجع الى عوامل عديدة ، ساقها بعض المؤرخين في شكل نصائح قبل بداية الحملة ،او استنتاجات بعدها ، فمن خلال تقرير القنصل الاسباني بمليلية يذكر انه بعد رفض مساندة شريف المغرب للاسبان ، كان على الكونت الكودات" تجاه هذا الموقف التراجع عن الحملة ، واعطاء الجيش فترة استراحة" (١)

وحتى العامل الزمني كان له دوره الفعال بالنسبة لتحقيق الانتصار ،اذ ان طول فترة الانتظار لكودات ابان وصوله الى وهران ، اعطى الفرصة لسليمان مستفانم باخذ الحيطة والحذر وللدولة الجزائرية اعداد الترتيبات الكفيلة بالمواجهة فيستطرد قائلا : كان السبق بالكونت اثر وصوله لوهران الهدف بالهجوم على مستفانم دون تأخير ، فيسهل عليه اقتحامها (٢)

لكن المعرفة العسكرية القليلة ، وعدم الممارسة والمشاركة في الحروب من طرف الجنود الاسبان الذين قبل انخراطهم الكونت في سلك الخدمة العسكرية ، يعتبر من بين العوامل التي ساهمت وعجلت بالهزيمة" صحيح ان جل المنخرطين من الشباب ، وهم دون معرفة وتجربة بما سالهب الحرب سما سيفر لا محالة بنجاح الحملة وهذا كسبب رئيسي ." (٣) .

لم يقتصر فشل الحملة على الجنود الشبان البسطاء فحسب ، بل كان للضباط هم بدورهم ضلع في ذلك ، نتيجة لاستهتارهم والتقليل من اهمية المعركة وعدم انضباطهم ، " فكانت قلة الكونت الكبرى الكبرى ماثلة في عدم المعاقبة بشدة الضباط المتهمين بعدم الطاعة والامتثال للأوامر ." (٤) ويرجع البعض على ان ما حدث من كارثة بمستفانم

---

(١) دبدبي ، تاريخ وهران - ص ٥٢

(٢) Marmol Carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecène - (Africa 194-195)

(٣) دبدبي : تاريخ وهران - ص ٦٣

(٤) " " " "

وما حل بالجند الاسبان كان من جراء الاهمال في ضبط الاحتياطي للمؤونة . فعاشوا ازمة تموين حادة . نظرا لحملهم زاد اربعة ايام فقط، ادت الى العيش على الخروب والحشيش البرى والبصل في وقت لم يتوصوا فيه بانتهاء ، عن وصول بواخر التموين من وهران (١) .

ويبدو ان نمط الصراع العسكرى سواءا كان بمزفران ام بمستغانم تمثل في القوات البرية لا غير ،اذ كان من المتوقع ان تدعم هذه باسطول بحرى حامل للتموين كي يغطي حملة الزحف ، غير انه وقع في قبضة الاسطول الجزائرى وهو قادم سينياء ارزيو" فاستولوا عليه جميعا ، ونقلوا ما كان يحمله الى صفوف المسلمين ." (٢) .

حين كانت السفن الجزائرية عائدة من غارة نفذتها بالشواطئ الاسبانية ، اذ لوسادهم الاسطول الاسباني في تدعيم الحملة - وهو العامل الرئيسي - لما حدث الهزيمة - لما حدث الهزيمة ، فالمسؤولية تتحملها الحكومة الاسبانية والكونت بدوره ." (٣) كما كان اخر راي ضمن هذا السياق يتمثل في عدم السرعة في الحركة للجند الاسبان ، اثناء عملية الانسحاب والتراجع ، مما جعل هذه العملية تتم ببطئ نتيجة الجرحى المتعبة والمدافع على الرمال ومجمل القول حسب هذه الاراء مجتمعة ان الاسباب الرئيسية التي قضت على الاسبان تجلت في عوامل التموين ، وغياب الاسطول عن ميدان المعركة ، وعدم مساندة المغرب لهم ، وطول مدة الانتظار بوهران ، وعدم الخبرة والممارسة للجنود الشباب بالاضافة الى تمرد الضباط وعدم انصياعهم الى الاوامر وانفلاتهم من العقاب .

---

١) هـ . ل . فاي :- تاريخ وهران -ص ١٠٠

٢) احمد توفيق المدني : - حرب الثلاثمائة سنة ص ٢٧٣

٣) ديدي :- تاريخ وهران -ص ٦٣ .

فلو واصل المسلمون زحفهم بعد القضاء على الاسبان بمستغانم ومزغران السي وهران لكانت الفرصة الوحيدة والسانحة في تحريرهم لها ، والتمكن بسهولة من الانتصار ، خاصة وان الحامية التي كانت بداخل المدينة قليلة العدد والعدة ، ويستحيل عليها مقاومة جحافل المسلمين الوفيرة ، اذ اورد القنصل الاسباني الموجود ببلعباس بهذا الشأن قائلا : اكيد لو ان الاتراك بعد ضربتهم لمازغران ، واصلوا زحفهم صوب وهران برا وبحرا ،لتمكنوا من الدخول الى البطحتين - وهران والمرسى الكبير - دون ان يسل سيف واحد من غمده ، حيث كانت في وضعية لا تسمح لها بالدفاع وبدون حاكم ، ولا يوجد بها سوى المرضى والشيوخ والنساء والاطفال ، لكن شاءت عناية الاله ان يكتفي حسن باشا بالانتصار على الكونت وحبيشه فقط." (١) .

انطلاقا من هذا الفشل الذريع تنتهي حكومة الكوداة التي ادارت وسيرت وهران وضواحيها مدة اربع وعشرين سنة ،تركت الاوضاع السياسية والعسكرية في حالة جد مهزوزة ،حيثتقلصت حدود الاراضي التابعة للاسبان ، واصبحت المواصلات غير مضمونة وامنة حتى مابين وهران وحصون المرسى الكبير ، ولم يكن في حوزة السكان المجازفة بالخروج من داخل اسوار المدينة دون تعرضهم للمواجهة المسلحة من طرف القبائل المجاورة والمترصدة ، هذه القبائل التي ضمرت لهم العداء ، ونقضت احلافهم فاضحت وضعية وهران يوطف بمشابة (ساحة حرب) محاطة بالاعداء - اي القبائل العربية - حيث لا تتوقف الحراسة ولولحظة واحدة .

---

(١) دبدبي : - تاريخ وهران - ص ٧٣ .

التوسع الاسباني صوب الداخل :

لم تصطبغ الوضعية السياسية والعسكرية للدولة الزيانية بالصمود والتصدى للغزو الاسباني ، نظرا لنشوب الثورات الداخلية ،من جراء الضرائب التي فرضوها على الاهالي ، واثقلوا بها كواهلهم ، مما اضطرها الى عقد صلح معهم عام ١٥١٢ م ، ينص على اعترافهم بأحقية الاسبان في الاستيلاء على العديد من الموانئ[1] ؛ ولم يكن للملك فاردينا ند القدرة على مواصلة الغزو والتوسع للاستيلاء على المناطق الداخلية ، نظرا لبعدها عن المراكز الساحلية الاستراتيجية ، والقريبة من الشواطئ الاسبانية والتي تسمح لهم بضمان سير عمليات التموين لافراد الحاميات ، المنتشرة عبر الشريط الساحلي ، ذلك أن ايصالها الى الداخل يشكلان خطورة وصعوبة قصوى ، فكانت قناعتهم تتجلى في الاحتفاظ بمملكة تلمسان على نمط، يشبه الى حدما بنظام الحماية لا غير ، وتركيز فاردينا ند على فكرة الوجود والبقاء الاسباني بأوربا .[2]

وبالرغم من الحاح خيمينيس على الملك بالموافقة على منحه رخصة التوسع بالداخل ، الذى لم يخف بقوله الفكرة ، فبادر بتنفيذها بعد وفاة الملك سنة ١٥١٦ م بعد أن صار وصيا على الحكومة الاسبانية لكن بدون جدوى .

① Marmol Carvajal, - Ciudads del Norte de Africa

② Haedo - Topografia de Historia general (Madrid 1612)

غير أنّه بعد استنجاد ابي حمّو بحاكم وهران يوم أن خرج عروج من الجزائر عام ١٥١٢٦ م متوجها صوب مملكة تلمسان على رأس قوة عسكرية هامة ، والمرة الاولى بينهم فيها للاسبان توغل وحداتهم بالداخل بمساندة ابي حمّو ، فحاصروا تلمسان واقتحموها بعد مغادرة عروج لها ، نتيجة لخيانة بعض سكانها الذين سئموا الحصار.

وعن ذلك يذكر المازوني بن عودة (١) قائلا :" وتكورغز النصارى لتلمسان ، بسبب اختلاف امرائها ، حتى صار كل طبهم يستعين على الاخر بالنصارى ."

---

(١) المازوني بن عودة (طلوع سعد السعود) مخ ص ١٥٧.

تشغل دراسة المجابهة والمعارك الاسبانية ، التي برزت منذ الاحتلال وعلى طول الشريط الساحلي للشكال الافريقي ، اهمية بالغة ، وفائدة قصوى ، من شانها ان تسلطالا ضواء على المعاناة ، والعوائق التي اعترضت طريق الزحف الاسباني ومحاولة التوسع والتوغل صوب الداخل ، انطلاقا من هذه المراكز الساحلية .

وقد يبدوان فعالية هذا التوسع لم تكن بالشكل الايجابي الذي كان متوقعا حدوثه منّ قبل الاسبان طيلة فترة الاحتلال ، خصوصا بعد موت الكونت الكودات ، اذ انّ طبيعة المقاومة الصلبة والمستمرة ارغمته على التراجع والاحتماء داخل أسوار المدن المحتلبها ، حيث تم له التوغل صوب الداخل وللمرة الاولى اثناء محاولته تكبيل مملكة تلمسان بقيد الولاء والحماية .

وليس ثمة شك ، من أن سردنا وعرضنا لاهم المعارك والحروب وما نهدف من وراءه ،هو تبيان العوامل الرئيسية التي دفعت بالاسبان الى الاحتفاظ بهذه النقط الساحلية لا غير ، دون تجديد الكرة في محاولات اخرى للتوغل صوب الداخل ، اذ يمكن لنا ان نستنتج من جراء تلك الاحتلك وفي اطار التوسع تقسيم حقبة الاحتلال الى مرحلتين هامتين واساسيتين :

المرحلة الاولى وهي ما قبل ١٥٥٨م والتي يمكن تسميتها بفترة الحروب كما سنرى فيما بعد ، سواء على الصعيد الجهوي - وهران وضواحيها - ام على مستوى الشمال الافريقي ، اما المرحلة الثانية

اي ما بعد ١٥٥٨ م فتشكل فعلا مرحلة خاصة بالغارات فقط، اذ ان الاسبان ابان هذه الفترة ولغاية ١٧٠٨ م لم يقوموا الا بسبع غارات لا غير.

تدل الروايات بل الوقائع خلال المرحلة الاولى في اوسع نطاق ، على ان الحروب الاسبانية كانت المدن الساحلية ـ مسرحا لها ، تنس ، بجاية ، عنابة ، طلارا بلس ، جربه ، جيجل ، باب الواد ، الجزائر ، شرشال ، تونس ، عنابة ، كدية الصابون ، ثم القل ، فهي سلسلة طويلة من الحروب في ظرف زمني لا يتعدى سبعا وستين سنة ، تمثلت في حدّة الصّراع ، وتوسيع دائرة الاحتلال عبر الشريط الساحلي الطّويل ، بينما اذا حصرناها في القطاع الجهوي نجدها كذلك تفوق بكثير احداث المرحلة الثانية، كانت اولها بمسرغين ، فمستغانم ، هنين ، شعبة اللحم ، ثم كارثة مستغانم التي كانت خاتمة المطاف بالنسبة للمعارك الكبرى التي خاضها الاسبان ابان هذه المرحلة .

قد كان نصيب المرحلة الثانية من الوجهة العسكرية اقل شانا ، واضعف حدّة وتحركا ، اذ نلمس ذلك في انهيار هم قرب جربة ثم تونس ، اما على الصعيد الجهوي فلم تبرز على طى الساحة اية معركة ، من شانها أن تفسح المجال للتوسع ، أو على الاقل تعمل على الحفاظ ببعض القواعد الساحلية، كتنس ، مستغانم ، وهنين ، اذ حاصرت وهران اقتحاما شتى

من الحصار ، كان اكبرها واطولها حصار المرسى الكبير الذى دام قرابة اربع سنوات .

ستنتج من كل ما سبق ذكره ، ان بوادر الإضمحلال والانهيار بدل التقلص والتقاعس عن استمرارية الحروب ، عاشت فترة طويلة قدرت بحوالي قرن ونصف أي ابتداء من سنة ١٥٥٨ م لغاية عام ١٧٠٨ م وهو مغادرة الاسبان وهران ، فلم تحقق هدفها او تبلغ مقصدها المتمثل في التوسع الداخلي انطلاقا من المراكز الساحلية .

يبدوا انه من خلال المعركة الاولى الدّاخلية التي منى الاسبان فيها بخسارة قصوى ، اي فترة ما بين الاحتلالين ، وعلى وجه الخصوص في واقعة مسرغين ، يلاحظ انها كانت مرحلة اختبار للقبائل وحبس نبض قواها ، تمكنوا اثرها من مباغتة الاهالي وتطويقهم ، غيران القبائل المجاورة هبت لنجدة اهالي مسرغين ، وحولوا الهزيمة الى انتصار ، ارغم الاسبان على الرجوع الى المرسى الكبير وهم في وضعية يرثى لها ، وما كان ذلك الا دليلا يدعم القول الذى يشير حتى أثناء الاحتلال ، الى أن القبائل كانت تساند بعضها ، وتتحد تحت لواء الجهاد ، بغض النظر عن القلة المساندة للاسبان .

بينما كانت المعركتان التاليتان على النقيض من الاولى اذ تمكن عروج من ابي حمّو وتشتيت شمله بأغمال ،

متخـــذا منها قاعدة خلفية لا نطـــلا قة باتجاه تلمسان ، قصـــد اعـــادة السلطـــان ابـــي زيـــان الـــى العـــرش ، وما لبث الصـــراع فـــي مملكة تـــلـــمسان ان اتخـــذ بعدا سياسيا محليا مع غيـــاب المساندة مـــن الداخـــل التلـــمساني لعروج ، وفـــي غمرة ذلك الشعـــور بالنصـــر ، بـــامـــر شـــارلكان حاكـــم وهران باعادة ابـــي حمو مـــن جـــديـــد الـــى العرش وامداده بالجيـــش ، فتـــم لهـــم ذلك ، وحاصروا عروج بتلمسان ، فغادرها ووقعت الواقعـــة بجبال بني سناسن بيـــن جـــدران زاويـــة سيـــدى موســـى ، فكان لاثار الهزيمـــة انعكاسات سيئة على المستوى السياسي داخل مملكةتلمسان ، تجلت اسبابها في عدم ربط الواصلات مع مختلف القبائـــل بصفـــة منتظمة وسريعة ، ناهيكم عن عدم تمكن اسحاق بالبقاء والحفاظ على مدينة أغـــمات ، التي كانت تمثل بالنسبة لعروج القاعدة الخلفية الرئيسيـــة التي تزوده بالعدة والعدد .

على أنه تجدر الاشارة ان المعركة الثالثة بشعبة اللّحم ظهرت انعكاساتها بجلاء مبرزة نفس العوامل التي حدثت بساحة المملكة التلمسانية سلفا ، اذا اعتبرت بمثابة أسوء يوم في تاريخ العاصمة الاسبانية بوهـــران ، ذلك ان الفرسان المناصرين للمسعود ، استطـــاعوا تحطيم قوتـــي

كلّ من ما رتيمنا ز وعبد الله ، وكان العامل المحكن استنتاجه ، هو العمل على ابعاد الدولة الجزائرية الساعية حثيثا لبسط نفوذها على كامل التراب الوطني .

وكانت أبرز المعارك التي حدث من التوغل الاسباني ، وكانت بداية للحاجز العسكري ، والتقوقع الاسباني النهائي داخل اسوار وهران ،المتمثلين في الحصار الدائم الا وهي معركة مزغران ومستغانم ، حيث كانت نتائجها جد مشرفة ، اطاحت بحكومة الكودات بعد موته اثناء المعركة مباشرة ، وتركت الاوضاع السياسية والعسكرية في حالة مهزوزة ، واصبحت المواصلات غير مضمونة وامنة ما بين وهران وحصون المرسى الكبير ، ولم يكن في حوزة السكان المجازفة بالخروج من وهران دون تعرضهم للمجابهة المصلحة من طرف القبائل ، فلو واصل الجيش زحفه صوب وهران بعد انتصار مستغانم ، خصوصا في تلك الفترة ، لما كان الاسبان بدّ من ردّ الهجوم ، ولتمّ لهم نتيجة للفراغ العسكري من استرجاعها .

وقصارى القول ، انه وبعد هذه المعركة وموت الكونت الكودات ، لم تسلم وهران البتة من الحصار ، والذي ارتأينا تقديم بعض النماذج منه ، حتى تتضح وضعية وهران العسكرية ، اذ لم يتمكن الاسبان ما بعد فترة حكم الكودات القيام سوى غارات لا غير .

الحصار الطبيعي لوهران - داء الطاعون -:

بعد رفع الحصار المضروب على وهران من طرف حسن قورصو، والتخلي عنها، والرجوع الى الجزائر، وفي غمرة احتفالات الاسبان بالأمن الذى عاد الى ربوعها وفك الحصار عنها، برز حصار طبيعي آخر، عكر عليهم صفوة تلك الغبطة بما شكله من خطورة وتهديد للحامية العسكرية والسكان بالموت، تمثل في مرض الطاعون الذى ظهر بقوة في عام ١٥٥٧م (١). فخلف العديد من الضحايا نساء واطفالا حيث لم ينج من ذلك حتى قبائل البدو القريبة من وهران (٢).

لكن الهاجس اكثر الحاحا في كيفية التخلص من هذا الوباء، لدى حكام المدينة، وتفشيه وسريانه في اوساط الجند، دفع بالكونت الكودات وهو في اقصى هلع، بابعاد السكان عن وهران، وتمركزهم بقمة جبل المرجاجو اقامتهم داخل الخيام.

---

(١) علق بعض المورخين على ذلك بان الاتراك هم الذين صحبوه معهم من الجزائر يوم ان الم بها في عام ١٥٥٦م فاودى بحياة صالح رايس، وهذا اثناء محاصرتهم لمدينة وهران.

(٢) وفي غضون عام ١٦٧٨م اصيبت وهران للمرة الثانية بداء الطاعون، فانعزلت عن باقي المدن المجاورة حين كانت مدينة مالقة تنعم بكامل الصحة، وبالرغم من الحرص والوقاية بعد خلوها بدورها، عن طريق سفينة تجارية ابحرت من وهران بتاريخ ٢٨ مايو ١٦٧٨م فجاء الوباء ضمن امتعة المسافرين.

الحصار الأول لوهران ١٥٥٦م :

بعد عمليات التطهير من الاجانب التي قام بها صالح باي في جيجل ، وبقية ارجاء الوطن شرقا ، نكر فيما بعد في مواصلة العمل لتحرير وهران غربا ، لكن دون علم بوجهة نظر الشريف السعدي الذي بطش بابي حسان المنصب من طرف الجزائريين حيث ابلغ بعقد اتفاق سياسي عسكري ما بين الشريف المراكشي واسبان وهران ، وذلك بواسطة التجار اليهود ، وما تم في ذلك الشان من مراسلات بينه وبين الكونت الكودات (١) .

ولم يكن فتح بجاية بالنسبة لصالح باي ، في فترة أبدى فيها سلطان قلعة بني عباس بمجانه استقلاله وانفصاله عن الجزائر ، سوى عامل ذي قوة وبادرة تشجيعية تحفزه على مواصلة الجهاد ، كما كان هدفه الرئيسي هو فتح وهران ، ومن ذلك كان لزاما عليه التوقف مهلة لجمع امواله وقواته بالاضافة الى ما كان في حاجة اليه من مساعدة السلطان سليمان له ،

حدث هذا في فترة كان يتفاوض اثناءها مع ابن القاضي ، كوكو زعيم القبائل لتقديم العون له ، (٢) بينما سارع في ارسال ابنه باي محمد الى القسطنطينية لتقديم عرض يشرح فيه مجمل الانتصارات المحصل عليها من جراء زحفهم وتطهيرهم للقطاع الشرقي ، ويطالب في نفس الوقت بالمدد الاضافي من الاسطول العثماني لتدعيم جبهة صالح رايس قبل استعداده للهجوم على وهران ، بدلا من مساندة الاسطول لخدمة قضية حليفه وهو فرنسا في الحوض الشرقي للمتوسط

---

١) دييدييه - تاريخ وهران - ص ١٨

٢) احمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة - ص ٣٦٦ .

وافق السلطان سليمان على طلب صالح رايس حتى لا يترك الفرصة سانحة امام الكونت الكوداث (١) لوضع التحالف الثنائي مع الشريف السعدي محل التنفيذ فأرسل باربعين سفينة حربية محملة بالذخيرة وعلى متنها ٦٠٠٠ جندي بمينا بجاية تحسبا من مسوجة الطاعون التي كانت قد الممت بمدينة الجزائر ، فدعمت قوات صالح رايس المقدرة بثلاثين سفينة واربعة الاف مقاتل هذا بالاضافة الى النجدات الاخرى .

التي ارسلت عن طريق البر ، غير انه اثناء رجوعه الى الجزائر بقيادة اسطوله يصاب بالطاعون قرب راس ماتيفو فيتوفى عن عمر يناهز السبعين عاما (٢) في جوان ١٥٥٦ وتتوقف الحملة مرحليا يأخذ حسن قورصو زمام المبادرة لتكملة وصلة الزحف صوب وهران نظرا لاستكمال كل التجهيزات والاستعدادات ، على ان تكون قاعدة التجمع بمينا مستغانم ، فيتجه نحوها برا بينما سلم قيادة الاسطول للقائد يحيى (٣٠)

بعيد الاسبان في وهران وخاصة القادة والحكام ، سبق لهم ان توطوا باخبار شتى عن تحضيرات صالح رايس

---

(١)

٢) يذكر البعض من المورخين انه توفي بالعاصمة ودفن بباب الواد ومنهم ديدى ص ٣٣ .

(٣) يتحدث ـ فاي ـ عن تحرك حسن قورصو من العاصمة رفقة ٣٠٠٠ جندي و ١٤٠٦٠ من الاهالي اضافة الى ٣٠٠٠ ، فارس" فيعطي الاشارة الى الاسطول المولف من ٣٠٠ بحارة التوجه الى المرسى الكبير .

بمختلف ان الاسبان في وهران وخاصة القادة والحكام سبق لهم ان توصلوا باخبار تنبئ عن تحضيرات صالح رايس ونيته في الهجوم على وهران ، وقد تجلى ذلك في احدى مراسلات حاكم بجاية وقائد ساحتها بيرالتا ، Don Alonzo Carillo de Peralta الذى اطلع حكومته على مقصد صالح رايس وغايته من وهران ، بالاضافة الى اتخاذ الكوندات جواسيس واعينا بالجزائر وضواحيها تخبره بكل ما يجد من امر ، فبادر بدوره اخذا للحيطة والحذر بجمع الذخيرة والمون والالبسة ، بل كان الشاغل الكونت والذى لم يبرح مخيلته قط ، يتجلى في احداث الترميمات للأبراج والأسوار ، اذ الحرص في مواكبة التحصينات تسمح له بمواجهة الزحف الجزائرى واعادة تصليح خطط الدفاع عن البطحاء ، وعن ذلك يذكر الجنرال ساندوفال Sandoval - تأكيدا لقوله ان النقيب خوان دى زوريطا Juan de Zurita - قدم الى وهران للمراقبة والتحكم في تسيير اصلاحات التحصينات اما القائمة منها او المنتظر احداثها مجددا ،

لكن الحزازات الماثلة دوما بين الجنرالات قواد البحرية الاسبانية ، خصوصا ما كان يضمره بارناردينو - D. Bernardino في حقد وكراهية (١) تجاه الكوندات ادى الى نتائج وخيمة ، وذلك حينما وصل الى سمع بارناردينو من وصول الجيش الجزائرى قرب وهران ، فآلى على نفسه الا يساند الكوندات ، وفضل الابتعاد عن وهران حتى لا يتلقى امرا بحمايتها وتعزيز القوة البرية داخل الساحة ، فيتوجه صوب اسطول اندرى دوريا وينضم اليه ، هذا ما ترك الفعل اثرا بليغا لدى الاسبان اثناء مغادرته لهم ، واشعرهم بمرارة فقدانه .

---

(١)

بعد ما تم جمع القوات بمستغانم في شهر جويلية بقيادة حسن قورصو كان من الأليق ربحا للوقت والمسافة ،ان تتجه كل هذه القوات نحو وهران برا ، غير ان الخطة العسكرية التي ارتآها حسن قورصو غيرت مجرى الاحداث ، وفضل ان تكون المجابهة عن طريق فتح جبهتين -برية وبحرية - حتى تصبح وهران ساعتئذ بين فكي كماشة ، وحسب استنتاجات - فاي يذكر" ان الاسطول ترك بمستغانم الذخيرة والمؤن ولم يحمل معه الا المدافع ، كما اصطحب المجارة من الجند المرسل من قبل السلطان سليمان الى عين الترك فانزلهم بها وانطلقوا من ثمة مرورا بالممر الضيق لجبل مرجاجو" (١) .

لا ندري ما السبب في تبني هذه الخطة العسكرية المرهقة والمطولة زمنيا او عن الداعي في اختيار هذا المنعرج ؟ اذ كان من الافضل والاسرع الاعتماد على الطريق البري من مستغانم لوهران ،ذلك ان الاسطول الاسباني الذي كان يشكل خطورة بالنسبة لهذه الواجهة قد غادر ميناء وهران ، التحاقا باسطول اندري دوريا تحت قيادة - بارنار دينوز كما اشرنا سلفا .

قبل وصول الجيش الجزائري الى وهران ، يعمد الكونت الكوداث الى ارسال - قابريال - Gabriel de la Cueva للترصد خارج اسوار المدينة والتطلع عما يجري خارج الساحة الوهرانية فيعمل على تسميم الآبار ، بينما يتفرغ هو شخصيا لاحكام تحصين برج القديسين الذي اصيب ودمر فيما بعد ،عسكر حسن قورصو عند راس العين امام اسوار المدينة ، وتمكن تشديد الحصار زهاء اربعة ايام ، (٢) غير ان موجة الطاعون التي اجتاحت الجزائر تسربت عدواها الى وسط

---

(١) Didier, - Histoire d'Oran - P 367

(٢) H.L. Fey - Histoire d'Oran - P 93

الجيش القادم خصوصا من هناك ، وبالرغم من ذلك استطاع هو وجنده احتلال برج القديسين بعد قتلهم الحراس البالغ عددهم ١٣ جنديا ، فكان هذا الحصن بالنسبة لهم نقطة الانطلاق والمنفذ الرئيسي لاقتحام اسوار وهران ، فنصبوا مدافعهم التي اتخذت تطرباب تلمسان بوابل من القذائف دون انقطاع ،بالاضافة الى احتلالهم منزل حارس الغابة بالبلانتار Plantrus والذى نصبوا عليه كذلك بعض المدافع التي وجهت قذائفها صوب القصبة لكن بدون ان تحدث ضررا بها .

غير ان الحصار لم يدم طويلا بالرغم من تشديد الخناق على وهران مدة اربعة ايام متتالية نتيجة لاستدعاء السلطان سليمان حسن قورصو وامره بفك الحصار والتراجع عن المدينة ثم بالتوجه صحبة الاسطول الى مجموعة الجزر قصد مواجهة اندري دوريا ، وقد كان هذا الانسحاب دوافع سلبي زاد في تدعيم وتمركز الاسبان بوهران بعد ما شلوا من الحركة والمجابهة بحريا ، وتقوقعوا داخل اسوار المدينة دون التمكن من مواجهة الاقتحام الجزائري والتحكم في السيطرة على الابراج والحصون .

ذلك لو انهم واصلوا محاصرتهم واستمروا على ذلك النحو اكثر من الايام الاربعة لكن باستطاعتهم استرداد وهران نظرا لعدم وجود التغطية البحرية وحتى البرية منها خارج اسوار المدينة ، حيث تسنى للكونت الكودات بعد تاكده من عطلة الانسحاب متابعة مؤخرة جيش حسن قورصو بعدما ايقن ان مجاهدى هذه المدينة غادروها لشد ازر الجيش الجزائري المحاصر لوهران ، فاحتلها ونصب عليها بن غانم الذى يعتبر من اوائل خير الملوك الزيانيين المجتمين باسبان وهران .

الحصار الثاني لوهران وتحضيراته : ١٥٦٣

لم ينعم اسبان وهران بالامن والاستقرار خصوصا بعد موت الكونت الكودات ، ولم تسلم المدينة نفسها من استمرارية الحصار والذى كانت تتفاوت مدته الزمنية من حين لاخر ، نظرا لاعتبارات عديدة تموينيّة كانت ام تحصينية ، بعد الحصار الاول الذى لم يبلغ مداه او يظفر بمبتغاه ، اخذت القوات الجزائرية تتاهب لاعادة الكرة ، وبدات التحضيرات الاولية للحصار الثاني فعلا .

بعد وفاة احمد باشا في شهر ماي ١٥٦٢ تولى زمام الامور تسلم مقاليد الحكم حسن باشا (١) ، فسعى منذ الوهلة الاولى في اعداد التحضيرات والترتيبات قصد انجاح عملية الحصار الثاني لفتح وهران ، منتهزا في ذلك فرصة الانتصارات الكبرى الواقعة بمستغانم ، وعازما على تصفية الوجود الاسباني بالمرسى الكبير ووهران تلك المدينة التي كانت من قبل محاصرة مرحليا من طرف على داى وفي فترة عرفت فيها بوادر قحط لم تالفه او تشهده سلفا ، الامر الذى دفع بفيليب الثاني الى الاقرار بنجدتها ومساندتها بـ ٤،٠٠٠ جندى عن طريق الاسطول المكون من ٣٥ سفينة شراعية بقيادة اميرال قشتاله الونزو - Alonzo de Aaranon - محمل بالمؤن والذخيرة غير انه يتعرض لرياح معاكسة تقذفه الزوابع بالقرب من الشواطئ الغرناطية .

---

(١) ديدى ، - تاريخ وهران - ص ٩٨ .

اما عن حسن باشا فقد اتخذ من الجزائر قاعدة استراتيجية اولى ، تخول له العمل على جمع ما يمكن جمعه من جند لمختلف القبائل والجهات لاحكام خطة الحصار وضمان النجاح له ، فبلغ مجمل الافراد المجندين ١٠،٠٠٠ فارس من رجالات كوكو زعيم القبائل الاشداء(١)

كانت القيادة العسكرية بالمرسى الكبير تحت قيادة فارناندو - D. fenando Carcamo وبوهران منوطة بالونزو دى قرطبة D. Martin Alonzo de Cordova صحبة اخيه الذين شكلا مجلسا اعلى للدفاع عن وهران ؛ فكان عدد المدنيين لا يتجاوز ٨٠٠ نسمة يوجد من بينهم ٢٠٠ باماكنهم حمل السلاح ، وفي المجال العسكرى يبلغ عدد افراد الحامية ١،٥٠٠ جندى و ٩٠ قطعة مدفعية اضافة الى الذخيرة المقدرة بـ ١٥،٠٠٠ كرة حديدية في مختلف الاحجام .(٢)

يتحرك الجيش من الجزائر في الخامس من شهر فبراير على محورين اساسيين كما سبق التحركات الاخرى جبهة بحرية عن طريق الاسطول المكون من ٣٢ سفينة اضافة الى ثلاثة سفن فرنسية محملة بالذخيرة

١( ) عمل حسن باشا على جمع الصفوف والتحام الشمل فكان قدوة لذلك ، بتزوج من ابنة كوكو احمد بن القاضي زعيم زواوة ، غير ان الجيش الانكشارى قابل ذلك بالرفض والمعارضة ، وافرز بعض التحرشات والتمرد اضطر اثناءه حسن باشا من العودة الى الباب العالي الا انه اعيد الى منصبه من قبل السلطان سليمان الثاني

٢) هـ-ل- فاي- تاريخ وهران -ص ١٠٣ .

والسلاح تحت قيادة القبطان باشا بـ ١٥،٠٠٠ جندى و١٢،٠٠٠ من رجالات زواوة وبني عباس ، و ١،٠٠٠ بقيادة احمد امقران الزواوى ، " فانضمت اليه في طريقة تقريبا مجمل القبائل التي كانت تضمن العداء للنصارى . " (١)

اثناء وصوله الى مستغانم عن طريق مزغران يسارع في تنظيم خطة الاتصالات مع الجزائر ويبعث بالاسطول الى ارزيو لبداية تشديد الحصار على كل من وهران والمرسى الكبير ، وذلك لضمان ملجأ للسفن بقصد الامن والحماية في حالة الرجوع لاستقطاب المدد عدة وعدادا من نفر الاسطول .

يقع الاختيار على راس العين المقابلة للمدينة كقاعدة للتمركز فيعسكر بها حسن باشا يوم ٣ ابريل ويشرع للتوفي منها جمة برج القصد يسيين Tour des Saints غير ان هذا الهجوم لم يأت ثماره فكان لزاما البحث عن طريقة اخرى بعدما تاكد حسن باشا انه غير قادر وليست له امكانات تسمح له باقتحام المدينة عن طريق راس العين ، ففضل ترك الحامية لمتابعة الحصار ، واتجه شمالا بمركز بقيادته بالقرب من عين الترك ،لكن شدة تحصين ستعوق فيما بعد بالرغم من العديد من المحاولات في احتلال حصن سيشال الذى فاجأه بالهجوم بتاريخ ٥ ابريل واعادة الكرة في الغد ولكن بدون جدوى ، (٢) حيث لم يتمكن من الاستيلاء على الحصن بعد تصرع معظم الجدران الا يوم ٧ ماي بعد اصابته ومقتل ابن السلطان كوكو .

---

١) ديدي - تاريخ وهران - ص ٩٤

٢)

اصبحت الوضعية العسكرية بالمرسى الكبير تتطلب من الاسبان مزيدا من الدعم لفك الحصار ، خصوصا وان الطاقة الباقية لا تتعدى ٤٧٠ جندي ، علما بان اسطولا اسبانيا قدم من قرطاجنة مكونا من اربعة سفن محملة بالعتاد على متنها ٣٠ جندى ، قد تمكن من اختراق الحصار البحرى والوصول الى وهران ، ذلك ما ادى بدون مارتان D. Martin للاتصال بالقيه دون الوتووبو هران ليلا عن طريق السيا حيين (١)

لجمع المعلومات والتعرف على الوضع العام ، يطالب حسن باشا دون مارتان من التوقف عن القتال وتسليم المدينة ، غير ان هذا الاخير اجاب رافضا " من الاستحالة بمكان تسليم هذه البطحاء التي هي امانة في عنقي ، اذ كلفت من طرف جلالة الملك بحراستها . " (١) ويستانف القتال من جديد من طرف الباي الى غاية ٧ جوان وعلى مراحل ، استطاع حسن باشا من الاستيلاء على المخزن التجارى لبحارة جنوده لكنه يغادره لعدم توفر الامن ، ويصاب اثناء ذلك كل من دون مارتان وفارنا ندو Fernando de Carcamo (٢)

وفي التاسع من شهر جوان يرفع حسن باشا الحصار بعد وصول فرانسيسكو Francisco de Mendoza (٣) ويعود ادراجه صوب مستغانم ومجمل القول ان سبب الانسحاب هذا راجع الى عوامل عديدة اذ يورد سواراز البعض منها اذ كتب " ان سبب الاسراع في التحضير لهذا الحصار من قبل حسن باشا هو زعمه بل ظنه ان اسبانيا لا تملك في حوزتها سفنا حربية باكانها سوى اندة الحامية وحراستها والمشاركة في الحروب ، ٢) استحالة وصول المدد الى البطحتين من وراء البحر ، ٣ ، تضارب الاراء في مجلس الحكومة ، وتاخير قرارات المجلس العسكرى ، ٤) كانت اراء المستشارين العسكريين تجمع على فكرة التخلي عن وهران والاحتفاظ بالمرسى الكبير فقط (٤) .

---

(١)

(٢)

(٣) احمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة - ص . ٣٨٠

(٤)

الحصار الثالث لوهران : 1567م

لم يسلم الشريط الساحلي لوهران وكاشتال من المضايقة المستمرة ، من طرف المراكب الجزائرية التي كانت تجهته من حين لآخر ، دون أن تتعرض لعمليات صد من طرف الاسطول الاسباني المتمركز المرسى الكبير، وكان وجودها يهدف الى قطع المدد عن وهران من الموانئ الاسبانية ، بالاضافة الى تضييقها الخناق على على الحامية ، بفضل الاستيلاء على المراكب القادمة من اسبانيا والمحملة بالمؤن والذخيرة .

ففي التاسع من شهر سبتمبر لعام 1567م يتأهب الرايس حسن لتشديد الحصار على وهران ، وذلك لمراقبة لطرق البحرية التي اعتادت السفن الاسبانية نهجها ، مابين خليج وهران والمرسى الكبير وميناء ارزيو، والموانئ الرئيسي الذي تدفعه للقيام بهذه العملية ، هو الثأر ضد أولائك الذين احتجزوا مركبه منذ سنة خلت ، فجاء ذلك كرد فعل تجاه ما أصاب رفاقه حيث كان الوحيد الذي سلم وتمكن من الفرار والتخلص من قبضة الاسبان ، وتعود بنا أحداث ذلك الى سنة 1566م حينما وصلت سفينة بساحل كانستال طلبا في تعبئة المياه العذبة وكانت تترتد على هذه النقطة مرارا هي وباقي المراكب الأخرى قصد التزود بالماء ، ولما علم الاسبان بساعات قدومها ورواحها

من والي الساحل احتاطوا لذلك ، فأرسل حاكم وهران مونتيسا le Maitre de Montesa (2) مراكب للتجسس ، والتعرف على الحدث عن قرب بقيادة أخيه بورخا - Filipe de Borja فقبضوا عليها واستطاعوا تحرير الأسرى من المسيحيين .

وحبا للثأر ورد الاعتبار ، يقرر حسن معاقبة وتأديب اسبان وهران ، وهذا بعد حصوله على معلومات تشير الى اقتراب وصول أسطول اسباني تمويني ، فأدم الى وهران عن طريق مالقه ، بعد تأكده من عدم امكانيه خروج جند الحاميه لحمايه الأسطول أو نجدته ، نظرا لما أقره الرايس حسن بالاتفاق مع رفيقه دالي مامي بتنفيذ الخطه التاليه وأحكامها يضطلع دالي بمهمه حراسه ومراقبه الخليج والمدخل لكل من وهران و المرسى الكبير بواسطه ثلاث سفن ، بينما القطع الثلاثه الأخرى تظل راسيه بميناء أرزيو ، بقياده الرايس حسن بعيده عن أنظار حراس وهران خصوصا وأن السفن الاسبانيه القادمه آتيه للتجده ، ولهذا الغرض لم تبرح سفنه الميناء حتى يتسنى لها تقديم المساعده عند الضروره لدالي الذي كلف بالهجوم على أيه سفينه مهاجمه حجمها والتصدي لها (1) حتى يعطي مهانه كافيه لحسن رايس قصد اللحاق به ، وهذا لكي يكتمل الحصار .

---

(1) دبدبي - تاريخ وهران - ص 136

(2) تمكن مونتيسا من اعاده تنظيم شؤون الحاميه الاقتصاديه ، خصوصا في فتره حرجه تمثلت في حرمانها من المؤن والمال لتسديد رواتب الجند و العاملين العسكريين بالاضافه الى معاناتها المقاومه القبائل ، وشيدكما أعاد ترميم بعض الحصون ولضمان حياه ماديه ضمن حكومه بوهران عمل على صد النقود من الحديد لاستبدالها وتعويضها فيما بعد بالنقود الاسبانيه ، بينما تتم تسويه مسأله الأجور و الرواتب المعلقه .

ومعـــل القـــول أن هـــذه الســـنـــه اتـــســـت بـالطـابـع اللا استقراري حيـث حلّـت بـالجـزائـر الأهـنـه والتمـرد فـي مختلـف الأوسـاط " صحبها هيجـان في الجنـد ،وا ضطـراب في الشـعـب ،وثـورة عـامـل قسنطينـة التـأثـر بـولاه تـونـس الحـفصيـين ، . . . وهجـوم الاسبـانـي جـان خـوان جـتـاكـون علـى مـدينـه الجـزائـر" (2)

شـاءت الصّدف أن يتـأخـر صـعـد قـدوم الأسـطـول الاسبـاني كما كـان متـوقـعـا ،ولـم يـبـدم هـذا الحـصـار سـوى أيـام معـدودات ،تمكن فيهـا حـراس الأبـراج بحـصـون وهـران من التـعـرف علـى عـدد المراكـب المحاصـره سـوى للمـديـنـه ،وهـذا عـن طـريـق ابقـاد فـرق عسكريـه بمحـاذاه المعمر الجبلي لكانشـال ومحـاولـه ابقـاد النار حسب عـدد المراكـب ،وهـذلك أحـص الاسبان مجمـل المراكـب السـتـه التـي كانـت تحـاصـر السـاحـل والمـديـنـه (1) ولـم يسفـر هـذا الحصـار عـن أيـه نتيجـه يمكن أن تشكل خطـوه في المجال البحـري للسـاحتيـن أي وهـران والعـرس الكبيـر .

---

(1) Campan y Antonio, - Memorias Historicas Sobre la Marina - (T I p 116)

(2) عبـد الرحمـان الجيـلالـي . . - تـاريـخ الجـزائـر العـام - ج 3 ص 94

الفلاحة :

كانت الثروات الفلاحية ومردوداتها في القرن السادس عشر خصوصا ، لا يمكن تقديرها باحكام عددي أو ضبط جدول احصائي لمختلف تلك المنتوجات ، وهذا نظرا لتفاوت وتباعد الأوضاع الزراعية ، ما بين اراضي الريف والأراضي الحضرية ، فالأولى تبدو اراضيها شحيحة لا تدر الا محصولا يسيرا يتأرجح في الشعير والطف ، مما اضطرهم الى استغلال غابات الخشب وتحويله الى فحم ، واعتماد هم على تربية المواشي والخيول ، بينما كانت الثانية أي الأراضي الحضرية مسرحا للزراعات المتقدمة كالفواكه والخضر المتعددة .

1) تحديد المقاطعات للأراضي الزراعية الخاضعة الاسبان بوهران .

المناطق الزراعية بوهران وجبل مرجاجو مقاطعة وهران المقاطعة الغربية لسا سل وتارقة . مقاطعة كانا ستال مقاطعة تاسالة - مقاطعة تامزوغة - مقاطعة سيرات - مقاطعة وادي هبرة مقاطعة ثنية القصبة .

من الصعب جدا استعراض النوعية الزراعية والقيام بتكوين اطارعام لتحديد المناطق دون ابراز الاطار الجغرافي الذي يتضمن ساحات وحدود هذه القطاعات الزراعية نفسها . وهذا بالاضافة الى عدم وجود سجل الاحداث يكون ذاكرا هذه المناطق على نسق من الترتيب والانسجام . دون تبعثراو انفصام في عرى المسيرة الزمنية .

ومن خلال ما تجمع لدينا من معلومات عبر الضئيل من

1) Diego Suárez, - Manus N° 15-6-54 (Real Academia de la Historia, Madrid)

الفصل الثاني

الانعكاسات الاقتصادية : زراعة ، ضرائب ، تموين .

١) الفلاحة : ا - الاراضي داخل البطحاء وضواحيها ، ب - بساتين راس العين ، ج - جبل مرجاجو .

٢) الاراضي الزراعية خارج البطحاء : ا - تارقة ، ب كانستال ، ج - تاسالة ، د تامزوغة

هـ - سهرات ، و - وادي هبرة ي - ثنية القصبة .

٣) الضرائب ونوعيتها : -ا- مكافاة الولاة ، ب مكافاة عن دفع المحصول ،

جـ - تغطية تكاليف السفر ، د - نموذج لوثيقة حماية

٤) التموين ومسالة الاجور :

ط) التموين من الداخل الافريقي ب - التموين البري والبحري لوهران من طرف القبائل المتحالفة .

جـ - تموين وهران من طرف مملكة تلمسان . د - التموين عن طريق الغارات المفاجئة .

هـ - الصراع الداخلي ، و - التموين الاوربي للمدينة و - مسالة الاجور .

من المراجع والوثائق تمكنا من اجراء حصر وربط لتحديد منطقة بطحاء وهران .

وما تكتنفه من قطاعات فلاحية ، ساهمت نوعا ما للتخفيف من حدة التدهور الاقتصادي ،والافتقار الى الموونة بصفة دائمة من طرف الاسبان .

كانت منطقة البطحاء تمتد بمحاذات الشاطئ وعلى طول الساحل من الجهة الغربية حتى وادي يسر ، وذلك اقتحاما ومرورا بداخل اراضي التانيرة باتباع مجاري العين على بعد ٢٠ ميلا من وهران . اما من ناحية الشرق وبالتحديد على بعد ٢٠ ميلا كذلك فهي محدودة بالضفة الغربية من وادي الشلف .

الا ان الحدود الجنوبية وانطلاقا من البحر وتمتد حتى وادي سيق . ضمن هذه المساحة الشاسعة المربعة تقريبا ، تتربع حقول وبساتين وهران زيادة على اراضي المقاطعات التي سنتناولها فيما بعد بالشرح والتحليل ، عرش المحصول الانتاجي تلك الحقول التي تعمل باضطراد على تزويد أفراد البعثة بالخضر والفواكه وتكون مرتعا للقطعان المحروسة من طرف المغطسين بالقرب من أسوار المدينة ، الا أنه يمكن الاستثناء من مجمل هذه الأراضي الزراعية قطاعي مزغران ومستغانم . نظرا لمتعة الاستحواذ عليهما من طرف بابا عروج ، حيث اصباحا للجزائريين منذ تلك الفترة . هذا من جهة ، ثم لكونهما يمثلان حلقة اتصال في طرق المواصلات الحرة بينهما وبين مملكة الجزائر من جهة أخرى بالاضافة الى مجاورة وادي شلف لحدود سواحل تنس المفتوحة سابقا كذلك من طرف بابا عروج .

وقبل تسليط الأضواء على هذه الاقطاعيات الزراعية يكون من الأفضل التنبيه الى نقطة هامة تكمن في تقسيم هذه

الا راضي الزراعية الى شطرين متناسقين أولا : اراضي داخل البطحاء والضواحي ثانيا : أراضي خارجة عن البطحاء .

ويذكر بعض المؤرخين ان هذه الاشجار نفسها ، وبعد فترة طويلة من النسيان قد نمت وترعرعت الا انها لم تصمد أمام عوامل الزمن وتقوى تجاه العوامل المناخية ، فتعرضت للجفاف والفناء سببا لعدم رعايتها ومعالجتها ونتيجة لما تعرضت له من الاهمال واللامبالات.

الا راضي الزراعية الخارجة عن البطحاء : (1)

المقاطعة الغربية لساسل وتارقة : فالاقليم الاول لساسل تمتد حدوده ابتداء من اراضي وهران للجهة الغربية من البطحاء حتى شاطئ البحر لقرية ساسل . يحتوي على أراضي خصبة صالحة للزراعة . ويتمتع على غرار الاقاليم الاخرى . التي تربطها مع الاسبان شروط المعاهدة بشيء من الحرية في تسيير الشؤون وتدبير أمور القطاعات الفلاحية والاقليم الثاني ، يحتوي على قطاعين متباينين من حيث الخصوبة والانتاج ، اذ يقعان معا ما بين قرية ساسل والعين البيضاء الا ان الاول المعادي للساحل صالح للزراعة بينما نجد الثاني ابتداء من منحدرات جبل هيدوربا تجاه الغرب يشتمل على اراضي شوكية اما الاقليم الثالث والاخير فهو من الخصوبة والجودة بمكان ، من المحتمل ان تكون أراضيه في القديم مرتعا لاربعة دواوير وهي على التوالي : حسيان . شافع . غمرة . وبني زروال . حيث امتازت كل قبيلة منها بعدم الاستقرار والترحال وقد هاجرت عدة مرات الى وهران مصطحبة لقطعانها عندما

1) Don José Basilio Aramburu, - Situación de Tribus de Orán - Alphost

تطوق المدينة و يشتد بها الحصار ، يقع هذا الاقليم غرب المرسى الكبير حتى الساحل الشرقي من بوزجار.

مقاطعة تارقة : انطلاقا من قرية تارقة القريبة من شاطئ بوزجار وابتداء من عين البيضاء حتى البحر باتجاه الشمال الجنوبي تبرز المقاطعة الثانية الحاملة اسم تارقة التي تعد ارضية السفرسان اولاد هبره.

وعلى وجه التحديد بالنسبة لمركزها فهي تقع في مكان قرية وادي المالح Rio Salado انها لمقاطعة تمتاز بالاراضي الخصبة الجيدة للقمح والشعير رغم افتقارها لعنصر الري تقريبا . وذلك لقلة المياه وعدم وفرتها وبالاضافة الى زراعة ، الحبوب هناك اشجار البلوط والسنديان على طول الجبال المرتفعة .

مقاطعة كانستال : تضم هذه المقاطعة بين حناياها القليل من المقاطعات وذلك بغض النظر عنها كمركز اساسي وجديد لما تتازبه من مساندة وتموين المدينة اثناء ازمات الحصار المشدد .

فأول قطاع لهذه المقاطعة تمتلكه قبيلة حميان المعطاة لهم نفس الصلاحيات والتسهيلات للممنوحة للقبيلة غمرة من قبل .

أراضي هذا القطاع تبتدئ من عين الرحال جهة وهران موقع النباتات الشوكية من الناحية الغربية لسيق بمساحة ٤٠ أميال طولا وخمسة عرضا صوب الشمال حتى البحر . حيث تصل الى قرية كانستال وتكون حدا فاصلا بينها وبين هذه الاخيرة ومن حيث الانتاج تقترب الى حد كبير بالمناطق الزراعية الأولى بداخل وهران بالنسبة للمحصول كما وكيفا . الا أنه يلاحظ بعد مغادرة الاسبان ورحيلهم النهائي الذي توج بالجلاء منحهم الاتراك قطاعات وأنزلوهم بمقاطعة سيرات بالقرب من تازوغة نحو وادي سيق .

بينما نجد الاقليم الثاني الذي تمثله قرية كانستال نفسها يغطي مساحات شاسعة للزراعة ويروى احد افراد القبيلة الذي

ها جر الى وهران منذ الفترات الأولى للاحتلال سنة ١٥٠٩م واسمه على بزنس ، وأنه قبل الاستقرار النهائي والارتباط بهذه الاراضي الحالية كانت القبيلة تسكن بالقلعة ضمن ربوع الجبال الوعرة في جوشبه مستقل . لا هي تابعة للجزائر ولا لوهران . ، لكنه ابتداء من سنة ١٥٤٤ م أثناء تولي الوالي الكونت الكوندات Alcaudete زمام السلطتين المدنية والعسكرية قبض عليهم فجأة . وارغموا على التحالف والموالاة للاسبان . فتركوا القلعة وجاء والي هذه الناحية وعمروا قرية كانستال نجد مقاطعتهم ناحية الشرق بمناء ارزيو وبما أنها جبلية السبب الذي جعلهم دوما يعملون على اقتطاع أراضي من حدود جيرانهم الحسيان . استطاعوا القيام بفلاحة ما يقرب من ثلاث أرباع وزراعتها بينما خصص الربع الأخير للمراعي مقاطعة تاسالا : كانت هذه المقاطعة من حق وملكية أولاد جلفة وما يتبعها من اراضي جبل هيدور تمتد غربا وهران بمسافة تبعد عن البطحاء بحوالي ٣ أميال حتى عين تموشنت فمجمل هذه الاراضي والقطاعات الزراعية تنتج الحبوب بينما تتفاوت امكانيتها من حيث الخصوبة فهي صالحة للقمح اكثر من الشعير . اذ يبلغ المعدل الانتاجي للمحصول بالنسبة للقمح ٨٠ قادق بينما لا يتعدى الشعير ٦٠ قفيز .

وازاء هذا يمكن الحصول على الاستنتاج التالي من حيث المساحة المزروعة ككل ، فثلثا الاقليم هو مخصص للقمح بينما الثلث الأخير الخاص بالشعير .

أما الاقليم الثاني فهو خاضع لحكم فرسان اولاد جافة بحضن تاسالة حيث يستحوذون على معظم اراضيها من الجهتين للسلسلة الجبلية وذلك على بعد ١٧ ميلا من البطحاء . كلها

كلهما اراضي صالحة للبذر اذ تنتج نفس الكمية بالنسبة للنوعين من المحصول ألا وهما القمح والشعير حيث يقدر الانتاج بـ ٦٥ ف لكل نوع ، يحد هذا الاقليم شمالا اراضي هيدور وجنوبا اراضي اولاد ابراهيم وشرقا اراضي اولاد موسى بن عبد الله اما جهة الغرب فهو مجاور لقطاع اولاد ميمون . ويأتي في المرحلة الاخيرة الاقليم الثالث الذي هو في حوزة فرسان اولاد زاير الواقع داخل اراضي هيدور عند اقدام جبل تسالة من الجهة الشمالية ، وتحده غربا اراضي اولاد جلفة وجنوبا حتى وادي تلمسان .

مقاطعة تامزوغة : يحد هذا الاقليم المتوسط الانتاج من الجهة الشرقية سهل سيرات حتى وادي سيق ومن الناحية الغربية اراضي تامزوغة ، غيران الشمال فهو محدود باراضي حميان . بينما نجد الجنوب تحده اراضي اولاد سليمان والضفة الغربية من وادي سيق تقطنه وتتمركز به قبيلة اولاد على .

فالاراضي الواقعة بين تامزوغة ووادي سيق . يلاحظانها ليست خصبة بمثابة اقطاعات تاسالة . الا ان سهل سيرات محظوظ بالسقي . حيث يدر انتاجا يقدر ب ٣٨ ف للقمح و ٤٢ للشعير ، الاقليم الثاني يقع باراضي تامزوغة على منحنى الجبل ما بين الجهة الشرقية لأولاد على والناحية الغربية لتاسالة . على ان الجنوب منه محدود باقطاعيات اولاد ابراهيم فعلى هذه الربوع المنحفظة من الجبل توجد اقطاعيات شاسعة تقرب الى حد كبير في الشبه للأقليم الأول ، فهي كذلك صالحة لفلاحة الشعير اكثر من القمح حيث يبلغ مجمل انتاج الشعير ٢٠ ف و ٧٠ف للقمح .

اسمها اذ يحدها غربا أولاد علي وشمالا قبائل بني يعقوب وما بين الشرق والجنوب قبيلة بني شكران فالجهة المسقية ذات مساحة ٣ اميال طولا وميلين عرضا تنتج ثمانيين ف للقمح ١٠ ف الشعير اما بالنسبة المشر الثاني المتمثل في الأراضي الغير مسقية فانها تعطي ٤٤ ف قمحا و ٦١ ف شعيرا . والاقليم الثاني من المقاطعة تتعاطى فيه مهنة الزراعة قبيلة المشجارة يحد هذا القطاع شمالا اراضي مستغانم على بعد ميل من المدينة نفسها اي مستغانم وشرقا مع قبائل بني يعقوب وجنوبا مع بني شكران حيث يقدر المحصول ب ٤٠ ف للقمح و ٦٢ ق الشعير مقاطعة ثانية القصبة : تسكن الاقليم الاول قبائل اولاد الميمون الذي تتعهد هذا القطاع بالزراعة والسقي تقع تاسالة منه على الجهة الشرقية وشمال مرجاجو وجنوب سلسلة التانيرا .

فهذه الارض صالحة للشعيرا كثر من القمح كلها مسقية وتقدر مساحتها ب ٣ اميال طولا وميلين عرضا فمعدل انتاج القمح ١٠ ف بينما يسجل الشعير ٢٥ ف . تميزت هذه المنطقة بامتلاك سكانها لاعداد كبيرة من الابل والخيل والماشية ، واتسمت اراضيها بطابع الخصوبة حيث كانت طرق الحرث بها منظمة وعلى نسق من الانتظام المتداول ، فمحاصيلها السنوية كانت تغطي الاكتفاء الذاتي للمنطقة بكاملها ، ذات منتجات ومحاصيل وفيرة .

الاقليم الثاني ، تصهر على فلاحته قبائل اولاد ابراهيم على امتداد ما بين وادي مكيرة وحتى سيدي ابراهيم على بعد ١٣ م يل عن وهران الا ان راضيه جد ضعيفة وقليلة الانتاج واذا

واذا ما قيست بالاول نجد ان مجمل انتاج القمح والشعير يصل الى ٢٠ ف لكل منهما ، وهذا باستثناء قطعة قد حضيت بالسقي بوادى ممكيرة فكانت لها الاسبقية وحصلت على هذه الامكانيات للموارد المائية فهذه القطعة يحدها غربا اراضي اولاد ميمون وسلسلة جبال التانيرا . وشمالا اولاد سيدى سليمان وجنوبا مربوا المواشي لقبيلة بني يعقوب .

الا انها اراضي معدومة تماما من الوجهة الفلاحية بل تمثل مرتفعا لقطعان المواشي التي يملكها مربوا المواشي لهذه القبيلة . فمهمتهم تقتصر على الرعى فقط بالدرجة الاولى . ينطلق هذا القطاع من اراضي اولاد سليمان شرقا أما بالشمال فتحده اراضي اولاد ابراهيم

يحتل سهل ارزيو المتوسط ما بين وهران ومستغانم، مكانا هاما في ميدان وفرة البساتين وتزايد عدد الحقول الكثيرة نتيجة لخصوبة اراضيه ، اما الاراضي الجبلية لسكان قلعة بني راشد فقد اشتهرت بالكروم والحبوب ،واستوطن اهاليها القرى القريبة من مقاطعتهم الفلاحية ، وعلى مقربة منها القبائل البدوية لمدينة غريس ، والتي غلب عليها طابع الترحل في مسح طبيعي شاسع السهول ، فاستقر سكانها بالسهل الذى كان قفرا " والذى يضم ثروات فلاحية هامة . " (١) .

غير ان منطقة تلمسان كانت تموج بحقول التين واللوز والحبوب والكرز والبطيخ والخوخ والقسطل ، ولها حقول واسعة تشمل الاشجار المثمرة ، والزيتون حيث تستخرج منه كميات هائلة من الزيوت ، بينما يحصد سكان مدينة ندرومة كميات كبيرة من الحنطة والشعير، مع احتفاظهم بالعديد من قطعان الماشية والخيول .

---

١) مارمول ص ٣٢١

الضرائب

لم تكن الاراضي الفلاحية المجاورة للبطحاء تعتبر بالاقطاعات الوحيدة التي يطبق عليها نظام الضرائب ، سواء أكانت للدولة أم للملاكين الخصوصيين الذين يؤجرونها بل قد تمددت هذا النطاق وشملت باقي القرى والدواوير المجاورة ، فأصبحت بذلك تنشر سيطرتها أو تضم أكثر من 140 دوارا .

على أن المحور الاقتصادي والسياسي الذي انطلقت منه بيرز جاليا باتجاه الشرق من وهران ثم الاتجاه الغربي لمساحات أقل من المساحات الشاسعة . وهذا ما نعثر عليه مدينتي مزغران ومستغانم اللتان انفردتا بطابع خاص عكس المعاملات الولائية المنتهجة ابان الفترة الاولى من الاحتلال وذلك منذ أن وطأت أقدام بابا عروج أراضيهما وتم له الفتح .

وكثيرا ماضربوا الضرائب على أهل جبل هوارة من بني شقران وغيرهم وكذلك أرض البطحاء وسيرات وملاتة وتليلات وغيرها . ويجدر بالاشارة الى المرحلة التمهيدية التي سعى اليها حكام البطحاء والمتمثلة في اعداد التحضيرات لعقد حفل ودي على شرف شيوخ القبائل وقادة الدواوير المتصلة بوهران أو المنعزلة عنها . كي يتسنى لهم اكتساب ودهم من شأنه أن يسفر عن حسن المعاملة والارتباط بعقود اتفاقيات الحماية المبرمة بين الطرفين .

قبل فترة الحصاد يصدر الوالي العام للبطحاء أوامره لقادة المحلة لتهيئة أنفسهم واستدعائهم لشيوخ وأشراف القبائل قصد مقابلتهم في حفل يستلم في آخره هؤلاء الشيوخ من طرف الوالي مختلف الهدايا وهذا بعد مناقشة طويلة بين الطرفين حول المنتوج الزراعي ومقاديره ينتج عنها فيما بعد الموافقة على ضبط جدول احصائي لمجمل الانتاج لكل منطقة وتحديد تسعيرة موحدة خاصة بالقمح والشعير .

الا أن هذه اللقاءات كانت تتم على مرحلتين : أولها اللقاء العام لكل شيوخ وأعيان القبائل لدراسة مشاكل الانتاج وتسعيره وهي مجتمعة ككل دون مراعات لعامل الافضلية والاسبقية للبعض منها .

كان يقع هذا أثناء مأدبة غذاء كبرى تقام بالقصر ينتهز فيها الوالي فرصة وجودهم للحديث عن الولاء والاستفسار عن القبائل المعادية للوجود الاسباني . وكذا استعراض مقدار الضريبة للسنة المنصرمة ، كما يحاول اقناعهم بابتياعه

ماتبقى لديهم من الحبوب بطريقة حذرة ، واذا ارتأى أعيان القبائل أن السعر جد منخفض لايفي بتكاليف الزراعة يمتنعون عن البيع ويكتفون بدفع الضريبة .

ثم تأتي المرحلة الثانية ، بعد انتهاء الحفل الرسمي حيث يستقبل فيها كل شيخ على حدة ليمنح له مكافأة مالية تختلف باختلاف سمعته وتأثيره على القبيلة ، هذا بالاضافة الى اهدائه كمية من التبغ البرازيلي المفضل لدى هذه القبائل .

نـــــوعية الضـــــرائب : ويمكن تلخيص المقاييس المراعاة من طرف الاسبان في تسديد المنح والمكافآت لمختلف هؤلاء الشيوخ بما يلي :

1) سلطة الشيخ ومدى تأثيرها على القبائل .
2) مكانته السياسية لدى الاسبان .
3) الخدمات المقدمة من طرف قبيلته ، وقيمة ولائها .
4) الاعتماد على كمية المحصول المدفوع كضريبة .

ومن خلال الاطلاع على نوعية هذه المكافآت التي كثيرا ماكان الاسبان يغدقونها على شيوخ القبائل أصبح بامكاننا تقسيمها الى نوعين : (أ) مكافأة الولاء ، (ب) مكافأة عن دفع المحصول وتغطية تكاليف السفر .

(أ) مكافأة الولاء : تحقق تنفيذ هذه المكافأة عن طريق اجراء ملكي بالدرجة الأولى ، ثم اجراء لقادة البطحاء في المقام الثاني ، الذي يستهدف خدمة شيوخ القبائل لصالح الاشراف منهم حيث تتفاوت هذه المكافأة تفاوتا بينا من شيخ لآخر حسب قيمة الولاء تجاه الاسبان ، ويبدو هذا التفاوت في القيمة العددية التي تتراوح مابين 50 أو 60 أو 80 الى 100 بيسترا [1] لكل واحد منهم .

(ب) مكافأة عن دفع المحصول ، وتغطية تكاليف السفر : أما المكافأة الثانية فهي لاتقتصر على الشيخ فقط وانما تتم عملية استيلاء هذا بالاشتراك مع الأعيان ورجال المصطحبين لضريبة المحصول الى قادة البطحاء ، فيأخذ كل نفر منهم مبلغه الذي يتماشى مع قيمته داخل القبيلة وضمن اطار الولاء الاسباني .

ومن المستحسن أن يطلق على هذه المكافأة اسم ـ المكافأة التعويضية ـ لانها تدفع لغرض معين ، يعني تغطية مصاريف النقل والسفر الى البطحاء ، قصد تسليم الضريبة العينية :

---

1) يساوى 10 دج . توفيق المدني (حرب الثلاثمائة سنة) ص 264 .

ـ1ـ من 6 الى 10 ريالات يوميا للشيخ زيادة ريال واحد مقابل كل ـ دوبلا ـ 1 • من القمح أو الشعير •

ـ2ـ وثلاث ريالات لأصحاب القطع الزراعية •

ـ3ـ ريالان لحاملي المحصول •

فما هي نوعية هذه الضريبة كذلك ياترى زيادة على ماتقدم ؟

اقتضت ضرورة الاحتلال الاسباني وهيمنته على القبائل الآنفة الذكر ، بتجديد وثيقة الحماية في كل سنة تعطى أثناءها احصاءات عامة عن عدد خيامها وذلك لدفع الضريبة السنوية المفروضة على كل دوار ، والتي تقدر بـ دوبلين = 112 مدا على ألا تتعدى مرحلة التجديد هذه فترة البذر والحرث اذ أن مدة الرخص بها تبتدئ من شهر أبريل وتستمر لآخره •

وتتفاوت الضريبة المسماة بالرومية ROMIA من حيث الدوار وعدد خيامه تفاوتا بينا بالنسبة لدوار آخر فللقائد العام الحق في الرفع من قيمتها أو خفضها وهذا حسب القيمة العددية لكل قبيلة ، ولهذا سميت بضريبة القبيلة أي الرومية •

لكن هذا لاينطبق على القبائل بصفة اجمالية ، ولم يكن هذا تحديدا رسميا وفعليا بل هناك استثناء كما لوحظ وجود بعض الاختلافات الكامنة في نسبة مقدار دفع الضريبة للقادة الاسبان حيث أن قبائل شافع وحميان وهبرة (والراجح غمرة وليست هبرة) تقدر القيمة العددية لها عن طريق الـ مربات وايس من ناتج عدد الخيام ، اذ كانت التقديرات السنوية تتراوح مابين 20000 ، أو 22000 فاناق من القمح • و 5000 الى 6000 من العلف • لكـــــن أي استثناء ذلك الذي يتحدث عنه فاليجو بالنسبة للقبائل الثلاثة مادام اعفاؤها من تقديم هذه الضريبة لم يحصل قط •

هذا بالنسبة لضريبة القبيلة المفروضة على كل الدواوير الا أن هناك من يتضاءل مقدارها من حيث الدفع اذ لايتجاوز مقدار دجاجة واحدة تؤديها كل خيمة من قرية كانستال للقائد العام في السنة •• على بن نينس يذكر أنه كان ورجالاته بمكان يسمى القلعة جهة جبلية ولكن ابان الاحتلال الأول ألقى القبض عليه فجأة من طرف الكونت الكودات وأرغموا على الدخول في صف الأسبان فتركوا القلعة وعمروا كانستال ، وساروا لايدفعون للقائد العام الا دجاجة واحدة في السنة ••• 2

فهذا التساهل بالنسبة للمجموعتين راجع للاحتفاظ بهم تأرفيا يقومون بمراقبة الساحل القريب من وهران وابلاغ القادة الاسبان بما يوجد في تلك الناحية رما يبدو في الافق من مراكب تجسم الخطر•

---

1) كانت الدوبلا في سنة 1708 م تساوى 112 مدا = 28 برشالا اسبانية = 43 فاناق قشتالي تساوى 200 كلغ •

2) تقرير الكونت آروخ بخورص 4 •

وفعلا قد كلفهم الحاكم العام متعيين حارسين كل يوم لتأمين الجهة الشرقية الساحلية من البطحاء وأخذ كل الاحتياطات الممكنة للدفاع . وقع استثناء قبائل مزغران ومستغانم في بداية الحديث ، الا أن ذلك قد حصل في المنتصف الاول من القرن 16م . أما قبل فكانت على العكس من ذلك ، حيث عثر على وثيقة حماية ضمن العديد من الرسالات التي جرت بين هؤلاء وحكام البطحاء ، تثبت أنهم رضخوا رفحا من الزمن منذ بداية الاحتلال ودفعوا ماعليهم من ضرائب وجاء فيها مايلي :

"أعيان 1 وشيوخ مزغران ومستغانم عرب ويهود مجبورون على خدمة الملك بعدالة ووفاء ويدفعون الرسوم والضرائب .

لكن اعتقد أن هذه المراسلة لم تكن جماعية ولم يمضها كافة الشيوخ والاعيان بل من المحتمل أن تكون لشيخ واحد أو لأقلية منهم وحتى اذا ماسلمنا بوقوعها فتكون لمجرد فترة وجيزة حتى يتسنى لهم ابعاد شبح العدو ونفوذه عنهم .

واذا أمعنا النظر نجد أن قبيلة سويد الباسطة نفوذها على كامل ربوع مزغران ومستغانم دائمة الثورة ضد وجود أي دخيل . واذا ماتصفحنا قوائم القبائل المتحالفة ماوجدنا لها اسما يذكر ، لافي السجلات العربية أو الأجنبية ، يضاف الى هذا أنهم جابهوا قبائل همرة المتصدين للمقاتلة والبطش لاخوانهم المهاجرين من الاندلس ، وهذا بدافع النصرة والحمية الاسلامية . وليس أدل على ذلك من صمودهم وجلدهم تجاه حملة الكونت الكوداك التي لقي فيها مصرعه .

أما الجهاز الاداري والمتكون من المقتصد وكاتب الحاكم العام اضطر في الاخير لتدوين المدخول العام للضريبة في سجلاته ، حاملا أسماء الدافعين وذلك نظرا لما كان يقوم به الحاكم العام من تغيير للعقود الفينة بعد أ لأخرى حتى يتجنب مكتب المحاسبات الأخطاء الناجمة عن ذلك .

كي تبرهن القبيلة عن ولائها وتلتزم بدفع ماعليها من ضرائب وما تبقى لديها من ديون تتكلف بتقديم أبناء شيوخها وأعيانها الى السلطة الحاكمة بوهران حيث يحتفظ بهم كرهائن ولا يطلق صراحهم الا بعد تسديد هذه الديون فأطلق عليهم اسم أسراء أنملك .

---

1) احتلال مستغانم من المجلة الافريقية لعام 1928 م أرخت المراسلة ب 26 ماي 1511م

ويبدو من الأمثلة بمكان ، أن ضريبة القبائل ككل كانت لاتمثل النصف الاستهلاكي السنوي للفرق العسكرية المرتزقة وقيادة الوحدات وأنها كانت تدفع على شكل كميات من القمح لكل مجند في صفوف الميليشيا أي لكل سكان المدينة دفعة واحدة ، وليس بصفة يومية للفسرة العسكرية وعلى نسق من الرتبة والتنظيم في التوزيع اليومي من قمح (وجبات غذائية) وأسلحة ، كما هو الحال اليوم لدى كل الشعوب .

واليك نموذجا عن وثيقة حماية :

انا المسمى القائد العام لمملكتي وهران ومرسى الكبير ومملكتي تلمسان وتنس وبعد الاطلاع على رغبة الشيخ شريف وقائد القبيلة والذي يصرح بولائه وارادته في خدمة الملك والعيش تحت حمايته الملكية فحسب طلبكم الموجه الي لحماية دواركم المكون من ..... خيام ونظرا لتاييدكم وتاكيدكم لخدمة الملك بكل نزاهة حسنة الاطلاع انكم ستوفون بالتزاماتكم قررت متحكم وثيقة الحماية هذه التي تجعلكم تحت رعايتنا حتى نهاية شهر اغسطس عن السنة القادمة ومقتضى هذا عليكم ان تسددوا لجلالته وعن طريق الضريبة عشرون دهلا من القطاع ما يمثل ضريبة الرومية والمحسوبة على اساس دهلين للخيمة ولكل دهل عليكم دفع مقياس من القمح يحدد على اساس اسعار المحصول حسب تقديرها بعد وضعها في مخازننا واذا ما حاول المغاربة الاعداء الالتحاق بدواركم او قبيلتكم عليكم مجابهتهم بكل قواكم واذا ما استعصوا ، عليكم باخباري عن الوضعية حالا وكل اهمال من طرفكم سيجلب لكم العقاب الشديد كنفس العقاب الذي هو جزاءكم في حالة ارتكاب جريمة او خطا نحو جلالته .

عليكم تقديم هذه الوثيقة لمكاتب التحقيق والحسابات بهذه الطابع وسيدفع لكم العراقب او رئيس الخزانة وفي الوقت المناسب وصلا مقابل ما تدفعونه من الضرائب المذكورة آنفا ، وكل دورا او قبيلة منكم وجواركم لا تعمل بمثابتكم ولا توكد ولائها تعتبر عدوا لنا .

دفعت لكم هذه النسخة او الوثيقة بعد امضائها ، من طرفي وامضائها من طرف كاتبي مدت باسم القصبة الملكية بوهران في كذا .....) .

التحصين ومسألة الأجل

بالرغم من التهديد الاسباني والوعيد الذين اتخذا في ذلك مهرا شتى وأشكالا مختلفة ضد القبائل ، لم يتمكن قادة وهران من الحفاظ على تداول تموين حاميتهم بوهران والمرسى الكبير ، بصفة دائمة من داخل الأراضي الوهرانية ونواحيها ، وكانت حجم انشغالاتهم منصبة على محاولة استقطاب الأهالي المهمة واستمالتهم ، حتى يخفضوا لأنفسهم تموينا مستمرا عاديا كفترة الحول ، تفاديا من القرصنة بعد المسافة مابين وهران والشواطئ الاسبانية وبحرا للوقت ، مع مراعاة الكمية المفروض استلامها والتي تفي بحاجات الجند سواء أكان ذلك في فترات السلم ، أم أيام الحصار .

معظم عطيات التموين تحقق وتنجز خلال مرحلتي الاحتلال الاسباني بوهران عن طريق استيراد المواد الغذائية والالبسة من أسبانيا . معتمدة في ذلك بالعديد من العراقيل الكامنة في العواصف التي تسد سبل الطرق البحرية وعطيات القرصنة ، هذا بالاضافة الى تأرجح هذه العطيات مابين ضمان تسييرها واستمرارية بها . ثم تخلو لها وانقطاعها في الكثير من الاحيان ، ولكن تتفهم الاسباب الدامية لذلك فلا بد من العودة الى مجرى الاحداث الاولى منذ بداية الاحتلال .

لقد تعهد الكاردينال " كزيمناس " أسقف طليطلة أثناء تقديمه خطة الهجوم على شمال أفريقيا . للملك المسيحي (فارد ينونند) بتحمل كافة أعباء وتكاليف الحملة ، شريطة أن يكون ذلك قرضا من الكنيسة . وفعلا دعم الحملة ومهد لها كل السبل من الجهة الاقتصادية الا أن حتمالية لهذه المعشات كاد أن ينفذ نظرا لهجرة سكان وهران ، ومغادرة الاهالي لها جماعات الى النواحي القريبة ، زهادة من عدم وجود أي تنسيق محكم . وفترات محدودة . تعون بواسطتها المدينة ، وذلك لافتقار الحوض الغربي للمتوسط الى الامن والحماية من عطيات القرصنة . هذا من جهة .

ومن جهة ثانية . تمر الباخرة جمع مساعدة مالية من بلدان أوربا ودفعها لاسبانيا على شكل ضريبة . وذلك للمهمة العسكرية (المقدسة) التي تقوم بها أمداء المسيحية

فالحصول على المواد الغذائية عن طريق وجود بعض الاقطاعات الزراعية بالقرب من البطحاء لما تتوفر عليه من " . . . بساتين وأشجار وفواكه وخضر جديدة "1 فهذه الموارد الاقتصادية الاولية ساهمت الى حد ما فى تموين وهران مؤقتا خاصة فى فترة تقوقع فيها الاحتلال الاسبانى وارتبط ارتباطا وثيقا بمنقط المراكز الساحلية من شمال افريقيا فقط . ويكفى تدعيما لذلك ماصرح به الكاردينال كزيميناس عند دخوله وهران وهو فى كامل الغبطة والاندهاش قائلا " . . . انها لجنة " 2

وبعد الدراسة لهذا المجال يتراءى لنا تقسيم عمليات التموين هته الى المحورين التاليين :

1) التموين من الداخل الافريقى ويشمل الافكار التالية :

أ) التموين البرى والبحرى لوهران من طرف القبائل المتحالفة .

ب) تموين وهران من طرف مملكة تلمسان .

ج) التموين عن طريق الغارات المفاجئة .

2) التموين الاوربى للمدينة : مسألة الأجور والرواتب .

---

1) أ) تموين وهران عن طريق البطحاء والاراضى المجاورة من طرف القبائل المتحالفة : بالرغم من الوعود الجسيمة المتتالية الناجمة عن السلطة الملكية بشأن تموين مراكز الاحتلال الساحلية وبالرغم من تصريحات وتقديم شكاوى القادة الاسبان ظلت عمليات التموين هته عديمة الفعالية من حيث الاستمرارية بعيدة كل البعد عن ضبط جدول زمنى محدد ، لايصالها بصفة منتظمة . وهذا مما أفقد الجنود الاسبان المعنويات النفسية فلجأوا الى وضع خططللاختطاف والسلب والنهب تارة . ثم فرار البعض منهم ومحاولتهم الدخول فى حماية القبائل العربية بسبب المجاعة تارة أخرى .

وازاء هذا الموقف كان ولا بد من البحث المتواصل لتزويد الحملة بالمؤونة التى هى فى أمس الحاجة اليها من المراكز الموجودة بقربها كى تضمن لنفسها مواصلة البقاء ، سواء عن طريق القبائل المتحالفة معها أو بواسطة بساتين رأس العين التى تنتج أصنافا عديدة من الخضر والفواكه .

وكانت عملية التموين الداخلى تتم عن طريق محورين : أولا محور البطحاء . ثانيا محور المناطق المجاورة .

---

1) بنمودة المازرى : المقصد الاول من طلوع سعد السعود .
Blum Nelly :"La croisade de Xénénés en Afrique". p 18

2) بلوم نيلى (حروب كزمينيس الصليبية بافريقية) ص ١٨

فالمحور الاول يرتكز أساسا على حقول وبساتين رأس العين التي كانت البعثة تستغلها ابان الفترة الاولى من الاحتلال حتى 1558 م حيث أصبحت سجل عمليات التموين عند ذلك تستورد مباشرة من أوربا .

هذه البساتين التي بهرت المؤرخين من حيث جودة التربة وكثرة المياه بها مما سمح لها بتموين أهالي وهران والقبائل المتنقلة قبل فترة الاحتلال " ... فابتداء من العين حتى البحر (لم يذكر بأي اتجاه والواضح أن هذا السبيل يقع في الجنوب الغربي من وهران) ... بساتين ومراعي، الخضر والفواكه تغطي الجهتين من الوادي وبخصوبة أرضها تنمو الخضر والفواكه بصفة سريعة . لبمجرد سقيها ببضعة أيام حيث تكفي الحملة الكثيرة العدد " 1 .

الا أن هذا الرأي مبالغ فيه نوع ما وذلك اذا ماتفقدنا القائمة الكاملة لافراد الحملة وقارنها بالمدد الضئيل الذي كان يقطن المدينة قبل فترة الهيمنة ، فالمساحات المزروعة لا تمثل الشيء الكبير بالنسبة للضواحي الزراعية ككل . هذا من جهة ومن جهة أخرى لم تكن تقتصر عمليات جلب المؤونة على هذه الحقول فقط ، بل كانت هناك مساهمة القبائل المتحالفة ، تضاف اليها فترات التموين الغير المنتظمة القادمة من أوربا وأسبانيا خاصة ، والا فكيف نفسر الرأي المستمر للعديد من العمليات التي تقوم بها القبائل المجاورة مع الاسبان عارضة سلعها بسعر ثابت وانه لحقيق أن مساعدة الاهالي في أغلب الاحيان لا تمثل حتى نصف الاستهلاك .

حتى ولو سلمنا بأن هذه المساعدات ككل تصل الى المعدل النصفي للاستهلاك فانها لا تتم مطلقا لا بحاجية السكان، ولا بمتطلبات المدينة لافراد الحملة ، والا فكيف نعلل خروج الفرق العسكرية ليلا للقيام بغارات السطو والنهب قصد الحصول على الطعام واللباس . زيادة على تعالي الصراخ والنجدة من جراء مايقاسونه من بؤس وجوع منذ السنوات الاولى للاحتلال وخاصة ابتداء من سنة 1535 م .

حقيقة أن حقول وهران ساهمت الى حد ما في عمليات التموين لرد غائلة الجوع عن الحملة ردحا من الزمن . لكن مساهمتها الفعلية هذه لم تكن الا جزئية اذا ما قيست بالعمليات الخارجية وحتى المجاورة للمدينة .

هذا بالاضافة الى التناقض الذي طرأ على ذاكرة "فاليجو" بشأن الاكتفاء الكلي من حيث الاستهلاك التي تحصل عليه الحملة تارة من بساتين وهران وأخرى يرجعه الى

Oran sous la domination espagnole Bull 1924 P. 99

1) وهران تحت الهيمنة الاسبانية . (عن المؤسسة الجغرافية لسنة 1924 م .

التموين العامة المقدم للبطحاء من طرف العرب (ويقصد بذلك فلاحي وهران والمناطق المجاورة ككانستال ، وكريشتل) اذ يذكر بهذا الصدد "... وانه في يومنا أي قبل 1708م يمون العرب البطحاء باللحوم والدجاج والحطب وشتى أصناف المأكولات بسعر جد معقول ومتوسط ويأتي الفلاحون منهم كذلك بالقمح وهذا لا يكفي مجملا حاجيات العملة والسكان معا" [1]

اذن فلم هذه الاحتجاجات؟ اذ يمكن التعرف على ذلك من خلال المراسلات المتعاقبة التي كان يبعث بها حكام وهران الى السلطة الملكية طالبين منها ارسال المدد في أقرب الآجال حيث لم تقتصر الخزينة الملكية بامدادهم بالمال فقط بل وحتى مختلف أنواع المؤن وغالبا أكياس القمح ، أما الاسباب الناجمة عن ذلك ترجع أساسا الى عدم معرفة الاسبان كيفية الاستفادة من وضعيتهم بوهران، ومحاولة الاسراع في العمل لاجتذاب وتقرب الاهالي اليهم ، هذا من جهة ثم الصراع داخل السلطة الحاكمة الكامن في الاهمال وعدم حسن التسيير من طرف الحاكم العسكري من ناحية أخرى .

وتجلى المحور الثاني في نوع العلاقة القائمة بين القبائل المموّنة لوهران، وبين البطحاء منها ماكان ينجز عن طريق البر من قبل القبائل المجاورة، والتي تحط رحالها بالسهل كي تتعاطى الزراعة والرعي تحت حماية الاسبان ، وذلك اثر ابرام معاهدة حماية وولاء تلتزم القبائل بموجبها دفع القمح والشعير، على هيئة ضريبة كقبيلة كنستال التي كانت تخصص نتاج فلاحتها لتموين سوق البطحاء .

ومنها مايتم برا وبحرا كقبيلة كريشتل المعروفة بخصوبة بساتينها وكثرتها حيث كانت تبحر دوما بمحاذات الشاطئ على مراكبها الصغيرة، متجهة الى وهران وهي محملة بشتى أنواع الخضر والفواكه ، وكذا قبائل مستغانم ومزغران التي حدت حذو سابقاتها اذ نجد هذا واضحا في احدى الوثائق على نحو اتفاقية [illegible] حماية بينها وبين الإسبان 2 "... شيوخ مستغانم ومزغران عرب ويهود محصورين على خدمة الملكة ... واذا أراد غارنون ابتياع جنوده مايحتاجونه بالسعر العادل المتعامل به ويقدم (أي السكان) بتموين مدينة وهران والمرس الكبير بالمواد التي تطلب منه ... لأن السكان لا يمانعون في ذلك ".

لكن مانلاحظه من فرق شاسع بين قبائل كناستال ومستغانم هو أن الاولى كانت تتعامل بمحض ارادتها أما الثانية فيتضح من خلال تصرفاتها النفور لانجاز عمليات التموين وذلك اثر وقوع

---

1) جوزيف فاليجو (رسالة الحاكم فاليجو) المؤسسة الجغرافية لسنة 1926 م ص211 .

Valléjo Joseph :" Mémoire du gouvernement Valléjo". Bull 1926

2) المجلة الافريقية لسنة 1928 م

ستغانم بين أيديهم وهذا طمعا ورجاء منهم فى عدم قيام الاسبان بأى مساس لدينهم وتقاليدهم وهذا كما جاء فى نفس الوثيقة " . . . فاذا احتفظ شيوخ وسكان مستغانم ومزغران بما هو مسجل فان الملك مجبور للدفاع عنهم ضد كل أعدائهم برا أو بحرا . ولا يجبرهم على التنصير بل يسمح لهم بالسير والحكم حسب قوانينهم " 1

1) ب) تموين وهران من طرف مملكة تلمسان : لم يكن تموين مملكة تلمسان لقادة البطحاء يسير باتجاه الانضباطية والمواولة بصفة مسترسلة ودائمة . وهذا نظرا للاحداث السياسية المتكررة والتطاحن المتعدد على السلطة والعرش بين الملك وأبنائه هذا من جهة ثم تأرجح المملكة نفسها مابين الحفاظ على سيادتها بلا انفصام عن الجزائر . والارتباط بالاسبان كحليف، ثم ابعادها عن هذا التحالف والاستيلاء عليها من جهة أخرى .

وبالرغم من هذه الاحداث ففى فترات السلم كرست مملكة تلمسان مجهوداتها فى امداد بطحاء وهران بالقمح والزيت خاصة . الا أن هذه العملية التموينية كان ينقصها عامل المداومة بالاضافة الى عدم تخطيط يخول للاسبان التفرغ للمطامع العسكرية . وجعل حد لهذه الانشغالات التموينية وحتى اذا ماتحققت فسيكون مقدارها عديم الكفاية .

1)جـ) التموين عن طريق الغارات المفاجئة :

قبل الدخول فى شرح الفكرة الثالثة المتمثلة فى مشكلة التموين عن طريق الغارات يجدر بى أن أدرج فى سياق الحديث السبب الرئيسى الذى دفع جند الاسبان القيام بها ، حيث لم يكن خروجهم هذا بدافع المواجهة والمجابهة مع الاهالى بل كان نتيجة لسد رمق الجوع وتموين مافقدوه من مؤونة تلك التى كانت دوما على وشك النفاذ ، اذ تبدوا المسألة منذ الوهلة الاولى، مادية محضة وليست سياسية أو استراتيجية وهذا من خلال الغزو المفاجئ والرجوع الى وهران، دون محاولة منهم البقاء أو التوغل صوب الداخل بل يكتفون فقط بابرام اتفاقيات حماية مع القبائل المجاورة .

كانت النداءات متتالية والمراسلات متواصلة، من قبل الحكام مع السلطة الملكية الاسبانية قصد ضمان تموين المراكز الشاطئية ، وأنه فى استطاعة الاسبان التصدى لأى هجوم ماعدا جحافل الجوع . واثر هذا صرح الكونت الكوادات فى سنة 1535 م قائلا : " يحز فى نفسى الدفاع عن البطحتين (وهران والمرسى الكبير) ضد الجوع أكثر من مجابهتى العدو " 2 ويشاركه فى هذا الرأى الحكام أنفسهم وأفراد الشعب مستطردا " . . . أن العرب لا يحملون المؤونة لوهران اذ نموت جوعا " اذا فالحصون الاسبانية شاهدت ابتداء من ساعات

---

1) المجلة الافريقية سنة 1928 م

2/ Mémoire du gouverneur Vallejo Bull 1926

2) جوزيف فاليجو (رسالة الحاكم فاليجو) المؤسسة الجغرافية لسنة 1926 ص 216 .

الاحتلال الاول ساعلت صعبة حرجة حيث كانت الاسبقية مرارا للنزال ضد الجوع وليس أبدا ضد الاهالى،وكان العامل الرئيسى لذلك كما أسلفنا هو سوء العلاقات والمعاملة تجاه الاهالى بالاضافة الى ماسنورده بتفصيل آجلا . 1 ،من صراع داخل السلطة وتهاون وتلاعب المقتصد بالمشكل المادى .

للخروج من هذا المأزق كى يتنفس جند الاسبان الصعداء . حاول الملك المسيحى ، (فاردينوند) وأصر منذ البداية على حث القواد الاسبان الموجودين بأفريقيا باعتمادهم أساساعلى الموارد المحلية دون الاتكال على الخزينة الملكية،نظرا لما تتوفر عليه هذه الاخيرة من عجز مادى،نتيجة حروبها المتكررة بالساحة الايطالية وكذا انعدام الامن البحرى من جراء القرصنة والزوبعة التى يمكن أن ينجم عنهاتعطيلفيى حركات الايصال بالاضافة الى ماسيؤدى اليه من نفقات باهضة هم فى حاجة اليها .

قد جاء فى أحدى رسائل الملك الى قائده الكونت (نافارو) فى أوائل ماى من سنة 1510م،طالبا منه الحرص كل الحرص فى مراعات ضمان التموين من الساحل الافريقى، "... المسألة الرئيسية التى يمكن لك مراعاتها فى هذه الاتفاقية .2 أو شيلاتها المعرضة مع العرب هى مسألة التموين ،اذ لابد من ابداء استطاعتنا للكون بأفريقيا بواسطة موارد البلد وحدها فقط . فاذا أردنا البقاء طويلا يستحيل علينا جلب كل شىء من أسبانيا ونضيع قريبا ثمار مجهودنا الحالى لابد من تنظيم الاوضاع حيث يكون بامكاننا الاحتفاظ بالبطاح التى فتحناها دون الاضطرار الى تموينها من الخارج ..." 3

ذلك أن تجهيز الحملة قد كلف الخزينة الاسبانية كثيرا وحملها عبئا ثقيلا وكان من بين المشاكل الداخلية المعقدة بعد موت (ايزابيل) وتطلب أموالا طائلة لتموين المراكب وجمع المواد الغذائية والالبسة وتقديم رواتب الجند المجندين وكثيرا مصرح فاردينوند أن حرب أفريقيا تأتى على نفاذ الخزينة الملكية .

تلك كانت احدى المضايقات المادية التى تعانى منها أسبانيا،بالاضافة الى شل حركات النشاط البحرى من قبل الحصار المضروب وتكاثر عمليات القرصنة لضمان التموين بالمراكز الافريقية، فبرزت وهران ساعتئذ عبارة عن محتشد محض ، عرفت حياة الجنود فيه مزيدا من البؤس والجوع،

---

1) ارجع الى فقرة التجارة تحت عنوان الصراع الداخلى بين قادة البطحاء .

2/ Jean Cazenave (Pédro Navarro Bull) 1925 P. 131

2) جون كازناف (بيدرو نافارو .)

وكانت المدينة فى الكثير من الا حيان معرضة للموت بتهديد من الجوع "... وأحيانا لم يتسنى لأطنان القمح شق طريق البحر للوصول فى الوقت المناسب " 1

وبالرغم من احتلا ل الاسبان لوهران والمرسى الكبير ظلت القرصنة سارية المفعول تجوب الحوض الغربى من المتوسط وتهدد بذلك السواحل الا يبيرية وهذا قبل أن يصدر الأمر الى الكونت بيار نافارو بالتحرك لصدها وردها عن أعقابها فى صائفة 1508 م بأربع سنوات فيما بعد 2 .

يمكن التساؤل ازاء هذا الموقف عن دوافع وأسباب العامل الثانى الذى ضاعف فى الخطورة بعد مشكلة صعوبة التموين بحرا فما هو ياترى .

الصراع الداخلى : انه بدون ريب الصراع الداخلى المتمثل فى النزاع القائم بين القائد العام والسلطة العسكرية أو بالا حرى بين المقتصد المدنى والقيادة . وذلك لعدم وجود تنسيق بين الطرفين أو خطة محكمة للعمل وانجاز المصارف المادية الداخلة فى نطاق الجملة بدقة وحرص من قبل الماركيز كوماراس ، حيث اضحى هذا الأخير يتصرف كما شاء بالخزينة وحسب هواه ، من رشوة وتنصيب أناس عديمى الكفاءة وتوزيع المنازل والبساتين دون دفع الايجار، ووشاية ضد المقتصد المدنى التى مفادها وأنه سيرحل عن وهران، ممّا أحدث الخوف والاضطراب فى صفوف العرب الموئنين للمدينة فانقطعوا عن أداء المهمة ، ويؤكد هذا ماجاء فى التقرير الطويل الذى بعث به المقتصد المدنى الى الملك مشيرا الى ذلك بقوله : " ... لا يفوتنى ابلاغكم عن بالغ تأسفنا . يقال هنا (أى وهران) ، أن المقتصد المدنى لايعود الى وهران، فهذا الخبر الذى أذاعه رجال الماركيز أبعد العرب الذين يمونون المدينة بالقمح والمواد الأخرى ، حيث أنهم لا يثقون مستقبلا بأحد ، اذا مالم تعملوا على ارجاعه لوهران، ولا يمونون المدينة لأنه كان قد وعدهم بعدم مفارقته لهم ... " 3 .

كثيرا ماتركت هذه الظاهرة الكونت الكودات يشكو من نفاذ المؤونة عدا بقاء الكمية والقليلة من الحبوب وعدم دفع أجور ورواتب الجند لما يقرب من سنة وهذا ابتداء من سنة 1535م " ... فمحصول السنة الماضية كان رديئا ومدينة وهران ينقصها القمح . اذ لاتدفع رواتب الفرق العسكرية بصفة منتظمة حيث يطالبون بالعودة الى قشتالة (كاستى) ،

---

1) بليكات (رسالة هارنالدو هونتابا) 1/ Pellecat ": Ménoire de Arnaldo Hontabat Bull". 1926 P. 211

2) ج. ك (بيدرو نافارو). 2/ Jean Cazenave :" Pedro Navarro, Bull 1925"; P. 136

المجلة الافريقية ، ص 3) 3

وحتى الكونت الكودات نفسه يقرر العودة ويطلب الدخول الى أسبانيا .

مخافة من تدهور الموقف واحداث ثغرة عميقة بين الحاكم العسكرى والمقتصد المدنى سارعت الخزينة الملكية فى 5 جوان 1536م بارسال المؤونة الى وهران قصد تهدئة الوضع وتجميد الموقف وارضاء رغبة الكونت بالبقاء كحل جزئى . فيهرع فى التو للرد مكاتبا "... انها لمناسبة سعيدة اذ لم يبقى لدينا لا خبز ولا مواد غذائية . وكنت أظن أننا سنحصل كذلك على الرواتب ... انه لعار فالجنود لم يجدوا من يقرضهم ..." لم يقتصر هذا الوضع المتأزم على وهران وحدها فقط بل طرأ وحل بباقى المراكز الساحلية الأخرى فهى اذا أزمة عمت كل نقط الاحتلال،ففى عنابة مثلا وقعت احداث اغتيالات تجاوزت الخطورة أتت على مقتل المستخلف ، وحتى قائد بجاية بارافون دى ريبيرا) يحدو حدو الكودات موضحا أن عدد الحملة فى تناقص . وتضاؤل اثر مغادرة البعض منهم المدينة نتيجة لانعدام التموين ودفع الاجور التى تكدست منذ مايقرب من 18 شهرا .

واذا ماتمعنا فى الاحداث الجارية لاستخلصنا بعض النتائج الناجمة عن الصراع ، انعكست آثارها المادية على دعامتين أولاهما التذبذب وعدم ضمان التموين،وثانيهما فى الاهمال والتأخير فى تزويد رواتب الجند والامتناع عن دفع ديون التجار .

اذ نجد المقتصد المدنى " يشترى من مختلف التجار المسيحيين والعرب واليهود القمح ، والشعير والخمر والزيت والملابس للجنود الذين يموتون جوعا وعريا،حيث يتراوح المبلغ مابين 4000 أو 6000 (دوكات) 1 . ويلتمس من جلالته اعطاء الأوامر بدفعه لهؤلاء التجار" .

لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه الى مرحلة الاختيار وانتقاء التجار المكلفين بالتموين ذووا ثقة بالامكان الاعتماد عليهم فى الازمات الاقتصادية " ... قد كلف التاجر كريستوفال بتموين مدينة وهران فانى آسف لعدم اختيار(جيمان فاسكاز)لهذه المهمة اذ أنه كان الممون لبجاية والجزائر ، انه رجل معروف بامكانه تقديم المال لشراء المواد عند الحاجة وهذا ما ليس فى استطاعة (كريستوفال) .

ولكى تسير الامور على حالتها الطبيعية أخذ يطالب بتغيير الماركيز واستبداله بحاكم آخر يخضع لجلالته خضوعا مطلقا ويمتثل لأوامره على أن يتم التنسيق بينهما (أى الحاكم الجديد والمقتصد)وفى حالة ماذا تحقق هذا الطلب وحدث انفراج سياسى من شأنه أن يعمل على تهدئة الجو،أمكن للمقتصد انجاز كل المخططات المادية وتحمل كل المصاريف والمتطلبات ،

---

1) دوكات : الدوقة نقد ذهبى اسبانى يساوى نحو 24 دج . عن (حرب الثلاثمائة سنة) للمؤلف أحمية توفيق المدنى ص 113

وبما أن العدد لأفراد الحملة كان يصل الى الوسط في أوائل الاحتلال استطاع الاسبان التموين التي تحتاج اليها البطحاء خلال ثلاث سنوات .
تلاعب الماركيز كثيرا بأموال الخزينة وحاد عن جادة الروح العسكرية التي طالما بها الكاردينال (كزيمناس) أسقف طليطلة والكونت بتيار نافارو منذ السنوات الأولى للاحتلال ، بحيث كون حاشية أحاطت به فأخذت تتصرف وتنصب من تشاء وخاصة الذين يقدمون لها الرشوة وتوزع المنازل والبساتين لأناس منهم من لم يقم بدفع حتى حق الايجار أما محاسبته وقواده فقد جمعوا موالا طائلة بطريقة غير مشروعة وحتى الماركيز نفسه حصل على ثروة متن جراء تسلمه لرواتب الجند التفاديتن وهران والمرسى الكبير بالاضافة الى ميزانية المستشفى التي بقيت في حوزته .

" فمن حيث التموين العادي لوهران يجب ارسال 23 000 قنطار من القمح و 1 000 قنطار من الشعير ، اذ يقدر مجمل ذلك بسبعة شهور لغاية 28 000 دوقة ، كما يجب التفكير في مسألة التموين الاحتياطي لألف رجل مخصوصا بوهران ، وعلى مدى ثمانية أشهر على أقل تقدير . " (1)
بالرغم من توارد القمح على وهران من اسبانيا وبعوزه تقطعه وفقد مراكب الجند بأوقات حرجة تمثلت في فقدانهم المادة الرئيسية ألا وهي الخبز .
" ومن القمح المرسل الى وهران ، فالناس يتحدثون باستمرار عن فقدان الخبز بساحتي وهران والمرس الكبير . " (2)

ولما طال أمد الحصار ، حلت المجاعة بسكان المدينة ، ولم يتمكنوا من الحصول على مايسدون به رمقهم من طرف القبائل المحيطة بأسوار المدينة نفسها ، ومن ذلك يستطرد فرانسيسكو ثاقلا :
" ففي 15 أكتوبر من عام 1571 كانت المجاعة التي شهدتها البلاد من أكبر الانشغالات والاهتمامات لدى الملك نظرا التناقص القمح . " (3)

---

1) المؤرخ العباس في كتابه (وهران دراسة جغرافية وعمرانية) ص 58 .

2) A. Francisco Durate, - (16 Juin 1573, Madrid) G. Didier, Histoire d'Oran p 97

3) Marmol Carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecén - Madrid -
(Descrip. de Africa, Réal Academia de la Historia, Folios 194-195)

وقد أكد ذلك سفير فرنسا Cervantes بقوله أن ولايات قد ساء مدينة وهران موفدا اليها في مهمة سرية من قبل فيليب الثاني ، حيث جال في شوارعها وشاهد ما عانته الجنود من جوع وفاقة " أولائك الذين فالبا ما يتسولون في الشوارع طلبا للغذاء فكانت ظروفهم جد صعبة . " (1)

وكما جاء في رسالة الملك فيليب الثاني الموجهة الى دون مارتان D.Martin de Cordova بوهران المؤرخة بتاريخ 4 جانفي 1584 أنه لابد من العمل بحزم وجدية للاحتفاظ بوهران ، والقيام بأية مبادرة تخول للمدينة التموين المستمر " فالرجاء استعمالة حرب السلام - القبائل المتحالفة - واجتذابهم الى تحصيناتهم تكم لحياتهم ، واعطائهم الأمل ، وأن المال سيصل قريبا لدفعه لهم مقابل الخبز . " (2)

ومادمنا بصدد الحديث عن القمح كمادة رئيسية للغذاء بالنسبة لأفراد الحامية العسكرية الاسبانية بوهران ، وبغض النظر عن احتياجات الجند لتحصين المدينة ، فان سكان تلمسان وأهالي بني راشد مافتئوا يجبون البوادي قصد الاستحواذ على تلمسان الماشية ، وتحديد كميات الحبوب من طرف القبائل المجاورة لوهران ، حتى لايتسرب المعتقد منها الى الجند الاسباني " فسعيد بن بوراس رئيس قبيلة أولاد ابراهيم لا زال يحرض القبائل الأخرى على تشديد الحصار التموين ومنعها من تقديم القمح الى قادة وهران . " (3)

ولم يكن من الجدي أصلا ، لعوامله البحث عن ربط علاقة اقتصادية دائمة في اطار التموين مابين وهران ومختلف القبائل بخصوصا بعد مشروع الكونت الكوفات ، فحتى لوتم لهم احتلال مستغانم " فانها تكلف جلالة الملك الكبير ، ومردودها جد صغير ، ولذا من الأسلم والأفضل تحليها وهذا المس بالشيء الذي الأهمية القصوى ، حيث أن الأسطول التركي قلما يبحر أو يرسوها ، والذي يهدد شواطئ وأراضي جلا لتكم . " (4)

1) G. Didier, - Cervantes à Oran, Histoire d'Oran - p 88
2) Marmol Carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecén (Real Academia, Madrid)
3) " " " " " " " " "
4) Manuscrito 2/3 Caja 5 N°14 (Real Academia de la Historia - Madrid)

نجمت عن مصيبات التموين أزمه حاده ، ماكاد اسبان وهران يجدون لها مخرجا منه والذي ستقتصر مهمته وملا حياتة على المواد الغذائيه الاغير ، كالخبز والزيت واللحم ، والذي ستعين به وهران من قبل المملكه الاسبانيه بالدرجه الأولى ، وهذا على غرار ماكان شائعا منذ الزمله الأولى للاحتلال في تموين المدينه بواسطه القوافل التجاريه ، فوهران هي في احتياج دائم الى الخضر والبقول الجافه والفحم واللحم ." (1) والتمسوا في آخر المطاف الى استيراد كل شيء من اسبانيا امامن لمذيق ألموه أم قرطا جنه .

غير أن مشكل التموين في حدّ ذاته لم يكن وليد ظروف حربيه أو سياسيه اسبانيه أوحتى اقتصاديه فحسب ، بل كانت هناك عوامل أخرى ساهمت في توسيع الهوه ، ونفت على نسق الحفاظ على استمراريه عمليات التموين بصفه منتظمه ، تجلت خصوصا في المنازعات بين السلطتين العسكريه والمدنيه حول كيفيه ادارة ذلك المرفق والمحتله ، هذا بالاضافه الى صعوبه تموين هذه المدن الساحليه نظرا لامتناع السكان من التعامل مع الغزاة مما اضطر الاسبان الى نقل المؤن عبر الأبيض المتوسط ، فأصبحت هذه العمليات عبئا ثقيلا على ميزانيه الدوله .

مسألة الأجور

كان التأخير في تنفيذ دفع رواتب جنده العمال ، أحد العوامل الرئيسيه في خلق جو مضطرب يسوده القلق والشك ، زاد في تعميق الهوه مابين القاده والسكان بالاضافه الى أزمه التموين ، أفرزت على الساحه الوهرانيه مشاحنات وانتقادات ، وحتى توترات تولف أحيانا ، من مواصله الأعمال القتاليه ، فتحصين كل من الحي الكبير ووهران من قبل الجنود ذلك أنهم قاموا بهذه الأعمال أو انخرطوا في الجيش على أماني كانت في مجملها كاذبه ، فمنهم من قضا ن راتب شهرين أو حد خلال سنه كامله ، وآخرون لم يستلموا طلقا أجورهم بالرغم من المراسلات العديده التي تمت باتين قاده وحكام وهران والمملكه الاسبانيه .

(1) Mercier, - Histoire de Oran.-

وفي هذا الشأن" كاتب دون مارتان Don Martin الطكبتاريخ 20 جانفي يصور له الوضعيه السياسيه البلحاء" والعالميه للجنود قائلا ، " انه لغايه شهر أكتوبر ونظرا لنقص المال" ،وعدم توفرخزينه المقتصد برصيد كاف ،لم نتمكن من" دفع الأجور الا للنصف العمال فقط ،وحتى هؤلا أنفسهم صاروا يطالبون بتسديد رواتبهم السابقه والرقم من احتجاجات عمال العرس الكبير بهذا الصدد ،غير أنهم لم يحصلوا على أي شيء." (1)

كانت معظم ردود الحكومه تتماشى وأسلوب المعادله ،أو ارسال نصيب قليل من المال لتهدئه الأوضاع لفتره ما تفي ضبخ مختلفه خصوصا من حيث السياسه العالميه المتعلقه بالأجور ،فجاء في رساله الطكردا من هذه المراسله ." لم تصلنا الرسائل الأخرى بعد ،وقد أعطينا لمقتصد جيشنا بقرطاجنه أمرايا رسال 24 000 دوقه لتسليمها الى رجال الحرب - جنود وعمال - بهاتين الشاحنتين ." (2)

ومن الواضح أن مسأله الرواتب ظلت معلقه ،لفتره طويله ولم تجد حلا نهائيا ، نظرا للعجز العالمي الذي عانته اسبانيا من جزاء الحرب الاوربيه - حرب الستين عاما مع فرنسا فلم يكن بامكانها تسديد كل رواتب الجند العاملين بالشاحل الافريقي وقد ساوع محاسب الجيش المستقر بقرطاجنه من الاتصال بحكام وهران ،للاستفسار عن وضعيه هؤلاء العمال" الى رجال الحرب القاطنين بوهران ،فمن خلال اجراء حسابات بالدفاتر التي هي في حوزتنا ،تأكدنا من وجوب دفع رواتبهم المتجمده بالاضافه الى المبالغ المستحقه والمخصصه للتحصينات ." (1) ولاشك أن هذه المراسلات ذاتها كانت تذكر دائما حول المطالبه بالتعجيل في دفع مستحقات العمال خصوصا كي لاتتعطل المنشآت العماريه البلحتين ،سواء أكانت حصونا وأبراجا أم مرافق عسكريه ،وعن ذلك يذكر دون مارتان في مراسله أخرى " لايمكن مواجهه الأعمال الكبرى لمحاجر العرس الكبير التي نتابعها عن قرب ،كما لايتسنى لتاكد لكالاستمراريه في هذه الأعمال وهذا نظرا لعدم دفع حلالتكم الأجور ،ولذا تموت الاستغناء ،والتخلي عن العديد من العمال ،ولاأسمح بالبقاء ،الا للذين يرغبون في العمل بالمجان .... وعاياكم بلتصون من حلالتكم دفع الأجور أوضمانات حتما تدونه لاقلا ." (2)

(2) رساله دون مارتان مؤرخه من وهران في 20 جانفي 1514 ،دوديس

(1) تاريخ وهران - ص 82

يلاحظ من خلال هذه المراسلات أو التي تلتها فيما بعد أن الحكومة الاسبانية لم تتوصل الى حل نهائي يؤمن لجنودها الأمن الاستقرار من حيث الحصول على مالغهم مقابل بل ما أدوه من خدمات في مختلف المجالات وهذا للهله وجود حامياتها بالساحل الافريقي .

كان على حكام وهران بعد تأكدهم من عدم تسديد الرواتب ولكامل العمال والجند ، التفكير في طريقة تجعلهم يواصلون عطيه التشييد ، وحتى ان طال الأمد لذلك ، وهذا بتسريح الأفليين منهم ، والاحتفاظ بمن يقبلون - العمل التطوعي - بينما الفئات التي سبق لها أن تعاطت أشغالا مختلفه ، ولم تتوصل باستلام أجورها ، فيكون البديل عن ذلك منحها شهادات تعوض نقدا فيما بعد ، تثبت بدقه المده التي اشتغلوا فيها في كل من الساحتين .

ازاء هذا وجه الملك رساله الى دون مارتان يبلغه فيها من الاجراءات التي تم ضبطها تجاه الموقف . " الى قائدنا العام دون مارتان دي قرطمه ، ومراقبينا وحسيبتنا ورجال جيشنا المتمركزين بوهران المرس الكبير ، بعد الدراسه من قبل مجلسنا العسكري ، قررنا الموافقه على اعطاء كل منهم - الجنود العمال - شهادات تثبت بدقه وصحه الفتره اللازمه التي قضوها في أشغال التحصينات على أن يتم ارسالها الينا التأكد منها ، والمصادقه عليها . " (1)

---

(1) مراسله من دون مارتان موقعه بتاريخ 23 جوان 1579

(2) رساله - D.Martin de Cordova الموقعه في وهران بتاريخ 20 جوان 1576
ديدي - تاريخ وهران - ص-89

الصناعة

انه لمن الصعب بمكان التوغل فى هذا الميدان لاستعراض نوعيات ومختلف الصناعات ان كانت هناك صناعة تذكر وتحمل هذا الاسم بما ينطوى عليه المفهوم الحالى ، بل كل ما يسجل سواء كان قبل الهيمنة الاسبانية أو بعدها هو وجود صناعة خفيفة تشبه الى حد قريب الصناعة التقليدية الراهنة .

مجمل المؤرخين الذين سنورد ذكر البعض منهم وهم قلة يجمعون على تمتع وهران واحتوائها على العديد من الورشات الصغيرة التى تعمل بموازاة الزراعة على انتاج صناعى بسيط يتمثل أغلبه فى صناعة النسيج والزيت والشمع والزرابى التى كانت مدونة ضمن قائمة التصدير الى البلدان الاوربية .

((.. كثير من الدكاكين والمصانع)) أى الورشات التقليدية التى يتحدث عنها الادريسى فى منتصف القرن الثانى عشر ميلادى وأعتقد أنه يقصد ذلك)) ... حيث سكان المدينة يميزون من خلال أعمالهم)) (1) . اذ يعتبر المؤرخ الوحيد العربى الذى أدرج عامل الصناعات ضمن أوجه النشاطات الاقتصادية الاخرى ، هذا بالاضافة الى المؤرخ الاجنبى ليون الافريقى الذى أعاره الانتباه هو كذلك بدوره فى القرن الخامس عشر ميلادى وما عداهما فقد تصدوا للذكر باسهاب عما اشتملت عليه المدينة من متاجر وحقول وبساتين وعيون عذبة ، وربما أغفلوا هذا الجانب كابن حوقل والبكرى وابن الخميس ومحمد بن يوسف الزيانى. لما أولوا الميدان الاجتماعى والسياسى من أهمية .

يمكن تصنيف هذه الصناعة التقليدية على ضوء ماعثرنا عليه فى مطالعتنا الى شطرين :

1 الصناعة التقليدية بوهران ، 2 الصناعة بمملكة تلمسان .

---

(1) الإدريسي أبو عبد الله محمد الشريف السبتي ، (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ص 181

الفصل الثالث

الانعكاسات الاقتصادية : صناعة ،تجارة .

١) الصناعة

٢) العلاقات التجارية لوهران

٣) التجارة الجزائرية

٤) العلاقات التجارية لوهران قبل الاحتلال :

ا - الاتفاقيات التجارية المبرمة مع مختلف الدول .

ب - عمليات التصدير والاستيراد

ج - الهيمنة الاوربية على المحاور التجارية

- ٥ - التجارة الوهرانية ابان الاحتلال .

- ا - اسباب التدهور .

- ب - الاسواق التجارية الجهوية

- ج - الصراع الداخلي بين قادة المدينة

- د - النزاع السياسي بمملكة تلمسان حول الساحلة واثره على التجارة الوهرانية

- ك - عمليات القرصنة

- ل - الحصار الدائم والتدهور التجاري .

لا يوجد الشيء الكثير بالنسبة لصناعة وهران وما اختصت به. ماعدا بروز بعض الورشات التي كانت تتعاطى صناعة الشمع ودبغ الجلود ونسج البرانس هذا من جهة ،ثم انتشار مختلف الحرف الصغيرة وهذا على أيدي الفئة المهاجرة من الاندلس وخاصة بعد سقوط غرناطة من جهة أخرى .

قد استفادت وهران من خبرات هذه الايادي العاطلة وساهمت في اثراء واشعاع المجال الحرفي مما زاد في الحركة العمرانية نتيجة لتكاثر الدكاكين وأوجد فرصا جديدة للعمل وخلق جوا من النشاط الاقتصادي المحلي ويذكر ليون الافريقي بهذا الصدد "أن أغلبية السكان من تقليديين ونساجين وخياطين بجانب كثير من الاهالي الذين يعيشون بوسائلهم الخاصة "

"أما الصناعة التقليدية بمملكة تلمسان ، فبالرغم من خصوبة ارضها وانتشارا شجار الزيتون بربوعها تمثل المركز الرئيسي لانتاج الزيوت المصدرة نحو الخارج عبر ميناء وهران . والتي كانت السبب المباشر في انشاء المعاصير"...

فتلمسان تمثل المكانة الذائعة الصيت بالنسبة للزيوت ١٠.

وحتى في ميدان صناعة النسيج نجد ها تحتل مكان الصدارة بما تحتوي عليه من ورشات صغيرة لصناعة الزرابي التي تصدر هي كذلك الى بلدان أوربا .

من الملاحظة ان الهيمنة الصناعية للمدن ، كان لها دورها الفعال في ابعاد القرى والقصاء الارياف خاصة هذه الحركة الصناعية الواسعة ، فظهرت من حين لاخر بعض المحاولات لتخلص سكان الارياف من المدن والتاثر بالمدن ، كمغراوه الذين تمكنوا من الحصول على حرية التنقل ، فساهموا في تطوير الصناعة التقليدية ، وترويج التجارة مع ما لي قلعة بني راشد بمعسكر.

كانت مدينة مستغانم نتيجة لوفرة المياه بوادي الشلف قد اقامت طواحين ، وتعاطي مجمل سكانها صناعة النسيج ، اضافة الى انشاء مصانع صغيرة ، تخصصت في صناعة الحرير وانفردت به عن باقي المدن المجاورة ، غير أن مدينة مازونة ولحرمان اهلها من عوائد الارض وعدم الاستفادة من ريع محاصيلها ، ونظرا لتفاقم وتكاثر الضرائب ، وجهوا بالغ عنايتهم الى تربية المواشي ، فامتهنوا بذلك صناعة الزرابي الصوفية ، . وهذا ما يفسر السبب الرئيسي في كساد السوق الذى ساهم بدوره في زيادة الفقر وقلة الطلب خاصة لدى سكان الأرياف . تميزت الصناعة التقليدية بالمدن بروا جها في نطاق محدود تجاه السوق الداخلية ، خاصة بعد نزوح الاندلسيين من مسلمين ويهود ضمن موجات بشرية ، وعبر فترات زمنية متواصلة حتى عام ١٦١٠م، بالرغم من أقليتهم اذا ما قورنوا بأندلسي فاس وتونس ، فقد

ساهموا الى حد ما في بعث الحركة الصناعية بالمدن ، واشعاع تجارى لموانيء هنين ورشقون ، حيث تخصصت تلمسان في الحدادة والنسيج والسراجة ، وعن ذلك يذكر ما رمول " بالرغم من رقة ولطف أهلها فقد قام الصناع وبأعمال جيدة الصنع مثل سترات الفرسان والزرابي " (١) .

اما العنصر اليهودى فقد تعاطى مهنا مختلفة ، بعضها كان متداولا في اوساط المدن الريفية والحضرية كالصياغة والحدادة ، والبعض الاخر تميزوا بدعن باقي السكان كصناعة الحلي والجواهر والساعات .

---

(١) مارمول ص ٣٣٢ .

(1) Marmol Carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremcen -
(Descrip. Africa. Folios 194 195 - Real Academia de la Historia, Madrid)

العلاقات التجارية لوهران :

التجارة الجزائرية :

العلاقات التجارية لوهران قبل الاحتلال

الاتفاقيات التجارية المبرمة

عمليات التصدير والاستيراد

الهيمنة الاوربية على المحاور التجارية

التجارة الخارجية لوهران ابان الاحتلال

أسباب التدهور

الأسواق التجارية الجهوية

الصراع الداخلي بين قادة البطحاء

النزاع السياسي بمملكة تلمسان حول السلطة

عمليات القرصنة .

التجارة الجزائرية :

لا شك ان عملية الطرد ، احدثت هزات اقتصادية حادة على مستوى الاقتصاد الاسباني داخليا أم خارجيا ، ولم يكن الاثر على التجارة حتى العالمية منها بأقل من الفعاليات الاقتصادية الاخرى ، فقد لاحظ اندرى شوشي، برونيان، لاكوست، ان الطرد كان ضربة قوية لحركة التجارة المتوسطة الاطلنسية ، بدليل ان حجم التجارة المنقولة ما بين عامي ١٦١٤ - ١٦٢٢ م كان اقل بكثير من الحجم المتداول سنة ١٦٠٥م ، بحجة انه احدث شرخا بليغا في التدهور الاقتصادى ، خاصة بعد الفقر الموقع الذى مس الجهاز الروحي ، والذى حل بالرهبان حيث مات منهم اثنان بمدينة المرية ؛ فتعالت اصوات رجال الكنيسة بان الطرد كان سببا رئيسيا من بين اسباب الفقر الذى داهم الاراضي الاسبانية وانتشر بربوعها . " (١)

(١) A. Ortiz, - Historia de los Moriscos - p 201

ظهر المغرب منذ القرن الرابع عشر ميلادي ، بعيدا عن مضمار الاتصالات والعلاقات التجارية ما بين السودان شرقا ، وبلدان حوض البحر المتوسط الاروبية غربا ، متاضاعف من قوته الاقتصادية التي كانت سلفا اي في القرن السابع ميلادي احد الاسباب الاساسية في ازدهاره ، وقد احتل المغرب الاوسط مكانة مرفوقة في مجال تمرير التجارة من المغرب صوب السودان او العكس ، وكان المحطة الامنة لمرور القوافل عبر الصحراء التي كانت تموج بتحركات هذه القوافل بصفة مستمرة ومنتظمة (١) اذ لم تكن هذه عبارة عن مجمع لمنبوذي القبائل او المطرودين كما يتصوره البعض .

ومهما قيل عن ضعف موارد المغرب ، وان قيمته تاتي في الدرجة الثانية بالنسبة للدول الاروبية ، اذان اهميته الاولى تكمن في التجارة المشرقية ، فهذا زيف يفسر بطلانه السعي الحثيث لهذه الدول قصد الحصول على امتيازات اقتصادية ضمن ربوعه ، ولعل اصدق دليل على ذلك هي تلك المعاهدات التجارية المبرمة مابين هذه الاطراف مابين هذه الاطراف ذاتها .

قد يكون بديهيا قبل التصدي لتطاول الميدان التجاري عموما ابتداء بين وهران كنقطة انطلاق وحلقه وصل بين المغرب الاوسط ودول الضاحل الايبيري تقسيم الموضوع الحالي الى فكرتين اساسيتين :

---

1) Letters Mas, - Traités de paix et de Commerce

١ - العلاقات التجارية لوهران قبل الاحتلال

٢ - ابان الهيمنة الاسبانية -

والسبب الرئيسي الذى دفعني الى هذا التقسيم واتخاذه كمقارنة بين العهدين هو تبيان دواعي الازدهار التجارى وضخامة العمليات الاستيرادية والتصديرية التي بسطت عليها اليد الطولي الدول الاوربية ، مستفيدة بذلك من شحن البضائع وحركة النقل بين الساحلين المواجهين للحوض الغربي من المتوسط وهذا ،منذ الفترة الاولى ثم انحطاط العامل الاقتصادى والتدهور التجارى من جراء العديد من العوامل التي عاقت نموه والمتمثلة في القرصنة المهددة لا من رحلات السفن التجارية على طول السواحل اوروا فريقية . هذا بالاضافة الى الصراع الداخلى في الجهاز السياسي لمملكة تلمسان ، وعدم ارسال قبائل المنطقة بضائعها بقصد التصدير نتيجة لسوء العلاقات بينها وبين قادة البطحاء الغير قارين في الحكم وكذا الحصار والحروب المتتالية .

العلاقات التجارية لوهران قبل الاحتلال :

قد يكون بالامكان اخذ فكرة عامة عن قيمة التجارة الوهرانية في أوج ازدهارها وذلك منذ قرون خلت وسبقت فترات الاحتلال الاسباني حيث يبرز بجلاء في مقدار العامل

التصديري الذي يرتكز اساسا على الحبوب بالدرجة الاولى ، والذي كان يبعث به صوب الاندلس ودول الساحل الاوروبي بكميات هائلة ، وهذا راجع الى العوامل الطبيعية وصلاحية التربة التي ساهمت بحد وافر ،في كثرة نتاج المحصول عبر سهول وهران وتلمسان منذ نهاية القرن العاشر .

شاهد ميناء وهران حركة تجارية ، حيث تقدم السفن الاندلسية اليه وهي محملة بمختلف البضائع ثم تعود معبأة بالقمح ، (١) الا ان هذه العلاقات التجارية البحرية القائمة بين وهران والاندلس لم تكن تحمل الطابع التجاري الصرف ، اي من اجل التجارة فقط، بل هناك علاقات اخرى تتماشى مع التيار السياسي ولا يمكن لها كذلك ان تنفصل عن المحور الاقتصادي ، تتمثل بوضوح في روابط القربى والمصاهرة ، بالاضافة الى وحدة اللغة والدين وعمومة الشعبين فهذه المقومات الاصلية لكفيلة وحدها ، بان تجعل الرواق الغربي للمتوسط طريقا بحريا ابيرو افريقيا ، تجوبه السفن بدون انقطاع ابتداء من القرن العاشر وحتى الحادي عشر كذلك ، (٢) اذن فهناك حركة نشيطة دائمة بين الساحلين معتمدة في ذلك على ميناء وهران كقاعدة بحرية تجارية ، تتحكم في زمام الصادرات الواردات من والى القارتين وحتى المقديسي يؤكد ان وهران هي ميناء محصن يسافر منه الى الاندلس ليل نهار .

١ ابن حوقل
٢ نفس المرجع

لكن لم يقتصر رواج هذه التجارة على المجال الخارجي فقط، بل حتى بالنسبة للداخل الوهراني شهدت تطورا، يتبين هذا من خلال المعروضات التجارية في الاسواق والتي سجلها الادريسي بقوله كثير من المحلات حيث التجارة مزدهرة اذ تجد الفواكه بكثرة والعسل والسمن وقطيع الغنم كلها باسعار مناسبة. ساد العلاقات التجارية جو من الشك والغموض كتلك التي سبقت العلاقات السياسية من قبل ،بغض النظر عن الفوائد المحصل عليها، فنجد في هذه الفترة خاصة النورمانديين يبعدون العرب من جزيرة صقلية والجنوب الايطالي مما افسح المجال وساهم الى حد بعيد لانطلاق الكاتالانيين على السواء لفتح البلدان الساحلية تجاريا والهيمنة عليها.

تعامل الكاتالانيون بالاضافة الى سكان ماجورك مع معظم البلدان التجارية المغربية في فترات مبكرة ، أي ابتداء من القرن الثالث عشر ، اذ ان وثائق هذا العصر تشير الى وجود الكاتالانيين وتجار مدينة جنوة في كل من تونس ، بجاية ، قسنطينة ، وهران تلمسان ، المغرب ، يصدرون نحو المغرب الحديد المصنع والاقمشة والتوابل المستوردة من الشرق .(١)

لم تكن وهران المدينة التجارية الوحيدة التي حظيت بالتحكم في ميزان القوى التجارية ،سواء بالتوغل نحو الداخل

---

(١) الاسبان وشمال افريقيا بروندال (المجلة الافريقية لسنة ١٩٢٨ ص١٩٦ .

الا فريقي ، أولا يصاله نحو السا حل المقا بل ، بل هناك موانيء ا خرى على طول الشريط السا حلي ، ا حتك بها الكاتالانيون وتجار جنوه ، فحصلوا بذلك على فوائد جمة ، ووضعوا أيديهم على زمام التسويق سواء من هذه المدن او اليها ، اعتبرت في هذه الحقبة بالجمهورية التجارية ضمن معظم سوا حل الدول الأوربية ، مما سيعرضها لا محاله للتصادم الا قتصادي ، حصل هذا عبر الا سواق المجاورة لها بالداخل الا وروبي ، وعلى نطاق أوسع من ذلك يشمل بدوره بلدان السوا حل الا فريقية ، فيصبح لزاما على هذه الجمهورية النا شئة البحث عن إ سواق خارجية ، تكفل لها ا ستمرارية التسويق وضمان حركة النقل ، وسينشأ عن هذا التحدي تنا فس لا بد من الد فاع عنه أوضده بين الغلورنسيين والبندقيين وتجار جنوه حيث يصبح شمال ا فريقيا مسرحا أليق بهم .

كي تكون الصورة واضحة ،يجدربي الا شارة والتلميح الى وجود كلتلتين تجارتين متنا فستين بأوروبا ،تكمن الا ولى في التجار الا يطاليين والبرفا نسيين معا ، ضد الكتلة الثا نية التي يمثلها الكا تالانيون ولم يكن الهدف الرئيسي من هذا التنا فس هو الا ستحواذ على مفتاح التموين للا سواق الدا خلية فحسب ، بل هو ا ستغلال خيرات شمال ا فريقيا كذلك (١) .

---

(١) نفس المؤرخ ص ٥٢ . (المجلة الإفريقية ١٩٤٨) ص ١٩٦

يضاف الى ذلك بروز المارسيليين الذين سيأخذون مكانهم في حلبة الصراع التجارى بالمغرب الاوسط في فترة مبكرة ، مثل تجار مدينة نارون التي ترتكز تجارتهم على الصناعة والصوف ،وتشير بعض الوثائق لسنة ١٤٣٣ م على ان هؤلاء التجار يقصدون وهران للاتجار صحبة الكاتالانيين ،(١) وقد حصل المارسيليون على رخصة باقامة محلات تجارية بوهران ، وتعيين مدير ينصبه قنصل مارسيليا ، فانشاوا بذلك حيا حقيقيا ، يتمتع بكل المرافق الحيوية من حمامات عامة وسوق مشترك ومكاتب ادارية لمختلف الصلاحيات .

المعاهدات التجارية :

كانت العلاقات التجارية بين دولة الموحدين والدويلات المسيحية كجنوب فرنسا وايطاليا جد نشيطة ، ويعتبر الموحدون من الأوائل في عقد المعاهدات التجارية - وان كانت بسيطة في بدايتها - الا انها كانت بمثابة القاعدة الأولى في ترسيخ وتعميم تلك المعاهدات في القرن الثالث عشر ميلادى ، وقد تم بمقتضاها احداث دور للتجار الاروبيين في موانئ المغرب وهي عبارة عن منازل خاصة ومخازن ،مما سمح للدولة الموحدية من تحديد للرسوم الجمركية بمقدار ١٠٪ اضافة إلى عملة خاصة بهذا الشأن كان تعويمها شاملا على طول امتداد حوض الأبيض المتوسط.

تمكنت فرنسا من حصولها على مكان الصدارة والاولوية

(١) ليسباس في " وهران دراسة جغرافية " ص ٥٥ .

والامتياز بالنسبة للدول الاوربية ، في ربط علاقاتها التجارية ،وابرامها العديد من الاتفاقيات مع الجزائر كحليف ضد اسبانيا التي خاضت معها الستين عاما كما ذكرناه آنفا ، (١) وخولت لها هذه الاتفاقية من السيطرة على التجارية فترات من التوقف والانقطاع نتيجة الصراع البحري ،

وكانت الاتفاقية المبرمة مع التاجر المرسيلي توماس لانش Thomas lenche والموقعة بتاريخ ١٥٢٠م (٢) تسمح له باقامة مصرف بمدينة القالة لتسيير وتسهيل الخدمات التجارية الفرنسية ، فحذى حذوه فيما بعد جل التجار الفرنسيين الذى احتكروا زمام التجارة بعد منحهم لتجار جنوه ، فابعدوهم وحلوا محلهم ،وتمكنوا من تعيين قنصل لهم بالجزائر سنة ١٥٦٤م غير انمعاملاتهم التجارية وطرقهم في الاتجار ، كانت تتنافى مع روح ونص الاتفاقية التي ابرمت سنة ١٦٢٨م ، بعدما ثبت لدى الدولة الجزائرية احتكارهم لسوق الحبوب ،وقيامهم بعمليات تهريب لا مشروعة ، مما دفع البعض منهم للاعتداء على التجار الجزائريين بمرسيليا ، فكان سببا في اندلاع حرب بين الطرفين

---

١) Aguado Bleye Pedro, - Manual de la Historia de España -(Madrid 1940)

٢) وكان قد حصل على امتياز تجاري بمدينة طبرقة، يرخص له في نطاق الصيد البحري صيد المرجان نظرا للتحالف الفرنسي مع خير الدين ، والذى يعتبر الجزائر قاعدة عسكرية للاسطول العثماني ارسل سليمان القانوني الى جنوب فرنسا اسطولا كبيرا لموازرتها في الصراع الناشب بينها وبين شارل الخامس لتخليص ميناء نيس من قبضته ، غير ان طول فترة المقاومة ، اضطرت الاسطول العثماني للتوجه الى ميناء طولون شتاء .

ادت الى اعادة ابرام معاهدة اخرى سنة ١٦٤٠م نجم عنها منحهم بعض المراكز التجارية الجديدة في عنابة والقل والقالة.(١)

يمكن استخلاص نتيجة من خلال مجمل الاتفاقيات والمعاهدات التجارية الموقعة ما بين الجانبين ، انها كانت تتسم بالطابع اللاإستقرار والتسوية الفرحلية ، كان النقض فيها يتجلى في عدم احترام الفرنسيين وارتباطهم ببنود نص تلك الاتفاقيات ، حيث لم تاخذ مسارها الطبيعي والعادي بل النهائي الا في غضون ٢٥ ابريل من عام ١٦٨٤ ولمدة قرن كامل ،تسمح للجزائريين باستخدام الموانيء الفرنسية للاغارة على الاراضي الهولندية والانجليزية بينما تفرض عليهم اطلاق سراح الأسرى المستولي عليهم من سفن اجنبية بعد التحقق من جنسياتهم .

ويبدوان الولايات استطاعت بدورها عقد اتفاقية تجارية سنة ١٦٥٢م بينما تمكنت بريطانيا من ابرام معاهدة سلام واتفاقية تجارية في سنة ١٦٥٥م تم بمقتضاها السماح لكلا الطرفين من اقامة القنصليات ، واعفاء البضائع من الرسوم الجمركية كما امتدت اطماع البرتغال الى المغرب الاوسط ، فاقاموا مؤسسة تجارية في وهران من سنة ١٤٨٣ الى عام ١٤٨٧م وحاولوا ازاء ذلك فرض معاهدة تجارية مع مملكة تلمسان .

---

(١) وكان لهذه الاتفاقية مكانة خاصة ، حيث اعتبرت الدعامة الرئيسية في العلاقات الفرنسية الجزائرية ، تضمنت حق احتكار الصيد والاتجار بالمواني دون ترخيص ما ، ضمن منطقة الامتياز ، ومنع باقي الدول بالاتجار فيها ، كما تنص على السماح باقامة المنازل والمصارف ومستودعات لحفظ السلع ، على نقيض ما فسروه واطلقوا عليه فيما بعد مدلول -باستيون- اي الحصن ليكون مبررالاقامة منشآت عسكرية .

لا يتم انجاز العمليات التجارية هذه بوهران كغيرها من الأسواق المغربية مثل تلمسان ،سبتة ، من طرف افراد فقط ، وانما هناك عائلات التجار التي تكون في مجموعها شركة تجارية على ارض وهران بالتعاون مع تجار اخرين ، وهذا مثل عائلة ((اتيان مانديال))

و مما يسترعي الانتباه هو الضعف و القلة القصوى لعنصرها هذا الأخير في وهران للمشاركة في هذه الصفقات ، و حتى عنصر التجار الافريقيين على وجه العموم ، بينما نجد عملية الاحتراف هاته تضم الفرنسيين و تجار جنوه و تقتصر خاصة على التجار اليهود، اما المسلمون فنادرا ما يتم التعامل معهم ، على اساس ادراجهم في الشركة ، وبهذه الطريقة شملت عمليا تهم كل انحاء المنطقة ، واصبحوا بذلك مهيمنة ووسطاء وباعثي الصلحة .

لم يمارس الكتالانيون اعمالهم بوهران و تلمسان على المستوى التجاري ، بل وافقوه بالعامل السياسي ، حيث وجد الرحالة متهم القومنة المتدخل في النزاعات المغربية ، وقد عرض كثير. منهم خدماته على امراء المغرب . (٢) .

هذا مع العلم ان تجارة فلورنسيا في القرن ١٥م لم تجد الوسيلة الكافية لتمريرها بانتظام قصد رواجها ، ونتيجة للتنظيم البابوي الجديد لم تعمر طويلا فتلاشت واصلبها الاندثار(١) .

---

١) ليسباس في ((وهران دراسة جغرافية)) ص ٥٥

٢) بروديال " الاسبان وشمال افريقيا " من المجلة الافريقية ص ١٩٧ سنة ١٩٢٨ .

الاتفاقيات التجارية :

حصلت وهران ضمن اطار مملكة تلمسان على اتفاقيات تجارية عديدة ، مع مختلف الدول الاوربية وهذا ابتداء من ق ١٢ م حتى ق ١٤ م . مما يفسر نمو الحركة التجارية وضخامتها ، في هذه الفترة بالذات اذ نجد تاسيس الفنادق من طرف هذه الدول قصد تسهيل التعامل وتشيل الاسواق التجارية لدى وهران وتلمسان على السواء .

وكانت هذه الدول تهدف من وراء الاتفاقيات التجارية هذه الحصول على وثيقة تؤمن بها بضائعها وتسمح لها بحرية تصدير المواد الوهرانية التلمسانية ، اعني مسك زمام الامور التجارية (١) تبين مدى بسط النفوذ التجاري الاجنبي على موانىء المغرب ، وفيما يلي مجمل الشروط لنموذج اتفاقية بين السلطان المريني ابي حمو حسن ، و ((جيم الثاني)) ملك ما جوركا سرى مفعولهما على كامل التجار الاجانب فيما بعد ، جاء فيها : - منع القرصنة - الامتناع عن تحطيم السفن بعد ان يتم حجزها ، لكن الشرط الثاني يبدو انه لم يحترم البتة) - حرية تجارة التصدير الضمانات لارواح التجار واملاكهم - حق مشروعية اقامة القنصليات والفنادق والاسواق لبيع السلع - اقامة سكنى القناصلة وما يتبعهم من جهاز اداري - طلب السماح بانشاء كنيسة ومقبرة تحديد التسعيرة لضبط مختلف البضائع بالنسبة للتعريفة الجمركية كل المبالغ الناجمة عن الاتاوات او الضرائب او التخزين والوزن وما يتبعها من عطيات الشحن والتفريغ تسلم للخزينة الزيانية .

---

(١) ليسباس - ٥٧ . - وهران دراسة جغرافية -

اذا ما راجعنا هذه الشروط نستنتج ان وهران كتلمسان احتوتا على احياء تجارية اجنبية ، بكامل اجهزتها الادارية والسياسية والعقائدية ، يقوم افرادها بعمل الوسيط بينهما في الساحة الابروافريقية ، لكن نلاحظ تقييد حرية تجارة التصدير بالنسبة لبعض المواد الغذائية خاصة منها الحبوب التي لا يسمح بتصديرها الا بعد الحصول على رخصة خاصة من طرف السلطات الزيانية ، ويرجع بتصديرها الا بعد الحصول على رخصة خاصة من طرف السلطات الزيانية ، ويرجع ذلك الى سبب التصدير بالكميات الوفيرة ، استنزاف الاحتياطي المقرر الاحتفاظ به سنويا في كل من وهران وتلمسان .

ومما يبرهن على رواج التجارة وازدهارها في مملكة تلمسان عبر جسر وهران ،هو تعداد هذه الاتفاقيات والتي تضطر لذكر البعض منها تدعيما لما سبق . ففي ١١٦٦م ابرمت احداها بين ابي يوسف يعقوب ابن عبد المومن وقنصل الجمهورية لمدينة جنوة تم اتفاقية بتوقيع ابي يعقوب المنصور سنة ١٢١١ م ،ثم تجديدها بعد الاتفاقية الاولى المبرمة في ١١٨٦م. واخيرا اتفاقيات تجار جنوة ابتداء من ق ١٣ م وحتى ١٤ م ، ثم تجار البندقية في مستهل ق ١٥م حيث حصلوا على محلات تجارية في كل من وهران وتلمسان .

صادرات وهران وواردتها . صادرات

ان قلت صادرات وهران فاعني بها البضائع ومختلف السلع التي تجلب من الموانئ الغربية والبعيدة ، فيتم تخزينها وتصديرها بالتالي نحو العالم الخارجي ، فدور ميناء وهران في هذه الفترة لم يكن سوى ممرا ومعبر تنقل عبره الموارد التلمسانية فقط، كما لا يعني ان ضواحي وهران هي خالية الوفاض من حيث المحاصيل الممكن تصديرها ، بل هناك مناطق

اخرى تزخر بالعديد من هذه المحاصيل والتي تشمل الاراضي الفلاحيـــة لكل من تازوغـــة سيرات - هبرة ثنية - القصيبة المرسى الكبير تارقة ساسل - تاسالا اجبال الخ ... (١) .

واذا ماتصفحنا قائمة الصادرات لوجدنا اجلها يتمثل في الصادرات بحجم اقل بينما تطالعنا الواردات من جهة اخرى بتعداد اكثر من حيث النوعية ويشمل معظمها على الكماليات .

قائمـــة الواردات والصادرات الوهرانية .

الصادرات :	الواردات :
الصوف - الجلود - فواكه مجففه . زيـــوت زرابي صابون - شمع - قمح غنم - وحتى الدقيق ولكن جد متأخرة .	الكتان - نسيج - ادوات التجارة الخضر التوابل خردوات خيوط عطـــور مواد اسعافية - ادوات زجاجيـــة ، مصوغات - جواهر - حجارة كريمة مرجان حطب (ذلك ان جبل وهران ابان الفترة الاولى من الاحتلال لم يكن مشـــرا ، بالاضافة الـــى تزويد وهران بالحطب من طرف قبيلـــة حميان المتمركزة بكانستال

(١) Marmol Carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecen -
(Descrip. de Africa, Folios 196-197, Real Academia de la Historia)

من خلال القائمة المعروضة تدرك ما مدى محتويات الصادرات من مواد غذائية ومنتوجات الصناعة التقليدية لكبر حجم الكماليات على نطاق واسع في المجال الاستيرادي وهذا مما ساعد على نمو ثراء الخزينة الزيانية ، ارتكازا على العائدات الخاصة بها . وفي هذا المجال يذكر بواصوناد ان " العائدات الناتجة عن الواردات تتراوح ما بين ٥ ٪ وحتى ٨٪ وحسب ١٠٪ في القرنين ١٢ و ١٣ م . وما بين ١٠٪ الى ١٦ ٪ في القرنين ١٤ و ١٥ م .

اما بالنسبة للصادرات فاستقرت نسبتها واصبحت تحوم حول ٥٪ لا غير" (١) .

وهذه الارباح الصرفة فرضت نفسها على المستوى الاقتصادي وجعلت الخزينة الزيانية تحتفظ برصيد هائل ، بغض النظر عن ميزان المدفوعات الذي يتعلق باسعار العمال المترجمين والرسوم حقوق الوزن والقياس واجنحة التخزين واحتفاظ البضائع .

ويمكن القول ان ازدهار التجارة الذي كان سببا في اثراء الخزينة تعود نتائجه بالدرجة الاولى الى ضخامة حجم الواردات .

العلاقات التجارية ابان الاحتلال

شتان ما بين العهدين من فوارق بينة من حيث الازدهار التجاري وركوده جعل وهران وميناءها ابان عهد الاحتلال خليجا راكدا تمخرعبابه في الغدو والرواح سوى المواكب الحربية . واذا ما وجدت مثيلاتها في النطاق التجاري سواء مع وهران او حنين او مستغانم فهي نادرة جدا وهذا نتيجة عوامل عديدة تمثلت في العطيات الخطيرة .

---

(١) بواصوناد ، من مرجع ليسباس - ص ٥٥ .

القرصنة المحاصرة المتتالية والحروب بالاضافة الى الزراعات السياسية .

مجمل هذه الاسباب ادى الى تدهور العلاقات التجارية الخارجية فتورها واصبحت وهران ماثلة للعيان وكانها ثكنة عسكرية يسرن فيها دوما جرس الخطر. ويظهر هذا بوضوح في احتجاج مدينة البندقية للامبراطور شارل كان وقع بسنوات قلائل بعد الاحتلال يذكر" ان التجارة التي كانت تعامل بها شعوب البحر الابيض المتوسط مع مملكته تلمسان عن طريق سيناء وهران قد توقفت نهائيا ."(١) وهذا مما ضاعف في تزايد المشاكل بالنسبة للوجود الاسباني واقامته . كما يبدو في المضايقات التموينية التي عانى منها طويلا ، ذلك ما أكده المؤرخ (كال) في حديثه عن وهران ووصفها (بالقاعدة العسكرية دون تجارة ما تذكره". (٢)

اما هونطانا (٣) ، قد تناول مشكل التجارة ذاكرا ان وهران ليست لها مواد تقوم بتسويقها ماعدا وجود تجارة متاثرة (ويعني بذلك تاثر التجارة الداخلية اي الصادرات بالنسبة للتجارة الخارجية في نطاق الوردات) ، من طرف التجار الذين يقدمون المواد الضرورية .

لا نستطيع التعرف بصفة جدية على القيمة والكمية التجارة الوهرانية اثناء الهيمنة الاسبانية الاولى وانما بالامكان الحصول على بعض المعلومات العامة التي تترك اثرا غير ايجابي خاصة كلما تقدمنا من ق ١٦ م حتى ١٨ م-

---

١) المجلة الافريقية لسنة ١٩٢٨ - ص ٣١٠ للمؤرخ (كارتاني)

٢) كاميكال في كتابه وهران وضواحيها ص = ٤١ .

٣) الوضعية القديمة لسبطحتي وهران والمرسى الكبير) الهونطانيا عن نشرة المؤسسة الجغرافية لسنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ - ص ١١٧ .

فهناك المواد التي ظلت تصدر في السنوات الاولى كالقمح والشمع والفواكه وتستورد بدلا منها مواد ضرورية اخرى تتمثل في مواد البناء الالبسة والحطب (١) . وكل ما يمكن استخلاصه من هذه المعلومات هو ان الكماليات التي كانت تستورد قبل الاحتلال قد اختفت ولم يعد الاعتماد الاعلى جلب الضروريات منها فقط ذلك ان الجو خلا منه الرفاه واصبح الافق مليئا بعدم الاستقرار مما اضطر الحطة الى السعي بكل طاقاتها المراقبة المكوث داخل اسوار المدينة قصد الحماية .

لكن هذا الادعاء يتنافى مع الامر الواقع بالنسبة الجو السياسي والاجتماعي لافراد الحطة حقيقة ان القبائل المجاورة للبطحاء كانت تتاجر مع البعثة وكذا مملكة تلمسان ، الا ان هذا لا يكفي ، فما هو السبب الكن في مراسلة المملكة الاسبانية والتشكي من سوء الحالة الاقتصادية والامثلة على ذلك الكثير : محصول السنة كان رديئا وو هران ينقصها القمح - بحزفي نفس الدفاع عن البطنين من الجوع اكثر من مجابهتي العدو - ان العرب لا يحطون الموونة الى وهران اذ تموت جوعا وفي رسالة المقتصد وهران لبريجا جلالة الامبراطورة بتاريخ ١٥٣١/٢/٢٢ جاء فيها ما يلي (المدينة محتاجة الى الخبز فاحتياطي القمح والشعير قد نفذ ، اذ لم يبق لدينا سوى ٢٠ فاناق من القمح .) (٢)

وازاء هذا الموقف يمكن لنا ان نسلم بوجود تجارة تصديرية عبر وهران في السنوات الاولى حتى عهد الكونت الكوداث حيث ينقلب الوضع وتقتصر العمليات على استيراد ما تحتاج اليه الحامية من اسبانيا فقط .

---

(١) ذلك ان جبل مرجاجو في هذه المرحلة يقال انه لم يكن مشجرا .

(٢) G. Didier, - Histoire d'Oran - p. 98

وبالرغم من وجود علاقات تجارية في المرحلة الاولى فمقدارها جد ضئيل اذا قيست بمقادير عهد ما قبل الاحتلال وذلك لعوامل كثيرة سنتناول كلا منهما على حدة بالدراسة والتحليل كالنزاعات الحامية بين الاجهزة الادارية للقيادة الاسبان من جهة وبين النظام السياسي لمملكة تلمسان من جهة اخرى وعامل القرصنة بالاضافة الى احداث الحروب والحصار الدائم .

الاسواق التجارية الجهوية :

قد يبدو من الاهمية بمكان ان معظم المراكز التجارية ،كان يغلب عليها الطابع المحلي المحدود . اذ كانت قد انشئت خصيصا لتلبية حاجيات المناطق القروية ، حسب اولويات المراقبة الفلاحية التي كانت مقصورة على تجار المدن ، مما عرقل نموازدهار للسوق الداخلية ولم تحض هذه الاسواق الداخلية بانتعاش اكثر، ونمو على الوجه الاكمل ، نظرا لتفرغ واهتمام المراكز التجارية بتموين المناطق القروية المتباينة المساحة ، بالاضافة الى احتكار اصحاب المدن في توجيههم لمختلف الانماط المعطيات الفلاحية

انتشرت الاسواق الداخلية في العديد من الجهات ، واستطاع الرحالة من ذكر نوعيتها ومعاينة ما كانت تحتويه من سلع مختلفة ، وعن ذلك يتحدث مارمول قائلا :" كان بمعسكر سوق اسبوعي يوم الاثنين ، حيث يبيع العرب والبربر حيوانا تهم وحبوبهم والعسل والزيت والشمع والزيت وغيرها من المنتوجات المتشابهة ." (٢) كما كان بتلمسان سوق اخر يزخر المنتوجات المحلية كالزيت والزيتون والفواكه ، وكذالك لمصنوعات النسيجية كالقماش والبسط والزرابي والحبال والسرج

---

١) وقع هذا التنظيم البابوي عام ١٤٥٨ بموجبة رسم طريق محدد تسلكه المراكب المتجمعة والمجرة الى تونس ذهابا واثناء الرجوع ترسو بوهران لمدة ١٦ يام فقط تسلكه .

٢) Marmol carvajal, - Oran, Ciudad de la provincia de Tremecen -

النـــزاع الا داري للـقادة الا سبان :

سبق ان ا شرنا في موضوع التعيين الى الصراع الحاد الذى قا م بين المقتصد والحا كم العا م للبطحا ء ، كان ا ثـــره وا ضحا بالنسبة للسيدا ن التجارى . وضمن رسالة مـــو رخـــة في ١٥٢٠م ، موجهة للملكة الاسبا نية من طرف المـقتصد يشكو فيها سو ء تصرف المركيز كو ما راسن وتلا عبه بموال الخزينـــة ((فاللا ئق بجلا لتك الا حتفاظ بحكو مـــــة وتسيير هذه البطحا ء ، واذا كان لوهران الا متيا ز الكبير لكا مل التجارة حيث هو الى اسبا نيا تتعا مل مع المغـــرب يمكن الحصول منها على مبالغ ها مة" (١) .

فا ين ا ذن هو عنصر الا هما لي ؟ للرد عن هذا الســؤا ل تضطر للرجوع بدا ية الا حتلا ل حيث حصل اليهود كجز ء لمسا عدتهم للا سبان في ا قتحام ا بواب وهران على الاسبقية في ا ستغلا ص الضرا ئب وجمعها من القبا ئل وا ستخدا مهم كمترجمين ووسطا ء وحصولهم على محلات تجارية .

لكن هذه الظا هرة الا يجا بية بالنسبة لهم لم تدم طويلا فسرعان ما ا نقلبت الا وضا ع ، وا صدرت الا وا مر لطردهم من وهران ، وبهذا الشأن نجد المقتصد يرثي لحالهم ويسجل ا نسطبا عاته ا تجا هم في رسالة طويلة كا ن قد بعث بها الى السلطة الملكية يشكو فيها سو ء تصرف المـركيـــر زكو ما راسن نقتطف منها ما يلي : " ان هؤلا ء النا س في غا يـــة الخبرة واللباقة لتجارة وهران وانه لخطئ يرتكب بطردهم () ٢)

---

(١) المجلة الا فريقية سنة ١٨٧٥ م ص ٢٧٥ .

(٢) " " " " " "

من خلال هذه التعريجات ، يبدو ما لليهود من تغلغل في رفع عجلة التجارة الوهرانية أو العمل على توقيفها ، بالاضافة الى تدخلهم في المشاكل السياسية ، نتيجة معرفتهم باللغة العربية التي يتعاملون بها كوسطاء بين الاهالي والاسبان ، اذ يعتبر طردهم(١) هذا قضاء على التجارة ان كانت هناك تجارة رائجة بالفعل .

ومن خلال المراسلات العديدة من طرف حكام المراكز الساحلية الافريقية المحتلة من قبل الاسبان فان السبب في عرقلة ازدهار التجارة راجع أساسا الى عملية القرصنة والحصار البحري المضروب على هذه المراكز ، وتمثل ذلك بجلاء في شكاوى حكام جهة ووهران ، اذ يذكرون ان مجمل السكان " يتحدثون عن مدى الخسائر والمخاطر التي يحدثها القراصنة الاتراك والعرب بالزراعة ، وتجارة اسبانيا ، فضرورة الدفاع عن شواطئنا هي " ملح لا لا صفر منه ." (٢) .

---

(١) (A Voto del S. Don Pedro de Aragón Sobre la Expulsión de los Judios de Oran, (Manus N°10, Real Academia)

(٢) (2 M.D. Ortiz, - Historia de los Moriscos - p 204

شاهدت الحركة التجارية نوعا من الاضطراب والتردد نتيجة للقرصنة كما اوردنا من ذي قبل ، اذ كانت بحاجة ماسّة الى الامن والاستقرار الذين يشكلان عاملا مهما في مجال الرواج والمبادلات ، (١) واذا كانت تجارة وهران قد اصابها الكساد ، فان الجمارك بميناء الجزائر تعاظمت ثروات خزانتهم فكان مدخول العاصمة يفوق بكثير ما توفر من بقايا للدولة .

من الصعب جدا التعرف على نوعية ومستوى الاشعاع الاقتصادي بميناء وهران ، نظرا للحصار البحري المضروب على المدينة ، والحروب المتتالية مع القبائل ، وتغيير الحكام في اغلب الاحيان ، فمجمل هذه العوامل كان سببا في عدم توفير لحظات استقرار وامن وسكينة ، فلا حياة اووجود لوهران في المجال الاقتصادي الا ان من خلال مملكة تلمسان ، فهي تكون معبرا وجسرا لمنتجات تلمسان خاصة من حيث استيراد الكماليات اليها .

---

(١) Rene lespes, - Oran, Etude de Geographie et d'Histoire urbaines p 19

النزاع السياسي بمملكة تلمسان حول السلطة :

العائق الاخر الذى شل حركة استمرارية التجارة لتلمسان تمثل في النزاع الداخلى تارة على السلطة واخرى بينهم وبين الاتراك . مسيرة الاحداث التالية المفعمة بالاوضاع السياسية المتقلبة لخير مفسر وشارح لذلك .

ففي ١٥١٧م ، يحاول ابو حمو ازاحة زين الدين ملك تلمسان عن العرش بموازرة من الاسبان ، ثم محاصرة عروج للمملكة حيث يتم له اقتحامها ،فينصب ابا زيان .

فكر الماركيز كوماراس عندما لجأ ابو حمو الى وهران بتأييد هذا الاخير شريطة تحالفه مع الاسبان ، ودفعه ما يترتب عن الحملة من مصاريف فيصحبه معه لتلمسان بعتد تنصيبه ، وهذا في فترة كان عروج قد انطلق منها

لفتح المغرب الاوسط حيث اصبح الخطر ماثلا امام ابواب تلمسان نتيجة لهذا سارع كوماراس لنجدة ابو حمو تاكدا منه ان الاحتلال تلمسان من طرف الاتراك هو بالنسبة اليه بمثابة محاصرة وهران الى الابد .

وابانّ هذه الفترة تنشط التجارة في مملكة تلمسان بعدما استولى عليها الماركيز كوماراس في ١٥١٨م ، وتخصص جزءا من صادراتها ، كما تستقبل للبعض من الواردات عن طريق ميناء هنين الذى تقصده السفن الكاتالانية وتجار مدينة البندقية حيث يصف هذه المدينة ماروول ((..... بكثرة منازلها التي يملوءها التجار والصناع التلمسديون " . (١)

إلاّ ان هذا الاتصال والارساء بالميناء ليس مستمرا وانما يحدث من حين لاخر بصفة محدودة على الاتخذ الميناء كسوق داخلي قابل للتعامل التجاري بل يعتمد عليه كنقطة ارتكاز عبور صوب تلمسان (... ففي كل سنة تنزل به سفن تجار البندقية للتوجه الى تلمسان) (٢) حاملة اليها بعض المواد من الكماليات كالاواني الزجاجية والحجارة الكريمة والجواهر والقطن والتوابل آخذة منها الصوف والجلود والزرابي والشمع والزيتون .

لكن تجارة هذه المدينة ليست بذات أهمية قصوى نظرا لتأرجحها ما بين الاستيلاء والانسحاب من طرف ملك تلمسان والاسلان ثم الاتراك ، واتخاذ وهران كمستودع ومخزن اساسي تفرغ فيه كل بضائع ومنتوجات مملكة تلمسان ، حيث حظي بالمكانة الاولى لديها .

---

١) ويستطرد قائلا : " هي جداً آهلة بالسكان الذين يتابعون صناعة النسيج يبيعون عليها ملك تلمسان بضائعه محافظة منه على التجارة " .

٢) Marmol Carrajal, - Dran, Ciudad de la provincia de Tremecen (R.A Madrid)

كان للصراع السياسي حول السلطة بين أمراء تلمسان أثره الفعال في الحد من استمرارية التجارة والنقل صوب وهران بغية تداول مطيات التصدير والاستيراد بصفة منتظمة باتجاه أوربا .

ففي الشهر الأول من سنة ١٥٣٥ م نشبت الحرب بين الملك عبد الله وابنه الأمير محمد سارع أثناءها مقتصد وهران بمراسلة أسبانيا طالبا منها تحديد موقفها من هذا الأمر . كما يأمل إرشاده الى الطرق التي يمكن له سلوكها مع هذا الأمير الثائر وجماعته الملتفة حوله ((... وفي شهر أوت من نفس السنة ، شاهدت تلمسان فترات من الفوضى المطلقة ،فالقتال مستمر بين الملك وابنه . وفي سبتمبر يسعى مقتصد وهران للتفاوض مع الملك عبد الله بينما يواصل اتصالاته مع الأمير محمد ، وهو ينبهه بنجدته وتقديم المساعدة الاسبانية له)) (١) .

بالرغم من احتفاظ الملك عبد الله بمملكته نتيجة التآزر الاسباني نجده يوقف عمليات التصدير نحو وهران ، ويعمل على تجميد الحركة التجارية اذ ((... احيانا تمنع مملكة تلمسان عن تموين المدينة)) . (٢) ثم لا يلبث ان يبعث بها من جديد ويكرس كل التجارة لصالح وهران وذلك في سنة ١٥٣٥م ((حيث يصدر او امر بمرور مجمل تجارة المملكة عبر ميناء وهران)) .

كيف يمكن اذن في مثل هذا الجو المضطرب المشحون

---

١) رسالة حاكم هنين للملكة الاسبانية بتاريخ ١٣/٣/١٥٣٤ عن المجلة الافريقية من سنة ١٨٧٥ م ص ٢٧٢ .

٢) بروسال ص ١٩٥ (٣) للتعرف على سوت الكونت والاستزادة من المعلومات راجع ((الشعر الجماني)) ص ٢٩ تجد به مقطوعات من قصائد الشعر الملحون في غاية الشرح والتعليق ...

بالصراعات السياسية المفعم بالانقلابات الملكية مساهمة تلمسان في اثراء التجارة الوهرانية واتخاذها كمعبر وجسر للمبادلات التجارية ، وكيف يمكن تحقيق ازهار التجارى السابق عبر طريق غيرا مهدد بالمخاطر وهجمات القبائل المعادية لتلمسان وكذا السلطة التركية . يضاف الى هذا وانه بعد موت الكونت الكودات ١٥٥٨ م بمستغانم (٢) . لم تعد وهران تستقبل بضائع تلمسان قصد التصدير بل اصبحت مغلقة على نفسها داخل أسوار المطحاء دون تجارية استرادية تذكر. وحتى بالنسبة للتدهور التجارى بلا حظ منذ بداية الاحتلال حتى موت الكودات وما بعده تعثر قوى للاسبان وتشتتت طاقاتهم في العديد من المراكز الساحلية نتيجة للكثير من الحوادث . (٤) .

---

(٢) للتعرف على موت الكونت والاستزادة من المعلومات راجع ((الثغر الجماني)) ص ٢٩ تجد به مقطوعات من قصائد الشعر الملحون في غاية الشرح والتعليق . . .

٣) للتعرف على هذه الحوادث راجع الصفحة التالية من الملحق

٥) يذكر (ليماس) في مرجعه عن وهران ص ٦٣ ان وهران (اصبحت سنة ١٥٥٨ - ١٧٠٨م بطحاء محصنة وحامية لم تقم طوال هذه المدة بأية حركة)

كانت مكانة تلمسان التجارية ، تمثل قاعدة ثرية استقطبت كافة تجار البربر لقدمها وكبرها ، بالنسبة لبلدان المغرب الأوسط ، اضافة الى موقعها الزراعي والاقتصادي ، فهي ملتقى التجارة الأوروا فريقية عن طريق سبتة هنين ، ومركز المبادلات ما بينها وبين السودان بعد خط الطريق وتأهبها لمرور القوافل العابره من سجلماسه الى ولاته ، حيث بلغ مجمل سكانها في القرن الثالث عشر ميلادي اكثر من مائة الف نسمة ، فلم يلبث هذا الخط التجاري المؤدي السودان ، سجلماسه - المغرب مصر مدة طويلة ان احدث غيره عبر الشريط الساحلي الى غاية وادي النيل فالقاهرة .

وعن وضعيتها الحضارية الناجمة عن الازدهار الاقتصادي وثراء التجارة يتحدث مارمول مبهما ، " ففي تلمسان حضارة مندرسة تنتمي الى الماضي والى التمدن الذي عرفته هذه الجهة ... كانت بها الطرق والانهج على احسن تقويم ، وكانت دكاكين الصناع والتجار مرتبة مثلما كانت عليه في فاس ، لكن المنازل لم تكن انيقة وكانت بها مساجد عديدة ... ولها مدارس .. " (١)

---

(١) كانت هنين في القرنين الرابع والخامس عشره " مدينة بحرية صغيرة ، لها عدة اهتمامات في هذه الحقبة ، اذا استخدمت احيانا وكر للقراصنة الاسبان الذين يقصدونها بغتة لنهبهم ونفاذ صبرهم بالاضافة الى العديد من السباحين .

الحصار الدائم :

هناك عامل آخر اذا ما راجعنا وجود الحامية الاسبانية داخل أسوار وهران المغلقة (١) خاصة من عرقلة الحركة التجارية والذى يتمثل في الحصار الدائم المضروب على المدينة من طرف القبائل تارة ، والاتراك تارة أخرى ، " فالحصار يضيق الخناق عليها اذ نجم عنه عدم الثبات والاستقرار في العلاقات مع الداخل مما زاد من تدهور تجارة وهران بحيث الذين تقدموا بذلوا مدة اعمالا لهم ارادة متواصلة لتنمية التجارة " . (٢) .

لكن يبدو من خلال هذه الارادة انها لم تكن متواصلة المدة نتيجة لعمليات الحصار المتتالية في عهد كل من الماركيز والماركيز كروز بالمرسى الكبير وفي عهد الحاكم عثمان وولي اسماعيل : والا كيف نفسر هذا التعارض الكامن في تصريحات فالمبو بينه وبين القادة البطحاء والتي جاء فيها " نحن الاسبان نفعت دائما

---

(١) يذكر (لحباس) في مرجعه عن وهران ص ٦٣ ان وهران " اصبحت حتى ١٥٥٨ - ١٧٠٨ م بطحاء محصنة وحامية لم تقم طوال هذه المدة الا بصد حملات فقط .

(٢) لحباس ص ٨١

بالا هتمال المطلق عند ما يتعلق الا مر بتنصيب تجارتنا ، فالنصبة لوهران لم يقوموا (اي الا سبان) بباية بادرة تهدف الى تشجيع العلاقات بين التجار والقبائل (١)

هذا التناقض يودى بنا لا محالة الى استخلاص نتيجة فحواها وان الا هالي والقبائل لم يساهموا في النشاط التجارى لوهران تحت الهيئة الا سبانية اللهم ما عدى وجود بعض العلاقات التموينية المحدودة .

أما السبب النهائى الذى حال دون ازدهار التجارة الوهرانية كذلك هو عامل القرصنة الذى فرض هيمنته على المواطن ° وقد سبق أن أشرنا إليه وكان حدا فاصلا بين علاقات التجارة الداخلية والخارجية .

---

(١) ارجع الى فصل التموين ومسالة الرواتب .

ej Diego Suárez, El ultimo Maestre de Montesa (Mmus 15-1-4)
Real Academia de la Historia - Madrid.

مصادر الباب الثاني

المصادر الخاصة :

العازري بن عوده : ـ طلوع سعد السعود . في اخبار وهران ومخزنها الاسود ـ مخ

المشرفي عبد القادر الجزائري : ـ بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب لبني عامر ـ مكتبة بلدية وهران رقم 429 .

ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (ت 1911 م) ـ صورة الارض ـ ليدن 1438 م

الادريسي : ابو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت 1154 م)

ـ المغرب وارض السودان ومصر والاندلس عن نزهة المشتاق في اختراق الافاق ـ نشره دوزي ودي خويه ، ليدن 1866 م .

الراشدي : احمد بن محمد بن علي بن سحنون ـ الثغر الحمائي في ابتسام الثغر الوهراني تحقيق المهدي البوعبدلي مطبعة البعث قسنطينة .

احمد توفيق المدني : ـ حرب الثلاثمائة سنه بين الجزائر واسبانيا في 1492 م الى 1792 م ـ ط ثانيه ، الجزائر 1976 م .

المراجع العامة :

عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ـ تاريخ الجزائر العام ـ دار الثقافه بيروت 1962 م .

مبارك بن محمد الميلي : ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ بيروت مطبعة بدران 1964 م.

1) Ouvrages spécialisés.

- Basilio Aramburu (Dou José). - Situacion de.

- Burges (l'abbé) . - Histoire de Bene Zéyan rois de Tlemcen-Paris 1852.

- Carvajal (Marnol) - Cindad del norte de Africa Real Académia de la Historia - Madrid.

- Didier (G) - Histoire d'Oran - Petit L . - Oran, 1932.

- Fey (Henri - Léon) . - Histoire d'Oran, Avant, pendant et aprés la domination Espagnole. Perrier, 1958.

-Guado Bleye (Pedro A.).- Manual de la Historia.

- Haedo Topgrafia de Espana. - Madrid 1940.

-Lespes (Revue) .- Oran, Etude in Géographie et d'Histoire Urbaines. Alcan, Paris, 1930.

-Nelly (Blum).- La croisade de Xemenes en Afrique.

-Ortiz (A.) .- Histoire de LOs Moris Cos.

-Suarez (Diego). - El Utimo Mostre de montesa; Real Académia, Madrid, manus 15.5.4.

Tabalasos (Le Marquis).-Historia de Oran Real Academia de Historia Madrid Real Académia Manus 23.296.

2) Ouvrages Généraux.

- Arzeuw sous l'occupation Espagnoles et la domination Turque
in Bulletin de Géographie 1951.

- Braudel -Les Espagnoles en Afrique du Nord
in Revue Africaine 1928.

- Cazenave (J) -Pedro Navasso
in Bul 1929.

- Fort (Le) de Santa Cruz
in Bulletin de Géographie 1933.

- Guerre et conquête de Tlemcen 1891-1894 .RA.

- Mers El Kebir, Historique et déscription de la Forteresse
in . Revue Africaine 1942.

- Mespher . - L'Algérie, les Espagnoles à Oran
in Bulletin de Géographie 1896.

- Nelly (Blum) .- La croisade en Algérie Oran, Fouque 1898.

- Pellecat - Mémoire de Arnaldo Hautolat,
in Bulletin de Géographie, 1926.

- Vallejo (Joseph). - Mémoire du Gouvernement .-RA. 1928

Papeles sobre el paso de los moriscos de Espana a Africa: Estado y Jurisdiccion de aquellas plaza. 1603 - 1608.

Advertimientos de Fr. Isidro de Valcaçar sobre cosas de Berberia. Avisos de Berneria .1608.

Apuntes R de UREA sobre cosas de larache. II-4-4-7.

Jornada de Larache por Antonie de Toledo (Falipe III).
Toma de la Mamera . 1614.

Instruccion a D. Juan de Austria sobre cosas de Argel 1573. II-4-4-7.
VELAZQUEZ (Colec.).

N° 83-84-85 Memoris sobre Berberia.
N° 89 Decripcion del reino de Tunez por Francisco- [illegible]
XIMENEZ.

VARIOS :

- Traduccion de Papel Arâbigo de un eautivo desertor de Tremecen que Vino a Oran.

- Tradiccion de Varias insoripciones Arâbigo de Oran S-XVIII.

- Instruccion del Marquez D. Martin de Cordoba al Conda de Alcauste paragobernar Oran Marcelcevir , Tremecen y tônes.
carta original de Muly Xeque a Filipe IIX Sobre su amistado 1606.

فى غمرة التطور الحضارى لمدينة اسلامية راقية ، اتسمت بطابع التقدم العلمي والفني والزراعي على اكثر من صعيد ، مكتسحة بذلك حتى اصقاع شبه الجزيرة الايبيرية ، بدا الضعف والوهن يتسربان الى الدولة الاندلسية ، من خلال الفتن والحروب الداخلية الطويلة الامد ، متخذة في ذلك شتى الاساليب ، من دسائس وانتقام فيما بينها ، تارة عن طريق الاصطدامات العسكرية ، واخرى بمساندة الاعداء وموازرتهم ضد الاخوة وأبناء العمومة .

بينما كان الجميع فى غفلة من امرهم ، منهمكين فى المسائل الهامشية الضيقة ، في تلك الفترة ، تناسووا بروز الدول المسيحية فى اقصى الشمال وتلاحمها وانتصارها فى بوتقة المسيحية ،

هذه الحقبة التي عرفت مزيدا من التطاحن والصراع من أجل العرش والسلطة ، دفعت الامراء الى الانطوائية داخل مقاطعتهم ، والانفراد بأقاليمهم ، والمطالبة بل وتحقيق استقلاليتهم ، الامر الذى مهد الطريق أمام الاسبان للهيمنة الشاملة ، على ما تبقى من الممالك الضيقة والعديمة الرؤيا الا وهى - غرناطة عام - ١٤٩٢م فسقوطها " يعتبر نقطة تحول في تاريخ الاسلام ، كما هو الحال بالنسبة للعالم المسيحي ابان سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م - " ويمكن الاستنتاج مما سبق أن السبب الذى يغلب على الظن ، انما يعود الى نظام الحكم الذى كان قائما ، ولا الى طباع العرب انفسهم ، اعنى نزاع الامراء وحكام الاقاليم ، ولم يكن اصلا نزاع شعب .

بعد سقوط غرناطة 1492م لجأت وفود عارمة الى الجزائر . منها من وطأت أقدامهم أرض الشواطئ الوهرانية قرب المقطع بخليج آرزيو ، حيث يذكر المؤرخون الاجانب أن القبائل كانت تقوم بعمليات وحشية ضد المسلمين النازحين فتفقر بطونهم ظانة أنها تختزن ذهبا . وهذا بالاضافة الى تجريدهم من كل ما يملكون ، هذا الادعاء فيه مبالغة وتزييف للحقائق والغلو فيها . فسوء المعاملة للقادمين يمكن تخيله أو حتى قبوله نظرا لما كان يتمتع به الأندلسيون من رفاهية ورغد في العيش . الا أنه يستبعد العمل الشنيع الانف الذكر أو صدوره من قبائل متحضرة وعلى علم بأخوتهم لهم في الدين واللغة والتاريخ .

كانت الاوضاع السياسية في أسبانيا قبل الهيمنة على الشواطئ الافريقية متفاقمة ، الخطورة . ناجمة عن الحروب الطويلة التي استنزفت قواها المادية الدائرة رحاها بينها وبين البرتغال على المسرح الايبيري ، وتلبية لنداء ايزابيل Isabelle الشديدة التعصب المسيحي بادر البابا الكسندر السادس بعقد اجتماع الصلح الشهير المعروف ب ترود يزيلاس Trodosillas 1492م والذي كان بموجبه تحديد المناطق النفوذ وتخصيص شواطئ المحيط الاطلسي للبرتغال بينما ترك شواطئ الحوض الغربي من المتوسط للاسبان ، ولم يلبث أن دعم بقرار ثان في 1518م بعد احتلال اسبانيا للمرسى الكبير ووهران . طلب فيه البابا من ملوك أوربا عقد معاهدة لمدة 5 سنوات كي يتفرغ أثناءها الاسبان لمتمة بسط النفوذ والاحتلال وسن ضريبة تجمع وتقدم للاسبان في حربهم المقدسة ضد المسلمين .

نتيجة لما كانت تعاني منه اسبانيا بعد مغادرة مسلمي الاندلس ، من فاقة واحتياج كما رأينا ذلك سلفا ، والذي مهد السبيل بل كان الوازع الاساسي ، في دفع الاسبان للتحرك خارج اسبانيا ، جاء التفكير بعد التوسع داخل اوروبا

كانت السياسة الخارجية الاسبانية ، تتسم بطابع التردد بين تدعيم التوسع في اوروبا ، او مواصلة تالحروب خارج قارتها خاصة بالشمال الافريقي ، غير ان رجحان الكفة بالنسبة لفقاردينانـد كان لصالح اوروبا ، سالكا نهجه فيما بعد شارل الخامس، وريث عرش الهابسبورغ في النمسا وزعيم الامبراطورية الرومانية المقدسة ، الذى قضى جل حياته في حرب ضد فرنسا .

وتبعا لاتفاقية طردوديزلاس - التي حددت مناطق النفوذ مابين الاسبان والبرتغال ،بدان عملية تقسيم العالم الجديد في الظهور سنة ١٤٩٤ مرورا بالعديد من المراحل المتتالية الى القارة الامريكية ،حيث لم تتخذ طابعها الرسمي الا في ٣ اوت من عام ١٤٩٢م عند اكتشافها من قبل الرحالة الجنوى - كريستوف كولومبس.

وخلاصة القول ان التوسع الاسباني بامريكا كان يهدف بالدرجة الاولى الى استنزاف خيرات البلاد لسد ثغرات الاحتياج الزراعي والصناعي بعد فقدان اليد العاملة المؤهلة ،والتي لم يكن في استطاعتهم تعويضها من طرف الاسبان انفسهم على الاطلاق ،اضافة الى محاولة التحكم في مصادر التجارة الدولية خاصة ابتداء من الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط لغاية المحيط الاطلسي غربا ،والعمل على التخفيف من حدة الطاقة الديمغرافية العاطلة والهائلة بايجاد اراضي لها في المستعمرات الجديدة. أو ارسالها الى سواحل الشمال الافريقي كعنصر محترف في اطار الخدمة العسكرية . ناهيك عن الحوافز الروحية في ممارسة التبشير المسيحي لتصيرها الى المستعمرات .

كانت القرصنة . قبل اتحاد البحر كتهكـــة رئيسية لتداول عمليات التصدير والاستيراد في مجال التجارة الخرجية . تشكل مكسبا هاما للحصول على المزيـــد

الغنائم . لا من قبل التجار الاندلسيين فحسب . بل وحتى العثمانيين على السواء وقد لول القرصنة يختلف باختلاف مفاهيم . وتيارات الدول السياسية هي نوع من الحروب البحرية . مابين الدول المتعادية[1] متخذة احـــــدى سمات الحركة التجارية اثناء الحروب . ومعتمدة في ذلك على التفوق في مجـــال العتاد الحربي مقننة بنظم وتقاليد . وشتان مابينها وبين حركة السلب والنهب PERCETERIE من فوارق .

فمحاصرة السواحل الاسبانية وغالبية سواحل اوربـــــا من طرف الاسطول التركـــي على المراكب الاجنبية المحملة بالمـــــواد لم يكن في اطار السرقة كما يزعم البعض وحسب مفهومهم لمدلول كلمـــــة القرصنة - بل كان بدافع الحماية وحبا في الغني واثراء المدينة . ازاء هـــذا الموقف صمم الاسبان على الاحتلال المواني الافريقية او أي فاسيح صالـــح للرسو . كحة نهائي للقضاء على المطاردة والقرصنـــــة.

ان نتيجة التشييد فحواها أن ملوك مغراوة كانت لهم حلبة السباق فى التشييد وقد أضاف اليها كل من عبدون وابن عون بعض الكماليات البحرية . لاتخاذهم لها كهمزة وصل بين الاندلس والداخل الافريقى فى حقبة آفل فيها نجم العرب بقرطبة . وتكاثرت فيها عملية القرصنة على نطاق واسع من الحوض الغربى من المتوسط . لأن اقامتهما الاولى لم تتجاوز 7 سنين

الا أن وهران بفتح الواو لا بكسرها كما جاء فى لهجات الكثير من أهالى سوس (فينيقيو المغرب ومن احتك بهم من المهاجرين الجزائريين أثناء الحرب الاخيرة . ولم تحتفظ بشكلها الاجنبى اللاتينى المتداول حاليا ألا وهو أوران Oran كمرحلة الشمول الى فى نهاية ق 16 م وهذا بعد أن لاحت التسمية فى آفاق الكتاب الأجانب متبلورة ولأول مرة فى عام 1384م .

فموقع وهران بالنسبة لشبكة الطرق الطبيعية البرية فى مختلف الاتجاهات ساهم فى تذليل الأبعاد حيث ترتسم المعالم التبوغرافية للسهول الوهرانية مبرزة الطرق البرية لوجدة تلمسان . سيدى بلعباس ـ معسكر . أما من الجهة الجنوبية فهناك طريق طبيعى من الـ الصحراء فى امتداد نحو النيجر . يمكن اعتبارها أيضا معبرا بحريا لترويج بضائع مملكة تلمسان ومحورا لعملية التصدير نحو الخارج والاستيراد . ثم منطلقا للرحلات والمواصلات

لم تكن وهران قبل الاحتلال سوى مدينة صغيرة لا يفوق تعداد سكانها 15000 نسمة تمتاز ببعض الخاصيات بالنسبة لوضعيتها البحرية ، وساحتها القوية المحكمة التحصين وخاصة فى فترة لم يكن فيها السلاح النارى بارزا الى حيز الوجود ، فالمشمل الذى حملته يتجلى فى كونها جمهورية تجارية يشع نورها على المعبر البحرى بغية الاستيراد والتصدير .

أما المدينة كمركز عمرانى فتتراوح مساحتها مابين 10 و 14 هكتار ذات بساتين ، وأشجار وبروج مشيدة وحمامات وشوارع ومجارى مائية متوفرة منطلقة من وادى ابن الخير الذى أطلق عليه فى عهد الاتراك اسم وادى الرحى ثم حول فى عهد الاسبان الى رأس العين متحررة فى العمران عن ، نفسها تدافع ولا تدافع .

أما منطقة المغرب فقد شاهدت صراعات حادة وفوضى عارمة فى الحكم والتسيير . تجلت فى ضعف الملوك الذين لم تكن لهم بحق السيادة المطلقة على كامل البلاد بل كان حكمهم يتركز على دانيهم ويتمذر على أقاسيهم . مما سمح للقبائل التى لم يصبح يهمها سوى مصلحة القبيلة أو العشيرة . بالنفور والتنمر والخروج عن الطاعة وعدم الرضوخ للاوامر وقد أرجع المقرى أسباب الانحطاط وضعف الملوك الى عدم وجود نظام استشارى كما تنص تعاليم الاسلام على مبدأ الشورى حيث انفردت قبيلتا سويد وبنى عامر حينئذ بالسيطرة على معظم سهول منطقة وهران .

شهدت بروز حكومات ثلاثة منفصلة للغرب في نفس الفترة الزمنية اولاها بفاس ، وثانيتها بمراكش ، والثالثة الاخيرة بسجلماسه ، اضافة الى الطرق الصوفية التي سلكت منهجا حياديا لا يمت بصلة التبعية السياسية الى الحكومات الثلاثة مطلقا ، فازعة الى الاستقلال ، بينما لوحظ استقلالية الموانئ في المغرب الاوسط في اطار حكومات الثلاثة مطلقا تكاد تشبه الى حد كبير في نسقها السياسي نظام موانئ الجمهوريات الايطالية البحرية ، اما في الجانب الشرقي فقد كانت الدولة الحفصية منشقة الى فئتين حاكمتين : احداهما في تونس ، والاخرى في بجاية .

ومن الملاحظة انه حدث مرارا انضمام تونس وفاس لبعضهما في حلف ضد تلمسان ، وكثيرا ما كان كل طرف يجد ضالته بحثا عن امير متحفز للقيام بالاطاحة بالعرش ليحل محل الملك المنصب سلفا ، فيجمع عند الانقلاب بالمساندة من طرف القبائل الناقمة على السلطة .

كانت كل من البرتغال واسبانيا ، تسعيان دوما ومنذ القدم ، عبر المسار التاريخي الطويل ، للبحث عن منافذ بحرية تكون كقواعد دائمة ، تؤمن لهما التحكم في مضمار التجارة الدولية ، وتحميهما من الزحف الاسلامي ، وتجعل حدا لعمليات القرصنة المتفاقمة وبشكل جسيم في الحوض الغربي ، وبالتالي تفتح لهما آفاقا جديدة للتعرف على مزايا وثروات العالم الجديد .

من الاهمية بمكان أن نتوقف عند هذه الفترة ، لنعود الى الوراء قليلا لمتابعة الجهد الاحتلالي على جل مدن المغرب ، ومراعاة الزحف الاسباني على كامل الشريط الساحلي ، في نطاق مخطط الغزو المحضر سلفا بعناية ، وهذا قبل احتلال المرسى الكبير ووهران بما يقرب من قرن .

عرضنا باختصار ما حفلت به السواحل المغربية ، وما حل بساحتها خلال القرون الاربعة التوالي ، من حصار وهجوم فاشلين ، الى احتلال صغير الرقعة قصير المدى ، فضلا عن عمليات الترصد والتجسس بالاراضي الوهرانية ، قصد التوطئة لحملة كبرى على كل من المرسى الكبير ووهران .

غير ان نصيب المهمة التجسسية ، لم يكن بالحد الكافي لبدء عملية الاحتلال ، وعلى اية نقطة يمكن اتخاذها قاعدة امامية ، ولحسم الموقف وقع اختيار ميناء هيبون كمرحلة اولى ، ثم ميناء ولهاصة ، ولكل سبب هذا الاختيار

وفي تلك الاثناء ، يبرز على الساحة السياسية تاجر ايطالي بصفة صفاقسي على علم تام بمحيط الساحل ، نظرا لتحركاته وتعاطيه للتجارة ، يدعى جيروم فيسينا بلو Geromino Vinello ناصحا لهم باختيار المرسى الكبير نظرا لاهمية الموقع ، والامتيازات التي يتمتع بها كبوابة رئيسية للدخول الى وهران مقدما للكاردينال خيمينيس خارطة طوبوغرافية عن اوضاع كل من المرسى الكبير ووهران .

لم تجد استشارة الكاردينال كزيمينيس Xinénes والملك المسيحي فاردوناند صداها العميق في قلب هذا الاخير . وذلك للغزو الاسباني على بلاد المغرب ، طالبا مهلة من الوقت للتفكير والتشاور . متذرعا بالعجز المالي الذي عاناه من جراء الحروب ، الايطالية الا أن كزيمينيس بادر بتقديم المساعدات وتحمله النفقات شريطة أن يكون ذلك

قرضا من الكنيسة وهذا بتشجيع من ايزابيل كما دعمه تصريح البابا ألكسندر السادس في 12 / 11 / 1494م وبعد موت ايزابيل يعطي زوجها فاردينوند الاشارة بالهجوم . فيتحرك الجيش من قاعدة ألميريا في 10/9/ 1505 م على متن 134 قطعة بحرية تحت قيادة دون دياجو فارنوندز Don Diego Fernendez. فيحطون الرحال بكاب فالكون Cap falcon ولا يلاسون شاطئ المرسى الكبير الا في الثاني عشر من نفس الشهر.

كان رد فعل فارنوندز ضد التحرشات والمناوشات القبلية يتمثل في الخروج الى مسرغين للحد من هذه الاستفزازات بجيش قوامه 1500 جندي وذلك في سنة 1507م ولا يلبث أن يعود أدراجه فارا بعد خسارة باهضة ولرد الاعتبار والثأر يقرر النزول بوهران .

على أرض قرطاجنة قرر عقد اللقاء بين الكاردينال كزيمنيس وبيدرو نافارو وبالرغم من الحسد والبغضاء وعدم التفاهم بينهما يصدر الملك المسيحي قرارا يأمر فيه نافارو بوضعه تحت القيادة المطلقة للاسقف والامتثال له وذلك في أواسط فيفري من سنة 1508 م حيث يصطحبان معهما البحارة البندقي جيروم فيانيلي Jérone Vianelli الذي سبق له أن تاجر بالمغرب . وعلى خبرة بشواطئ الجزائر وبطحاء وهران وذلك كمستشار تقني للحملة .

يلتحق الكل بالمرسى الكبير كتعزيز للبعثة الاولى بقيادة فارنوندز وذلك يوم الخميس 17 مايو بعد اقلاعهم من قرطاجنة في يوم الاربعاء من 16 مايو . وأثناءها ترسم خطة الغزو على وهران برا من طرف نافارو معتليا ربوات جبل هيدور صبيحة يوم الجمعة 18 مايو رفقة ألفي جندي . ثم بحرا من قبل الكاردينال بعد خيانة زاوي بن كليسة وذلك لفتح بوابة المدينة الموالية للمرسى ليلا وأخذ المساسين وهما عيسى بن غريب العروسي والفناس بن الطاهر العبد اللاوي . فدخلها وهو يتسلم مفاتيحها المقدمة اليه من طرف نافارو ، وهكذا استبيحت وهران بدك المنازل والاجهاز على الارواح .

بعد التمركز والاستقرار نلمس من أن سياسة التنصير ظلت حبرا على ورق أمام الرفض المعلن من طرف القبائل ، وأمام القوة والضغط التي تقمصتها فترة الاحتلال ، مما دفع بحكام المملكة الاسبانية لانتهاج سياسة أخرى ، تمثلت في التعمير والاستيطان ، ومقابل هذا برزت ظاهرة (الاسلمة) أو اعتناق الاسلام عن طرف الجند الاسبان ، الفارين من الجوع، والداخلين تحت حماية القبائل العربية .

يمكن تقسيم هذه القبائل الى فئتين : متحالفة ـ وأخرى متحررة أو شبه مستقلة . فالفرق الثمانية الظالة من الفئة الاولى ألا وهي : كريشتل ـ شافع ـ حميان ـ غمرة ، جيدزة ـ أولاد عبد الله ـ أولاد علي ـ والونازرة ، يلاحظ أن ذاكرها وهو المشرفي قد تجاهل ولم يذكر في احصائه قبائل أخرى كانت لها روابط تحالف مع الاسبان .

ربما كان ذلك سببا في غلوها وولائها الدائمة أكثر من غيرها . أو كان العدد يتناول ذكر البعض منها فقط على الاكتفاء الاستعراض والحصر لا غير .

منها قبيلة سويد التي كانت تسيطر مع بني عامر على معظم سهول ولاية وهران، وقبيلة كنستال، وبني ريان وهبرة ، إذ يكون بديهيا التذكير بأن استمالتها أو تحالفها مع العدو، لم يكن فاتحا عن طواعية أو حب فيه . بل حصل ذلك عن كره واستمالة مؤقتة ، ولا أحمل القبائل الثمانية مجتمعة عبء الردة والموالات . ذلك أن الاسبان في أغلبية تصريحاتهم ومراسلاتهم واتجاهاتهم السياسية يذكرون دوما ويركزون على ثلاث قبائل، ألا وهي: شافع وحميان وهبرة ، بينما يتعرضون للقبائل الاخرى في مجال اتفاقية الحماية قصد أخذ الضرائب منها أي التموين لا غير .

يمكن التعقيب على فكرة فاليجو بالنسبة لصعوبة تحديد أماكن هذه القبائل نتيجة تماطى الاغلبية منها الحياة البدوية المتنقلة على النحو التالى ، بما أن هذه القبائل المتنقلة تغيب ثم ترجع فى الربيع لجنى المحصول ، فهذا دليل على ارتباطها الوثيق بقطاعاتها التى تمثل لها المورد الاقتصادى الاساسى، فكيف تتركها اذا التتمركز بالضواحى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فحتى فى حالة ما اذا أثارت ظهرها اقطاعياتها يكون من الممكن، الى حد قريب استيلاء قبيلة أخرى عليها، وينشأ عن ذلك تلاحن قبلى . الا أن ذلك لم نسمع أنه حدث مثله فى تلك الآونة .

وازاء هذا كان لا بد من القيام بحملة دينية للتوعية والوعظ ضد هؤلاء المفطسين المنسلخين عن عقيدتهم وقبليتهم الاصيلة . ذلك أنه قبيل رحيل الاسبان بساعات وقع الاتفاق على مراسلتهم والتعهد لهم بالامان . مخافة من الانتصار والذوبان فى بوتقة الكيان الاسبانى ، فأوفد اليهم الباي كلا من عبد الله بن هواء قاضى البليد . ومحمد بن فريحة خطيب المسجد الاكبر يطلب منهم حتى يؤكدون لهم ذلك التعهد والالتزام بتنفيذه ، وبعد اللقاء تم لهم اصطحاب أربعين نفرا بينما الفئة المتبقاة وعدتهم بالرجوع مستقبلا الا أنها لم تبر بوعدها ورحلت مع الاسبان الى سبتة .

ومهما يكن من أمر، فان القبائل المرتدة التى يمكن ادخالها فى نطاق الحديث الدائم، والموالى للاسبان من ضمن القبائل الثمانية ، هى شافع وهبرة وحميان لاغير ، حيث شيدت لهم داخل البطحاء ثلاث محطات تجمع أو دواوير، قصد استخدامهم فى خدمة الجيش كمساعدين وعيون لمراقبة قبائل الضواحى المتمردة . حيث اتخذوا الحى البحرى (مارية) la marine مقرا لسكناهم .

أما الفئة الثانية الشبه مستقلة قد برزت فى جو مضطرب يتجلى فى ضعف السلطة التى لم تكن تصل فعاليتها لأقاليم هذه القبائل ، للحد من استفزازاتها والعمل على ردعها ، فكانت تعيش فى اقطاعاتها بكامل الحرية ، تحكم نفسها بنفسها تبعا لتقاليدها وأعرافها دون أن يمسها جزاء أو عقاب، وهذا بالاضافة الى عامل تجزئة البلاد وعدم ترابطها فى وحدة عضوية متراسة ، من بين هذه القبائل الأعشاش التى كانت تسد الطريق الفاصل بين المغرب والجزائر وقبيلة الحشم وفليتة وسماتة وغيرها، من القبائل التى كانت منفصلة تماما عن أى سلطة ، لا هى تابعة لمملكة تلمسان ولا هى خاضعة كذلك للسلطة الاسبانية. أحيانا بين نارين وفى وعانات ومضايقات متواصلة من كلا الطرفين .

يقدر مجمل الانتاج العام لأراضي البطحاء وما جاورها بحوالي 73 ف للقمح 98 ف للشعير وهذا بكل ماتشتمل عليه من قطاعات مسيرة من طرف السكان حراثة وحصدا والمحتوية على العديد من الحقول والبساتين، كالقطاع الغربي من الساقية ، أما قطاع جبل مرجاجو فلوعورة الارض وصلابتها فتقتصر مساهمته بالنسبة لميدان الانتاج على الحطب فقط .

الا أن هذا القطاع الغربي حتى المرسى الكبير فهو خاص تابع لفرد يدعى دون أوزوريك Don Osoriq يسير على نمط طريقة الخماسة .

لكن القطاعات المتبقات فهي خارجة عن البطحاء وتضم على التوالي : قطاع تارقة المفتقر تقريبا لعنصر الرى ، والذى يحتوى بالاضافة الى الحبوب على أشجار الخروب ، والسنديان، وكذا قطاع كاناستال الذى هو بمثابة المنقذ للاهالي خاصة أثناء أزمات الحصار المضيق على وهران حيث خصصت منه للفلاحة ثلاثة أرباع بينما انفرد الربع الاخير بالرعى ، وطاقاته الانتاجية تصل الى 33 ف للقمح ، 38ف للشعير وهو مدار من طرف قبيلة حميان ثم قطاع تسالة المسير من طرف فرسان أولاد جلفة وأولاد زاير والذى يضم ثلاثة أقاليم يقدر منتوجها بحوالي 145ف للقمح و 125ف للشعير . أما اقطاعية تامزوغة والمشتملة على سهول سيرات وأراضي تامزوغة فبالاضافة الى الانتاج العام للحبوب البالغ 108 ف للقمح 122 ف للشعير . فهي تنتج كذلك الملح الجيدة بواسطة السبخة الواقعة غرب وادى سيق والذى يبعث به الى الجزائر . وتأخذ منه وهران زادها السنوى ، وكذا اقطاعيات سيرات المفتقرة لطرق الرى والتى تديرها بعض العشائر من أولاد هبرة وأولاد على حيث يبلغ انتاجها 100 ف للقمح 120 ف للشعير ثم اقطاعيات وادى هبرة الذى يحمل اسم القبيلة التى استقرت به الا أنه يشتمل على أراضي مسقية وغير مسقية اذ يقدر انتاجه ب 164 ف للقمح 233 ف للشعير ، وأخيرا اقطاعيات ثنية القصب التى تتربع فيها قبيلة أولاد الميمون على أراضي كلها مسقية الا أن الاراضي التى تسيرها قبيلة أولاد ابراهيم فهي ضعيفة وقليلة الانتاج . بينما الاراضي الباقية فهي مخصصة لمراعي بنى يعقوب .

ان الذى يمكن استنتاجه مماسبق بالنسبة لكلا المجموعتين هو أن مجموعة البطحاء تساهم بانتاج محترم اذا ماقيست بكل قطاع من المجموعة الثانية كل على حدة ، أما اذا قورنة بالانتاج العام لكامل المجموعة الثانية المتمثلة فى القطاعات الزراعية الخارجة عن البطحاء فتكون نسبة القمح بحوالى 58، 12٪ بينما الشعير يصل الى 41، 14 ٪

اقتصرت ضريبة الرومية على الحبوب فقط دون غيرها من الموارد الأخرى . وذلك قصد ضمان تموين البطحاء ، تجمع من مجمل المائة والاربعين دوارا بواسطة المخطسين واليهود الذين حصلوا على حرية التصرف المطلق . وهذا بمعاملة تختلف من قبيلة لاخرى وحسب ماتمثله للاسبان من وفاء وولاء ، لكن أى استثناء ذاك الذى يتحدث عنه فالجوبالنسبة لقبائل شافع- حميان - هبرة . مادام اعفاؤهم من تقديمها لم يحصل إطلاقا ، وحتى عملية احتجاز أبناء الشيوخ القبائل كرهائن تبين من أن هذه القبائل المنعزلة مسافة ، والقربية ارتباطا بوشيقة الحماية ، مُلْزَمَةٌ بدفع الضريبة ولا يتم الافراج عن الرهائن حتى تسديد آخر مد من القمح والشعير ، مخافة من إخلاء القبيلة المكان أوالانتقال الى قطاع آخر حتى لاتنالهم يد الاسبان بسوء ، ثم ان طريقة تسجيل المعارضين للدفع وتعليق لوائحهم على أبواب تلمسان وكانستال،لدليل على وجود نية الرفض وعدم الامتثال للتسديد ولو أدى ذلك بهم الى المخاطرة بأبنائهم .

لم تكن الاراضى المجاورة للبطحاء بالنسبة للضرائب تعتبر بالاقطاعات الوحيدة التى يطبق عليها قانون الضرائب ، سواء أكانت للدولة أم للملاكين الخصوصيين . بل أصبحت تضم أكثر من مائة وأربعين دوارا . تفرض عليهم كل سنة أثناء حفل ودى يحضره شيوخ القبائل وقادة الدواوير المتصلة بوهران أو المنعزلة عنها ، قصد ضبط جدول إحصائى لمجمل الانتاج لكل منطقة . وتحديد تسميرة خاصة بالقمح والشعير - يسفر عن سن ، اتفاقية حماية مدة صلاحيتها لغاية سنة فقط قابلة للتجديد ابتداءا من شهر أوت يسرح خلالها كل شيخ بأرقام مضبوطة لعدد الخيام التى يضمها الدوار .

وقد سميت هذه الضريبة بالرومية Romia أى ضريبة القبيلة ، إذْ يتفاوت مقدارها من حيث الدوار وعدد خيامه تفاوتا بينا بالنسبة لدوار أخر . فللقائد العام الحق فى الرفع من قيمتها أو خفضها وهذا حسب القيمة العددية لكل قبيلة ، بينما نجد قرية كانستال مثلا لاتؤدى فى خلال السنة الا مقدار دجاجة واحدة فقط على كل خيمة تقدم للقائد العام بوهران .

وفى حالة النفور وعدم الرضوخ بتسليم الضريبة يبعث القائد العام الى الدوار المستعصى أحد أفراد المخطسين ، للقيام بعملية احصاء الحقول وتحديد المساحات المزروعة فتسجل بمحضر الشيوخ المدعوين من طرف الحكم العام ، ويمنح لهم أجر محدد لتسليمها ، واذا ما امتنعوا ثانية يحرر لهم ملف جديد يترجم الى العربية كما يعلق على أبواب تلمسان وكانستال ، فتكون النهاية الأليمة المتمثلة فى بيع ابناء الشيوخ الممتنعين كرهائن حتمية لا مفرة منها حيث تسلم المبالغ المحصل عليها من الصفقة الى الخزينة الملكية .

وساعة تسليم الضريبة ، لا يسمح لهم باستلام الأسرى ـ الرهائن ـ الا بعد تصفية الحسابات وكل المشاكل المتعلقة بالديون ، وهذا مما يضطرهم للمكوث طويلا بالبطحاء .

حيث يأخذون من الخزينة الملكية الاسبانية ـ مبالغ يومية ـ (مبالغ المكوث التعويضية) قصد الاستجابة لحاجياتهم أثناء البقاء كما أشرنا الى ذلك سابقا .

لم يكن عامل المخطسين هو الفريد من نوعه لمساعدة الاسبان قصد الحصول على الضريبة ، بل حتى اليهود الذين استخدموهم كمترجمين ، أدوارهم على خشبة المسرح الوهرانى اذ كانوا يخرجون الى مختلف الدواوير لاستخلاص الضريبة ، ناشرين الظلم والاضطهاد والفساد يتسرفون فى الأهالى بكامل الحرية "... ذلك أن يهود وهران كانت لهم صولة عظيمة على بنى عامر لكون الجباية كانت على يد اليهود دون الاسبان فكان اليهودى يخرج بمحلته لقبض الضريبة ، فيضرب خباءه بواسطة دواوير بنى عامر من أولاد عبد الله وغيرهم ، ثم يتصرف فيهم تصرف الملك فى رعيته ، بما شاء أمرا ونهيا يضع على رجلى هذا الأحمال ، ويجلد هذا ، ويخلى سبيل هذا الى غير ذلك دون متعرض له ، وأما الفحش فلا يوصف ..."[1] .

وأى شيخ يرفض دفع الضريبة ويمتنع عن أدائها يسعى للفرار بأهله الى مناطق بعيدة آمنة ، قبل أن يتم أخذ وتقديم أبنائه كرهائن . ولا يقتصر هذا الهروب على الشيخ وعائلته فقط بل وحتى باقى أفراد الدوار الذين يصطحبونه فى هجرته هذه .

ونستنتج مما سبق ، أن نوع الضريبة الرومية اقتصرت على الحبوب فقط دون غيرها من الموارد الأخرى التى كان الوجود الاسبانى يعانى منها الأمرين ، والتى تجمع من مجمل المائة والأربعين دوارا بواسطة المخطسين أو اليهود الذين حصلوا على حرية التصرف المطلق قصد ضمان تموينه ، وذلك بمساعدة قبائل تختلف من قبيلة لأخرى وحسب ما تمثله للاسبان من ولاء وولا .

---

1) عبد القادر المشرفى (بعثة الناظر) ص 35 .

وقد يبدو ان فعالية هذا التوسع لم تكن بالشكل الايجابي الذى كان متوقعا حدوثه من قبل الاسبان طيلة فترة الاحتلال ، خصوصا بعد موت الكونت الكودات ، اذ ان طبيعة المقاومة الصلبة والمستمرة ارغمته على التراجع والاحتماء داخل اسوار المدن المحتمي بها ، حيث تم له التوغل صوب الداخل وللمرة الاولى اثناء محاولته تكبيل مملكة تلمسان بقيد الولاء والحماية .

وليس ثمة شك ، من ان سردنا وعرضنا لاهم المعارك والحروب وما تهدف من ورائه ، وهو تبيان العوامل الرئيسية التي دفعت بالاسبان الى الاحتفاظ بهذه النقط الساحلية لا غير ، دون تجديد الكرة في محاولات اخرى للتوغل صوب الداخل ، اذ يمكن لنا ان نستنتج من جراء تلك الاحداث وفي اطار التوسع تقسيم حقبة الاحتلال الى مرحلتين هامتين واساسيتين :

المرحلة الاولى وهي ما قبل ١٥٥٨ م والتي يمكن تسميتها بفترة الحروب كما سنرى فيما بعد ، سواء على الصعيد الجهوى وهران وضواحيها - ام على مستوى الشمال الافريقي ،اما المرحلة الثانية اي ما بعد ١٥٥٨ م فتشكل فعلا مرحلة خاصة بالغارات فقط،اذ ان الاسبان ابان هذه الفترة ولغاية ١٧٠٨ م لم يقوموا الا بسبع غارات لا غير.

يبدو بأنه من خلال المعركة الاولى الدّاخلية التي مني الاسبان فيها بخسارة قصوى ، اي فترة ما بين الاحتلالين ، وعلى وجه الخصوص في واقعة مسرغين ، يلاحظ انها كانت مرحلة اختبار القبائل وحبس نبض قواها ، تمكنوا اثرها من مباغتة الاهالي وتطويقهم ، غير ان القبائل المجاورة هبت لنجدة اهالي مسرغين ، وحولوا الهزيمة الى انتصار ، ارغم الاسبان على الرجوع الى المرسى الكبير وهم في وضعية يرثى لها ، وما كان ذلك الا دليلا يدعم القول الذى يشير حتى اثناء الاحتلال ، الى أن القبائل كانت تساند بعضها ، وتتحد تحت لواء الجهاد ، بغض النظر عن القلة الساندة للاسبان .

بينما كانت المعركتان التاليتان على النقيض من الاولى اذ تمكن عروج من ابي حمّو وتشتيت شمله باغبال ،

أما الصناعة التقليدية بتلمسان فبالاضافة الى صناعة النسيج التي تحتل مكان الصدارة مما تحتوي عليه من ورشات صغيرة لصناعة الزرابي المصدرة الى اوربا . فهناك المعاصر الزيتية التي لعبت دورا اقتصاديا هاما في مضمار التصدير نحو الخارج .

كانت معالم عملية التموين تنجز خلال مرحلتي الاحتلال الاسباني بوهران عن طريق استيراد المواد الغذائية من أسبانيا . مصطدمة في ذلك بشتى العراقيل المتمثلة في القرصنة والزوابع البحرية . هذا بالاضافة الى تأرجحها بين ضمان التسيير والاستمرارية ثم التضاؤل والانقطاع في كثير من الاحيان .

بالرغم من تعهد الكاردينال كزيمينيس لتحمله تكاليف الحملة . فقد كان الاحتياطي لهذه البعثة أن ينفذ نذرا لهجرة سكان وهران ومغادرة الاهالي لها جماعات الى الضواحي القليلة ، وبالرغم كذلك من الضريبة التي فرضها البابا على الدول الاوربية في شكل مساعدة مقدسة للمملكة الاسبانية ، ان الموارد الاقتصادية لبساتين رأس العين في أوائل الاحتلال لما كان العدد لبعثات الحملة يميل الى الوسط قد ساهمت في تموين وهران مؤقتا انطلاقا من محور البطحاء ، الا أن رأس غالميجوا الذي يتبنى فكرة الاكتفاء الذاتي بوسلسطة هذه البساتين مبالغ فيه . ذلك اذا ماتفقدنا القائمة الكاملة لأفراد البعثة وقارناها بالعدد الضئيل الذي كان يقطن المدينة قبل فترة الاحتلال ، نجد أن المساحة المزروعة لا تمثل الشيء الكثير بالنسبة للضواحي الزراعية ككل هذا من جهة . ومن جهة أخرى لم تقتصر عمليات جلب المؤونة على هذه الحقول فقط . بل كانت مساهمة القبائل المتحالفة . تضاف اليها فترات التموين الغير المنتظمة القادمة من أسبانية وأهلها . وحتى مساهمة مملكة تلمسان أثناء صفاء الجو السياسي واعلانه ترميم حلقة التحالف كانت لا تمثل المعدل النصفي للاستهلاك بالاضافة الى مساعدة الأهالي في أغلب الأحيان . وحتى لو سلمنا بذلك فانها لا تفي مطلقا لاحتياجات السكان ولا بالمتطلبات المادية لافراد البعثة .

العلاقات التجارية البحرية القائمة بين وهران والاندلس لم تكن تحمل الطابع التجاري الصرف من أجل التجارة فقط بل هناك علاقات أخرى تتماشى مع التيار الاقتصادي والسياسي ولا يمكن لها أن تفصل أحدهما على الآخر ويتمثل هذا بوضوح في روابط القربى والمصاهرة بالاضافة الى وحدة الدين واللغة وعمومة الشعبين .

هناك كتلتان جاريتان متنافستان في أوربا . تكمن الاولى في التجار الايطاليين ، والبروفانسيين معا . ضد الكتلة الثانية التي يمثلها الكاتالانيون . لم يكن الهدف الرئيسي من هذا التنافس هو الاستحواذ على زمام التموين للأسواق الداخلية فحسب . بل هو استغلال خيرات شمال افريقيا .

مما يسترعي الانتباه هو القلة القليلة للعنصر الوطني للمشاركة في هذه الصفقات وحتى عنصر التجار الافريقيين على العموم . بينما نجد عمليات الاشتراك هذه تتضمن الفرنسيين وتجار جنوة وتقتصر خاصة على التجار اليهود كوسطاء . أما المسلمون فنادرا مايتم التعاون معهم . فالعلاقات التجارية الايبروافريقية . شاهدت ازدهارا وحركة دائبة من طرف هؤلاء التجار . اذ أن معظم البنود المسجلة في الاتفاقيات التجارية تبين مدى بسط النفوذ التجاري الاجنبي على موانئ المغرب والتغلغل الداخلي هادفة من ورائها الحصول على وثيقة تسمح لها بحرية تصدير الموارد التلمسانية عن طريق وهران . أعني مسك زمام الامور التجارية من العنصر الاصلي . لذا احتوت وهران على أحياء تجارية أجنبية كحي كاركينطا Karguentah بكامل أجهزتها الادارية والسياسية والعقائدية . ومما يحملها على رواج التجارة وازدهارها للمملكة تلمسان هو تعداد هذه الاتفاقيات . ويمكن القول أن ازدهار التجارة الذي كان سببا في اثراء الخزينة الزيانية . تعود نتائجه بالدرجة الاولى الى ضخامة حجم الواردات البالغة نسبتها ب 16٪ بينما نجد الصادرات لاتمثل الا نسبة ضئيلة تقدر ب 5 ٪ .

أصبحت وهران بعلاقاتها التجارية الخارجية ابان الاحتلال . خليجا راكدا لا تمخر عبابه في الغدو والرواح سوى المراكب المحرمة واذا ماوجدت شلالتها في النطاق التجاري مع وهران أو حنين أو مستغانم فهي نادرة جدا وهذه نتيجة لعدة عوامل تمثلت في الحصار الدائم الذي عرقل الحركة التجارية . بالرغم من الادعاءات الاسبانية في بذل ارادة متواصلة لتنمية هذه التجارة ، يضاف الى ذلك النزاع السياسي حول السلطة داخل مملكة تلمسان اذ نجد ميناء حنين لا يحتله المكانة الاثيرة نظرا لتأرجحه بين الاستيلاء والانسحاب من طرف ملك تلمسان والاسبان ثم الاتراك ، كان للصراع السياسي هذا بين أمراء تلمسان أثره الفعال في الحد من تقوية التجارة . واستمرارية حركة النقل صوب وهران بغية تناول المطيات ، التصديرية والاستيرادية بصفة منتظمة تجاه أوربا .

كيف يمكن اذا لمثل هذا الجو المضطرب المشحون بالصراعات والانقلابات الملكية مساهمة تلمسان في اثراء التجارة الوهرانية . وات اذعا كمسير للمبادلات التجارية ، وكيف يمكن اذا تحقيق الازدهار عبر طريق غير آمن محفوف بهجمات القبائل المعادية لتلمسان وكذا للسلطة العثمانية .

يضاف الى هذا خاصة بعد موت الكوندات بمستغانم سنة 1558 م أن وهران لم تعد تستقبل بضائع تلمسان قصد التصدير بل أصبحت مغلقة على نفسها داخل أسوار المدينة دون أية تجارة استيرادية ما تذكر ، وحتى بالنسبة للتدهور التجاري الذي حل منذ بداية الاحتلال حتى موت الكوندات وبعده . تبعثر القوى الاسبانية وتشتيت لطاقاتها على العديد من المراكز الساحلية نتيجة للكثير من الحوادث العسكرية (1) .

هناك عامل آخر زاد في عرقلة الحركة التجارية والذي يتمثل في الحصار الدائم المضروب على المدينة من طرف القبائل تارة . والاتراك تارة أخرى ، وازاء هذا لم تكن ارادة الاسبان

---

(1) ارجع الى المحن للتعرف على مسيرة الحوادث الاسبانية بشمال افريقيا (لائحة الحوادث)

فى تنمية التجارة متواصلة أمتة نتيجة لعملية الحصار . والا فكيف يفسر هذا التعارض الكامن فى تصريحات فاليجو ومراسلاته مع قادة البطحاء حينما يذكر قائلا : " نحن الاسبان نفدت دائما بالاهمال المطلق عندما يتعلق الامر بتنمية تجارتنا . فبالنسبة لوهران لم يقوموا — أى الاسبان — بأى بادرة تهدف الى تشجيع العلاقات بين التجار والقبائل ." هذا التناقض يؤدى بنا حتما الى استخلاص نتيجة فحواها أن الاهالى والقبائل لم يساهموا فى النشاط التجارى لوهران تحت الهيمنة الاسبانية . اللهم ماعدا وجود بعض العلاقات التموينية المحدودة .

كانت المشاركة فى الميدان المعمارى بالنسبة للاهالى جد ضئيلة ومحدودة . وذلك بالارتكاز أساسا على اليد العاملة الاسبانية التى تجلب من أسبانيا المتمثلة فى المطرودين والمهاجرين بالاضافة الى مساهمة المهندسين الاسبان والبنائين والمساعدين منهم .

ورغم اشتراك رجال حميات ببعض الاشغال العمومية ضمن الدواوير الثلاثة المتمركزة فى الحى البحرى La marine فهى مشاركة طفيفة وذلك نظرا لاستخدامهم فى الجيش . وكجواسيس وعيون ترسل حركات القبائل المجاورة .

ثم ان ارتباط البعثة الاسبانية بالبطحاء . وتقوقعها داخل الاسوار طيلة وجودها بوهران . دفعها لترميم الحصون والخرق واحداث الجديد منها كما أعادت بناء جدار السور المحيط بالمدينة ... وذلك لأخذ الحيطة من هجمات القبائل ونتيجة للحصار الدائم .

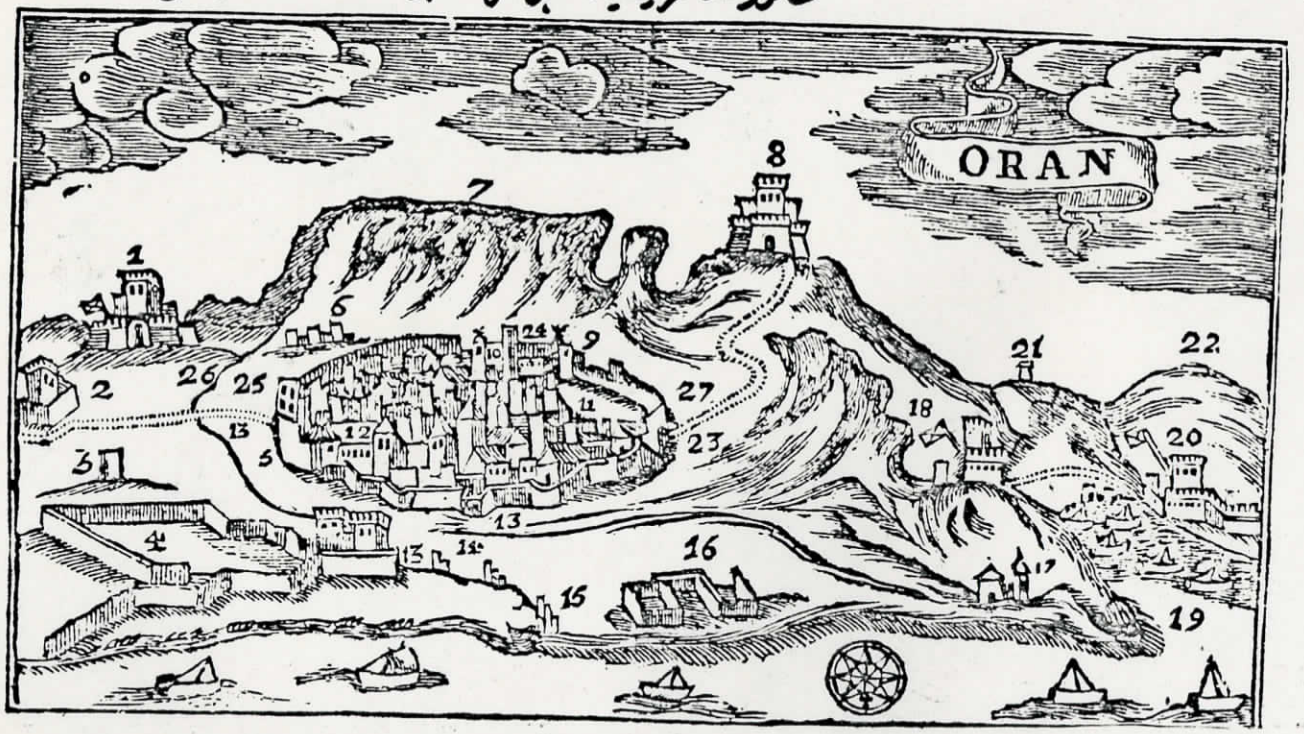
947

منظر عام لوهران

عن لوحة إسبانية قديمة منقوشة لسنة 1732

المصدر: أرشيف التاريخية للجزائر - الجزء 2، لقابريال إسكر

PLANCHE I



1) برج بني زروال (برج العين سابقا) 2) البرج الجديد 4) البرج الأحمر.
5) باب كانسشال، 7) جبل هيدور، 8) برج مرجاجو (برج الجبل)
9) كنيسة القديسة مريم، 13) ساعة، 15، 17، 18، 19) ميناء الملاحة الكبير

الملاحق

١) الهندسة المعمارية، والآثار الإسبانية بوهران.

٢) أهم الأحداث العسكرية الإسبانية بشمال إفريقيا.

ملحق

الهندسة المعمارية والآثار الأسبانية بـــــــــــوهران .

1) البروج : البرج الأحمر Le Chateau neuf Ex Rosalcazar
البرج اليهودي . Chateau St Grégoire
برج مرجاجو . أو برج الجبل Chateau de Santa-Cruz
البرج الجديد . Le Chateau Saint-André
برج بني زروال (برج العين سابقا) Le Chateau Saint philippe .

2) بطحاء وهران . Place Fate d'ORAN

3) بطحاء المرسى الكبير . Mers-El-Kebir

4) ميناء وهران . Le port d'ORAN

5) الحنفية الأسبانية القديمة . Vieille Fontaine Espagnole

1) كانت المشاركة جد ضئيلة في الميدان المعماري بالنسبة للقبائل والأهالي . وذلك بالارتكاز أساسا على اليد العاملة الأسبانية التي تجلب من أسبانيا . والتمثلة في المطرودين والمساجين بالاضافة الى مساهمة المهندسين الأسبان والفنانين والمساعدين وارتباط البعثة الأسبانية بالبطحاء ، وتقوقعها داخل الأسوار طيلة وجودها بوهران دفعها لترميم الحصون والبروج واحداث الجديد منها ثم اعادة بناء جدران الصور المحيط بالمدينة وذلك لأخذ الحيطة من هجمات القبائل ونتيجة للحصار الدائم .

وقد سعيت حسب الاستطاعة والامكانيات المتوفرة ضمن المراجع الأجنبية والعربيـــة لتصحيح بعض الأخطاء الناجمة عن خلط الأسماء واعطاء التسمية لبعض المعالم الأثرية ، والمعمارية بغير المدلول الحقيقي .

البرج الأحمـــــــر : Rosalcazar

شيد البرج الأحمر السلطان المريني أبو حسن المريني في سنة 1347 م وذلك لحماية المدينة 1 نظرا لموقعه الاستراتيجي ، كما دعمته وأكدته أرجوزة الحلفاوي 2 . وقد أخذه بيار نافارو Pierre Navarro أثناء الاحتلال الأول كقاعدة للدفاع .

---

1) أغاتن عوده المازري في مخطوطه (طاوع سعد السعود) في النص الأول تحت عنوان (وصف مدينة وهران وتعريفها وتاريخ تشييدها) .

2) أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني في شرح الأرجوزة التي تحصل 72 بيتا في الفصل الثالث .

على أن التسمية الأجنبية (روزالكازر Roalcazar) أعتقد أنها آتية من التسمية العربية القديمة (رأس القصر) مع موافقتي في ذلك لجون كازاناف . وذلك لسبب بسيط حيث أن البرج شيد في فترة جد متقدمة عن حقبة الاحتلال ، وليس نتيجة للتسمية الاسبانية التي تحمل التفسير التالي Rojas casas أي المنازل الحمر .

انه أجمل وأحسن بروج المدينة كلها فهندسته وتحصينة القوى بجملانه صعب المنال والاحتلال و " . . . أشك في وجود أحسن منه في الدول الأوربية " 1 .

يقع في الجهة الشرقية بشكل طويل وضيق بأعلى المدينة ، مطل على الحقول والبساتين ومواجهة كل من البرجين الجديد ومنى زروال . حيث يعتبران المقدمة الأمامية والوحيدة لتلقي الهجمات على المدينة ، يحيط به خندق عميق وعريض كالخندق الذي تتمنطق به البطحاء الا أن فالمجو Vallejo بحبذ تعميق الخندق وتحسين الأسوار ، بالرغم من وضعيته المحترمة التي تسمح له برد أي هجوم نتيجة تشييده على أرضية منبسطة وصلبة ،

كانت الجهة المقابلة للمدينة والتي تحنو وتحمل الميناء تعتبر النواة الأولى في تشييده . فهي شبيهة الى حد قريب بالحصن ، لا وجود للمنازل أو الدكاكين ماعدا بعض الملاجئ الكافية لتخزين المؤونة والألبسة والأسلحة الضرورية للحملة . اذ تضم حوالي 400 رجلا . ويمكن كذلك اضافة عدد 200 آخرين في حالة الهجمات .

تكمن الميزة لوضعية البرج الأحمر في قيمة تحصينه وصالح أرضيته التي تمكن الجند من حفر الخنادق بسهولة ، حيث خولت له أن يصبح ساحة محصنة " . . . لكن يبقى الشيء الكثير أمام الحملة فلا بد من الأدوات والأموال اذ نحن على قدم وساق للقيام بأعمال وتصليحات مستعجلة " 2

يوجد بهذا البرج نقطة مراقبة تشيمن على كل الحقول والبساتين المجاورة للمدينة والميناء . تلك النقطة التي تشرف وتحرص كل الخطوط المتصلة بالجبل . بالاضافة الى البرج اليهودي وبرج مرجاجو على أنه يحتوي على حصون ثلاثة هي تابعة للقيادة 3 . ، فأحواض التخزين المائي الموجودة بالبرج غير كافية لتموين الحملة التي تمسكر بالخلاء . اذ لا توجد به ثكنات أو منازل هناك وذلك تحت حراسة الجند تحت الأسوار .

---

1) جون كازناف ترجمة (المجلة الأفريقية لسنة 1925 م ص 341) .
2) جوزيف الجو Vallejo في تقريره عن البطحتين من نفس المجلة الأفريقية ص 342 .
3) الشفر الجماني في ابتسام الشفر الوهراني ص 201 .

كما جاء كذلك تدعيما لما سبق في الشفر الجماني 1 أن (". . . برج اليهودن وتحته لا يونتا لا مونا "

الـــــــبرج اليهودن : Château St. Grégoire

انه البرج المحصن القريب من المدينة من الجهة الجبلية . ليس بحاجة الى ترميم نظرا لتحصيناته القوية ووضعيته الاستراتيجية الحسنة . فهو صغير من حيث الحجم مهيمن على المدينة وحامي لمدينة وهران والمرسى الكبير ومنائيهما ومحطات ومستودعات بضائعهما . لكنه بيد و مكشوفا ولولا وقوعه تحت الحيمة المطلقة لبرج مرجاجو واحتضان جبل مرجاجو له لما تمكن من الصمود . فأحواض تخزين الماء به وآباره جد كافية ، وملاجئه باستطاعتها استواء جامية عادية تقدر بمئتي جندن .

برج مرجـــــــاجـــو : Château de Santa Cruz

شيده الاسبان عند رأس جبل مرجاجو في قرن 16 م ويذكر عبد القادر المشرفي 1 . أنه لما تعذر على الاسبان إقامة البرج لانعدام الماء به دبر عليهم شيخ من قبيلة حميان بوضع صف ابتداء من النبع حتى الجبل وملء القرب وايصالها من أسفل الجبل الى قمته حيث وضعت خطة التشييد .

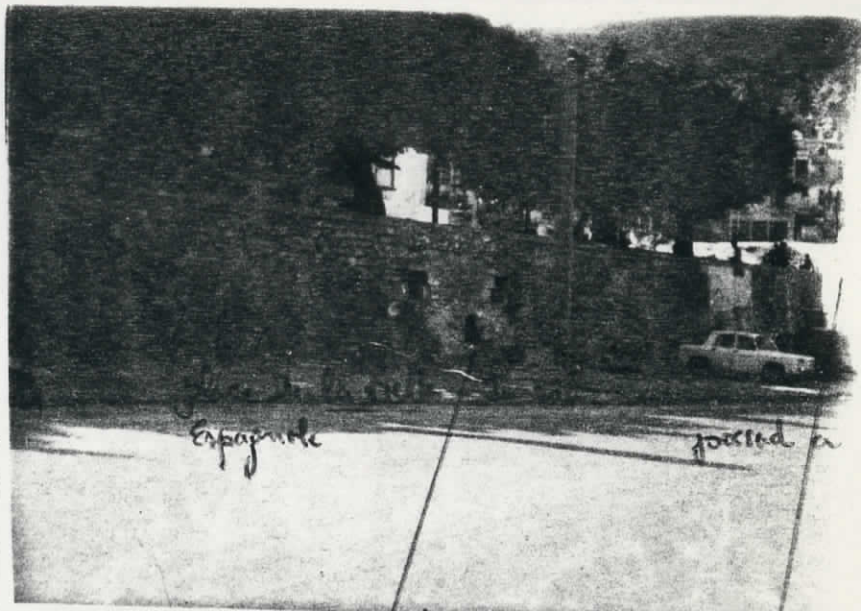
أما بنعودة المازوني يذكر تدعيما لذلك أن " . . . جبل مرجاجو الذي اختط الاسبانيون بقمته بالبناء الاحكم برج مرجاجو الشامخ العتيد . . . المشرفة على المدينة والمرسى والابراج تسمى باسم الرجل الذي كان من غير مناكث . فهل هو الرجل الزناتي أو الاسبنيولي أو الحميني أقوال أصحها الثالث . . . "

أعيد بناؤه من جديد تقريبا بصفة كلية في عهد الحاكم جوزي فالبجو ثم كذلك في عهد حكومة الجينيرال أوجان دو آلفرادو Alvarado من طرف المهندس هونتابا لكن بصورة صعبة وظروف قاسية وذلك في سنة 1771م .

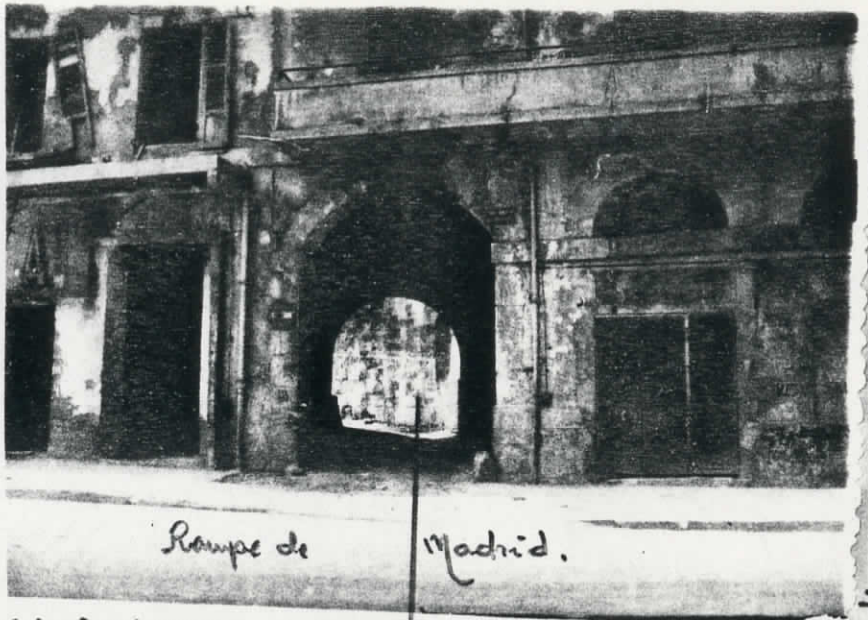
---

1) عبد القادر المشرفي المجلة الافريقية لسنة 1924 ص 197 . في تعرضه للقبائل المتحالفة مع الاسبان ويروى أنه لما اتم الاسبان تشييد البرج بتدبير من الشيخ فتكوا به وحفروا بقرب أساسه بئرا عميقا وألقوه فيه خفية .

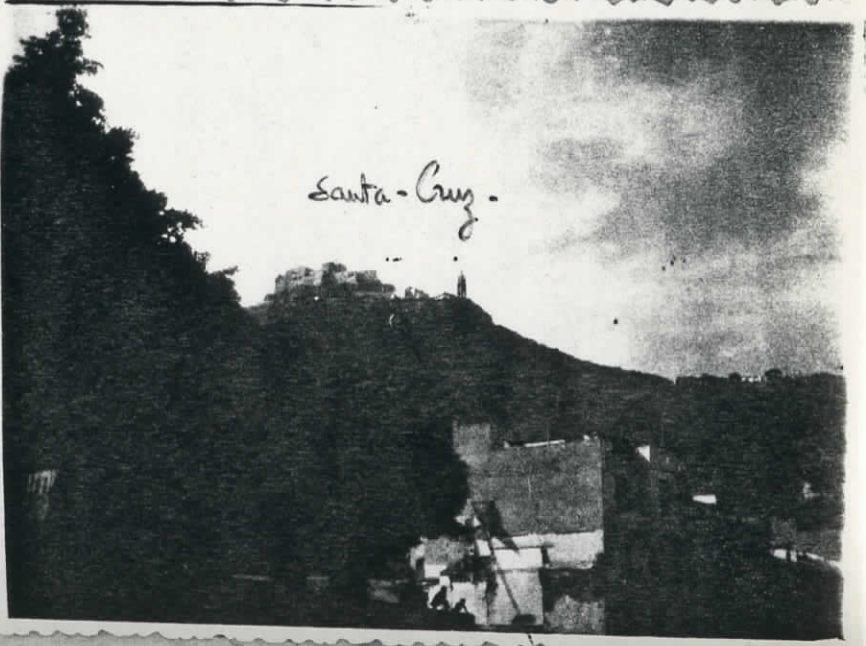
الآثار الإسبانية بوهران



البوصادا - المزل الإسباني X مكان الحنفية الإسبانية القديمة (دجماع اورليانس) القديمة



درج مادريد (دهاليز مادريد)



درج سوجاجو



المسجد الذي يحول إلى ثكنة عسكرية ثم إلى مقر صهيوني.

الوسام الذي أعطي لإسبانيا بوهران.

قبل التحرك وتخريبه وبعدها

يعتبر كنقطة مراقبة للبناء الحي البحري (حي مارية) La Marino
ويؤدي خدمة تكمن في تسهيل المواصلات بين المطحاء والجهة الغربية ، كما يخص البرج اليهودي الذي لا يمكن له الصمود بدونه ويضمن طرق المواصلات مع المرسى الكبير .

فالاستيلاء عليه وعلى البرج اليهودي يترك المدينة مكشوفة بدون غطاء حراسة . يستحيل أثناء ها المقاومة أو الدفاع به ملجأ فسيحان لإيواء أفراد الحملة ، سميا بأقبية الحاكم Cave du Gouverneur مع العلم بأن الماركيز فيلاداريا Villa daria أصدر أوامره بحفر ملجأ آخران تحت الأولين الا أن المؤرخ أحمد توفيق المدني قد أشار اليه،حيث أدرج برج بني زروال Sts Philipps في إطار برج مرجاجو كجزء واحد دون مراعات للبنية المعمارية المتباينة لكلا البرجين وتوضيحا لذلك فان برج مارجاجو يقع في الشمال الغربي من المطحاء ، بينما يقع برج بني زروال في جنوبها .

البـــــــــرج الجـــــــــديـــــد : Le Château St André

يعلق المؤرخ كازناف على البرج بالنسبة للتشييد،أن الشخص الذي بناه هو الماركيز سان زانو Cansano الكابتان العام لوهران من 1692م حتى 1709م "...وأن الصاعقة سقطت عليه ففجرت 1800 قنطارا من البارود المكدس بالمخازن وأعيد تصليحه وترميمه من طرف المهندس هونتابا "1.

لكن ماجاء في هذا التعريف بعيد عن الصواب وبعيد عن الحقيقة كذلك ، لم يكن الباني له هو الماركيز . وانما شيدته امرأة نصرانية ذكرها المؤرخ المازوني قائلا : 2 "... ذكروا أن البرج الجديد أقامته امرأة نصرانية بتسعين ألف ريال من خالص مالها " .

يقع هذا البرج في منتصف هذا الطريق بين البرج الاحمر وبرج بني زروال به طرق وخنادق مغطاة ، وملاجئ صغيرة الحجم الا أنه محكم البناء أكثر من البروج الأخرى . يحتوي على آبار للتخزين المائي تفي بحاجيات الحملة بالاضافة الى المخازن والثكنات الواسعة .

---

1) جون كازناف من المجلة الافريقية لعام 1925 م ص 340 .

2) بن عودة المازوني في مخطوطه (طلوع سعد السعود) في الفصل الاول : "وصف مدينة وهران وتعريفها وتاريخ تشييدها " .

برج بنـــــي زروال : (برج العين سابقا) .

Le Château St Phillip

ترجع تسمية بني زروال لهذا البرج للى 21 أكتوبر 1790م منذ أن عسكر بان معسكر محمد الكبير محاصرا وهران حيث ركزت قبيلة بني زروال هجومها على البرج فافتكته بعد خسارة ومنذ ذلك حمل البرج اسم القبيلة .

انه البرج الاول الذي يصادفه العدو أثناء عبوره من الضاحية . وهو الأكثر بعدا عن البطحاء . صغير الحجم يصح أن يطلق عليه اسم الحصن ويكون موافقا له أحسن من اسم البرج . ومن حيث البناء "يذكر المؤرخ أن تماسك جدرانه بالتراب بأكثر من الجبس" 1

(وهذا نظرا لعدم توفر هذه المادة بكثرة بالمدينة مما دفع الطبقة كما رأينا سابقا في البرج الاحمر استيرادها من أسبانيا بالرغم من وجود بعض المحاجر المنتشرة بالضاحية)

توجد به خنادق ليست بالعميقة ولا بالكبيرة ، الا أنه أضيف اليه طريق مغطى . وقد اقترح المهندس أنطوان مونتيجي Don Antoine Mantaigit اعادة بناء هذا البرج 2 . وكذا بعض المخازن الصغيرة للمؤونة والبارود والأسلحة ، فهو سيء التعسكر لضيقه . لأن مجمل الخواجز خاصة من الجهة المهاجمة من طرف العرب أصبحت أطلالا .

ولتقوية استراتيجيته الدفاعية شيد بمقربة منه حصنان صغيران - على الجهة اليسرى، منه الحصن المسمى بالقديس شارل Saint Charles فلحدته وتناهيه في الصغر لا يستطيع استقبال أكثر من 100 جندي وقد أضيف اليه طريق محاطة بسياج . حيث اقترح المهندس دون جون بالستر Don Joan Ballestes بناء صور جديد يحيط بالبرج يكون أكثر صلابة وأقل التكاليف والمدة الزمنية . اعتمادا على استخدام طاقم الدفاع الموجود ساعتئذ . آخذا في الاحتمال الانتهاء منه في غضون سنة واحدة ، وذلك بواسطة عدد كاف من البنائين والمساعدين ، وبما أن الجهس الضروري يستقدم من أسبانيا . لذا فان المدة المقترحة يكون من الستبعد بمكان انجازها ،

---

1) بحث عن قيمة بطحتي وهران والمرسى الكبير (المجلة الافريقية لسنة 1925م ص 337 .)

2) يلاحظ أن الأشغال توقفت نهائيا وذلك نتيجة لخصام بينه وبين القائد العام الماركيز فيلا داريباس Villadarias فأصبح البرج منذئذ ماثلا كالصنم عبارة عن أطلال .

ويستطرد بالستر بهذا الشأن "... بأنه ولابد من الاصراع فى الاشغال المعمارية لهذا الصور بكامل الجدية لأن برج مرجاجو وبرج بنى زروال هما دوما أول من يتلقى ضربات الهجوم على المدينة ، لانهما يعتبران الذراع الواقية للبطحاء ..." 1 .

أما الجهة اليمنى يقام حصن القديس فارديناند Fort de Saint Ferdinand على شكل مربع بامكانه احتواء عدد 100 جندى يشمل خندقا وسدا عند أقدام جدرانه ، من حيث الوادي على طول المجارى المائية التى تمر بالمدينة بعد ماتسقى الحقول والبساتين . حيث يحرس العين ويحمى البئر ، ويذكر فالبجو وأنه تخوفا وتشككا من هجوم بابا عروج على المدينة سنة 1514م أنجز بنا ء قلعة صغيرة بالقرب من العين سميت بقلعة القديسين Tour des Saints بالاسبانية Torre de los Santos وقد عسكر بها حسن باشا واتخذها ، كقاعدة للتوجه نحو المرسى الكبير قصد مهاجمتها وذلك فى أوائل شهر أفريل من سنة 1563 م .

البطحاء القوية : Place forte d'Oran

تقع البطحاء ضمن الوادى . يحيط بها جبل مرجاجو من كل الجهات ، مطل على منازلها وشوارعها 2 ولتفادى الهجوم على المدينة المفتوحة شيدت البروج الخمسة الآيلة الذكر اذ أن فقدان الواحد منها يعرضها للاحتلال ويتركها بدون عامل دفاع ، تحتوى على صور قديم من الحجر الصلب جدعال،حيث يكون حزامها المتعلق به ، مع بعض الشوارع الصغيرة والحصون المتناثرة هنا وهناك ، فاحتضان الجبل لها يعتبر بمثابة هيمنة على كامل المدينة

أما القصبة Alcazaba فهى ضاربة فى القدم كذلك،وقد زاد الاتراك فى توسيعها . تحتوى على ثلاث طرق شرقا،وحصن مسلح أمام الجبل مرجاجو وجها لوجه . يوجد بداخلها قصر عربى رائع وشاسع بإمكانه احتواء مخازن التموين والاسلحة بالاضافة الى ثكنة ومستشفى صغير يبلغ عدد المنازل بحوالى 400 منزلا من تشييد الاهالى أنفسهم ، كما توجد أربع كنائس . الاولى منها ذات جدران من الحجارة الصلبة ، لم يمسها الأهالى بسوء بعد الفتح

---

1) بالستر عن تقرير جوزى فالبجو من المجلة الافريقية لسنة 1925 م ص 339 .

2) فحيثما كانت الجهة وأينما وجدت باستطاعة القناص الماهر تمييز جسم الانسان من رأسه الى أخمص قدميه . عن المجلة الافريقية لسنة 1925 م ص 332 .

الأول سنة 1709م والثانية مخصصة للمستشفى الصغير ،بينما الأخيرتين مارسى و القديس دومينيك Pères de la merci et ST Dominique استعملتا كديرين فالاولى لا زالت قائمة وصامدة رغم غوائل الزمن بينما الأخيرة أضحى نصفها أطلالا .

ترد القصبة كل دخيل بالدفاع عن مدخل الوادى ضمن الجهة الجبلية ، فهى تضم حصنين فى بالغ الأهمية ، الأول منهما مربع يطل على الساحة المسماة بساحة العرب ، بينما الثانى ذو شكل مستدير يشرف على بيت الحاكم والكنيسة والسجن ومخازن البارود ، والاسلحة وثكنة ، فهذا الحصن قد شيد قبل وصول الاسبان . انما قاموا بدورهم بترميمه وتوسيعه فقط،ويذكر المهندس هونتابا قائلا : "... يتكون القصر الذي يسكنه الضباط من 37 قسما لسكنى عائلاتهم . بالاضافة الى المكاتب الخاصة والامانة العامة للقيادة . واصطبلات وساحة وحدائق بأبارها ..." لكن زلزال وهران لسنة 1790 م من ليلتى 8و 9 أكتوبر خطم أصوارها وأتى على جزء من منازلها .

نبع واحد يكفى بحاجيات كل السكان لقوته وغزارة مياهه ينبع عند أقدام برج بنى زروال حيث ينتهى عند مصبه بالبحر ، ويذكر ابن حوقل 1 "... أن المدينة يحيط بها صور يسقيها ينبوعآت من الخارج تنساب مجاريه ، وعلى الضفتين من الوادى توجد حقول منتجة للعديد من الفواكه المختلفة ..."

بطحاء المرسى الكبير : Place forte de Mers El Kebir

تقع هذه البطحاء على الرأس البحرى حيث يكون الميناء الكبير ، هذا الميناء الذى يبدو على شكل مستطيل طويل ومحصور ويذكر ليون الافريقى فى ق 16م أن "... المرسى الكبير هى بلدة صغيرة شيدها فى عصرنا الحالى ملوك تلمسان على البحر الابيض المتوسط ... وأعتقد أنه لا يوجد فى العالم ميناء فسيح مثله،ولا أكبر منه اذ بامكانه استقبال المئات من السفن بكل سهولة ..." 2 .

أصوار البطحاء بالغة العلو بحصونها وفنادقها،وقد أعاد بناء الحصن القديم ملك أسبانيا فيليب Philippe II2 بوضعه تصميما آخر حيث استغرقت مدة الأشغال به زهاء 30 سنة .

---

1) من كتاب وهران دراسة عمرانية للمؤلف لسباس . Lespes (René) Oran étude D. G. ص 69

2) تقرير عن بطحتى وهران والمرسى الكبير للحاكم العام دون جوزى فالهجو 330 .

وبلغت تكاليفه ما يربو على ثلاثة ملايين ديكات 1 .

بالشراكة تشمد مع لسكيريال في نفس الفترة .

أما بداخل البطحاء لاتوجد منشآت يمكن اتخاذها كتكنة للجاهية . فكل أفرادها تقريبا يسكنون تحت الخيام ، معرضين للأمراض . ويعلو البطحاء من الجهة الغربية الجبل المسمى بجبل القديس La montagne du St حيث يحيط كلية بأصوارها كما يحمى المرسى الكبير من الجهتين الجنوبية والغربية . الا أنها لا تمتلك أودية ماعدا بعض الآبار التي تكفي بتموين جاهية عادية . ولكن بالرغم من ذلك فقد تشتمل على عين معدنية ساخنة تسمى بعين دادا أيوب على الجهة الشمالية تهل مدخل المدينة . أو عند مخرج النفق الذي يتصدر المدينة ويذكر في ذلك المازري "... سيدي دادا يوب المغراوي الذي كان من أهل القرن الرابع وهو بينها وبين المرسى الكبير . بمكان على البحر في محل فيه متعبدون وصالحون وحمامه مقصود للتبرك فيه نفع كبير ... ومعنى دادا في لغة زناتة هو الاب الكبير ..." 2 .

ميناء وهران : Le Port d'Oran

يعتبر ميناء وهران بمثابة خليج غير صالح لعمليات رسو السفن القادمة من هنا وهناك ، وذلك لعدم توفره على أرصفة قادرة للتحكم في ربط هذه السفن و حمايتها من الرياح الشمالية اذ أن مجملها يقصد مباشرة ميناء المرسى الكبير ، ومن هنالك تشحن المراكب الصغيرة بالسلع والبضائع . وتعود أدراجها الى وهران .

لم تكن تملك وهران ساعتئذ لا ميناء مخصص بمدلوله الحالي ولا لرصيفه ، بل توفرت على شاطئ ذو مرفئ غير لائق ألبتة لرسو السفن ، فالجهة غير مؤمنة . فهي معرضة دوما للرياح الشرقية والشمالية ، وضفافة من النواتي والكوارث المفاجئة . تأخذ المراكب حيطتها بكل الحذر متنقلة كل مساء صوب ميناء المرسى الكبير ، وفي ذلك يذكر الادريسي 3 . قائلا " ... مدينة وهران هي ميناء صغير قليل الاهمية لعدم أمن المركب ، ولكن على ميلين منه يوجد ميناء كبير انه المرسى الكبير ..."

---

1) الدوقة : نقد ذهبي أسباني = 24 د ج عن حرب الثلاثمائة سنة لأحمد توفيق المدني ص 113 .
2) بن عودة المازري مخطوط (طلوع سعد السعود) المقصد الاول ص 12 .
3) أبو عبد الله الادريسي (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) . ص 320 .

وعلى طول الشاطئ لا وجود لأي أثر لبناء المخازن والدكاكين أو الملاجئ ماعدا بعض المنشآت البسيطة التي تتمثل في مسكن القائد البحري وطاقم حراسته هذا بالاضافة الى 4 اصطبلات تضم مايقرب من 300 حصان .

وفي سنة 1736م 1 . شرع في بناء رصيف طويل بالجنوب من حصن لامونا بهندسة معمارية بسيطة ، زيادة على تحسين المرفئ وذلك لضمان المواصلات التجارية بين وهران والمرسى الكبير .

الا أنه في بداية 1738 م في الخامس من شهر فيفري . أصيب الشاطئ بزوبعة هوجاء حيث ارتفعت الامواج بحوالي 42 مترا عن سطح البحر ، فتهدمت الاماكن العليا لتلك الأشغال ثم اعيد ترميمها من جديد .

الحنفية الاسبانية القديمة : Vieille fontaine espagnole

تتوسط الساحة الصغيرة petit place الحنفية الاسبانية القديمة تمون سكان الساحة الصغيرة وما جاورها بمياه الشرب النظيفة وعلى اليسار منها النزل الاسباني القديم الذي تهدمت بعض معالمه العمرانية منذ أمد بعيد .

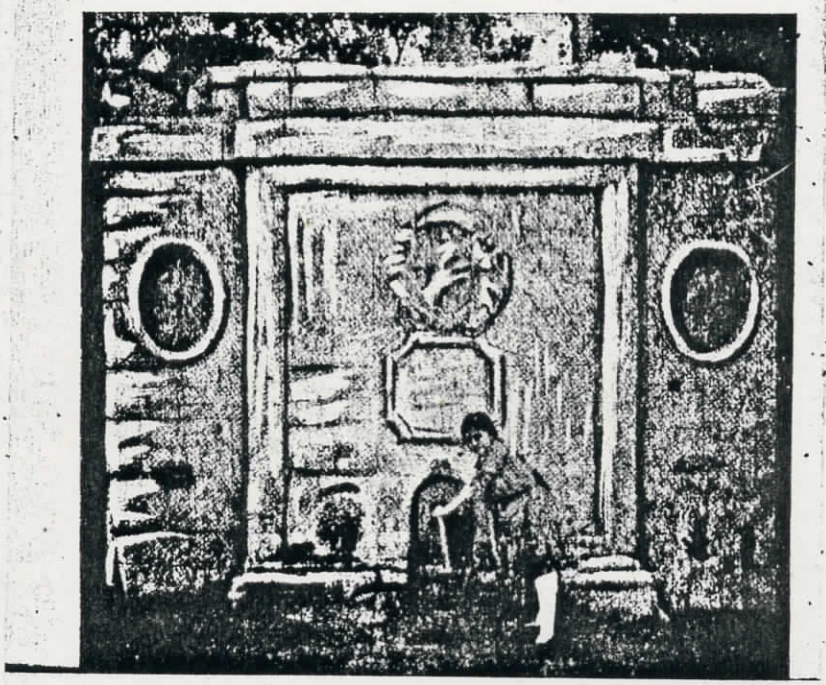
توجد هذه الحنفية في حي البحرية La Marine الموجود خارج الاسبان وبأسفل المدينة ، فقد شيدت منذ 1732 م مع الميناء والكنيسة المسماة بالكارمان وبجوارها ثكنات ومثلجة كبيرة Glacières ومخازن للحبوب والفحم ، وعند أقدام السلالم (كالبرا) Caléra حاليا مدفأة ومعسكر لأربعة دواوير التي يقطنها المفلسون .

ففي هذا الحي الجديد أنشئت الحنفية الاسبانية القديمة التذكارية وعلى مقربة منها أيضا على الشاطئ توجد مخازن الحبوب والمؤونة والملح .

وأثناء العمل الميداني وبحث ودراسة للمنطقة لاحظنا اختفاء هذه الحنفية ونتيجة للاتصالات مع السلطات المدنية خاصة بلدية وهران توصلنا الى معرفة مكانها حيث نقلوها الى المتحف البلدي بوهران .

---

1) لسباس (وهران دراسة عمرانية) ص 81 .



الحنفية الإسبانية القديمة

Vieille Fontaine Espagnole, place d'Orléans.

Liste des évennements Militaires Espagnoles en Afrique du Nord du 1492 au 1578.

Ces évennements sont d'importance fort inégale et se répartissent sur un demi siècle à peu prés là encore, les multiples travaux publiés permettent de - dresser facilement un résumé chrologique des principaux évennement.
En 1516 Diégode Véra (2) en 1519, Hugo De Moncada (3) échèrent devant Alger.
Deux ans plus tard les Espagnoles perdirent le Benon De Velez qu'ils ne purent réoccupe en 1525 (5). En 1529, échec beaucoup plus grave, le Penon d'Alger était occupé par le - Second Barberousse(1) .En 1530? André Dorie attaquait Cherchel (2). En 1531, Hone était pris par les Espagnoles resterent sans résultats? Lors.« de l'attaque de Cherchel, les - Chrétiens se dispèrserent pour piller, et, surpris par les Indigènes, furent rejetés à la mèr. A.Hone l'établissement des Espagnoles demeurs si précaire qu'en 1535 la ville fut démentelée et évacuée, durant cette même année 1535 Martin De Angulo conduisait une compagne malheureuse contre Tlemcen (4). Alors que Charles - Quint s'emparait de la - Goulette et de Tunis (5) . Six ans plus tard , l'Empreur, dans des circonstances - dramatiques, échouait devant les murs d'Alger (1541) (6). En comparaison de cet échec le succés du capitaine gouverneur d'Alcaudèle dans sonraid contre Tlemcen (1543)
Compte à peine (1) les mauvais jours, dés lors se succèdent, en 1551, les chevaliers de Malte étaient chassées de Tripoli (2), en 1554, le poste d'EL Mehdia (3) était rasé et évacué, en 1558, en fin l'expédition du Comte d'Alcaudèl contre Mostaganem se termina par un désastre. (4).

قائمة الحوادث الاسبانية الهامة بشمال افرقيا

من 1492 - الى 1958م

1516م دياجود وفيرا - 1519م هيجود و مونكادا تفشل محاولاته امام الجزائر 1920م يقود بنفسه حملة ضد جزيرة جربة فتكلل بالانتصار - 1529 فشل كبيرا امام الجزائر المستولى عليها بابا عروج - 1530م اوندى دوريا يهاجم شرشال - 1531م استيلاء الاسبان على حنين 1535م ارنسحاب من حنين 1535م مارتان دانجلو يقود حملة فاشلة ضد تلمسان بينما يبرز شارلوكان امام تونس - و بعد ذلك في 6 سنوات يفشل الامبراطور تجاه اهالى الجزائر 1541م الانتصار الذي احرز عليه الكونت الكودات في هجومه على تلمسان - 1551م يطرد نبيل مالطة من طرابلس - 1554م تحطيم مركز المهدية و اخلاؤه و اخيرا في سنة 1558م الكونت الكودات في اخر معركة له بمستغانم يلقى حتفه1 .

= الفهارس =

١) فهرس الأماكنة والبلدان

٢) فهرس الأعلام

فهرس الأمكنة والبلدان

- ا -

- ارزيو :

91، 146 ، 149 ، 152، 165

167، 176، 178، 181

- أستوريا :

10 - 13

- اسكندرية : 21

- اشبيلية

11 - 14 ، 62

- اغمات :

142 - 143

- أصيلا : 66

- ألشي : 37

- المرية :

14 ، 17، 36، 43، 81، 85

100 ، 157 ، 195

اليكانت : 37 ، 105

- ب -

- بجاية : 59، 158 ، 159

- البرج الأحمر : 247، 248، 251

برج بني زروال : 248، 251، 253

- البرج الجديد : 248، 250

برج مرجاجو: 248، 249، 252

البرج اليهودي : 248، 249، 250

بسطة : 17

بلعباس : 143 - 151 ، 153

بلنسية : 11، 14، 84، 90، 103

بودابست : 69

بورقوس : 132

- جـ -

جبال البشرات : 18، 100

جبالة : 64

جبال رندة : 100

جبل طارق : 14، 36، 66 ،

جزر البالمار : 21

جيان : 14

جيجل ، 158

- ر -

راشقون : 133 ، 201

- ز -

زاوية سيدى موسى : 134

- س -

ساردينيا : 35

ساسل : 214

سبته : 64، 67 ، 211

سجلماسة : 59، 226

سوسى : 54

سيق : 121 ، 173 ، 175

- ش -

شعبة اللحم : 140 ، 142

شلف : 114 ، 171

- ص -

صقلية : 27 ، 79 ، 206

- ط -

طبرقة : 209

طرابلس : 70

طليطلة : 68، 99، 185

طنجة : 65، 67

طولون : 209

- ع -

العرائش : 67

عنابة : 210

عين تموشنت : 122

- غ -

غالبيا : 10

غرناطة : 9، 11، 14، 17، 22،
26، 32، 72، 94،
144 ، 199 ،

غمريسس : 14 ، 178

- ف -

قصادس : 63

قصالة : 205 ، 210

قرطبة : 14 ، 30 ، 104

قرطاجنة : 14 ، 104

144 ، 166 ، 195 ، 196 ،

قسطنطينية : 11 ، 35 ، 102
158

قسل : 200

قلعة بني راشد : 132 ، 133
199

قلعة بني عباس : 158

- ك -

كريمتل : 120 ، 118 ، 188

- ل -

لشبونة : 15

ليون : 10

- م -

مالقة : 11 ، 17 ، 23 ، 37 ،
81 ، 156

مدريد : 15

مراكش : 59 ، 135

مرسية : 11 ، 17

مرسيليا : 209

المرسى الكبير : 20 ، 38 ، 78 ، 87
111 ، 185 ، 189
197 ، 214 ، 216
227 ، 253

مزغران : 109 ، 114 ، 141 ،
145 ، 179 ، 188

مستغانم : 109 ، 114 ، 141 ، 145
177 ، 151 ، 179 ، 188

225

مسرغين : 50 ، 96 ، 130

معسكر : 123 ، 218

ملاتة : 114 ، 119

مليلة : 71

ميلانو : 28

مهدية : 69 ، 70

ن

نورومة : 178

نيس : 209

- هـ -

هنين : 201 ، 223 ، 224 ، 226

- و -

وادى المالح : 134 ، 173

وهران : 17 ، 20 ، 25 ، 38 ، 42
45 ، 56 ، 89 ، 111 ، 115
130 ، 148 ، 162 ، 178
185 ، 188 ، 194 ، 202
210 ، 225 ، 228 ،

مهندس الأعلام

- فهرس الأعـــلام -

198، 206، 254 ابن ابي الغسان

مـــوســى 18

ابـــن حوقل 46 ، 205 ، 253

ابن خليكان (ابوالعباس 53

شمـــس الدين احمد بن محمد بن ابي

بكـــر) .

ابن ميمون محمد 51، 74

ابن كماشة ابي الحسن : 36

ابوراس محمد الناصري : 49

ابوزيان احمد الثالث 132

ابوحمو الثالث : 132، 155

ابوحمّو الثانـي : 95

ابو حمو حســـن : 212

ابو العباس العقلي : 62

ابويوسف يعقوب: 213

الادريسي (ابو 43، 79، 198، 206

عبيد الله محمد) 254 ، 141

احمد بدر : 13، 32، 33،

37 ، 99، 101

احمد توفيق المدني : 42، 49، 51، 83

93، 103، 130، 132

135، 138، 144

147، 148، 157

158 ، 166 ، 180

250

اســـحاق بن يعقوب: 132

الفونسو السّابيو : 22، 72، 92

الكسندر السادس : 20، 106

الكونت دى الكودات : 40، 112، 122

141، 145، 148

159، 174، 181

190، 194، 207

225

- ب -

بارتراند لويس : 34

بارنارد ينو : 160 ، 161

بـــلاي : 13

بلوم نيلي : 94 ، 186

بيدرونا قارو : 64، 90، 91، 110، 190

- ت -

توماس لانش : 209

- ث -

ثيثنهروس : 99

- ج -

جيروم فينيا يلو : 72، 77، 91

جبل الثاني : 20، 36

- ح -

باشا حسن بن خير الدين : 140، 146، 163، 164، 165

حسن قورصو : 156، 159، 161

حميده العبد : 122، 124

الحلفاوي، عبد الله 53، 97، 122، 247

سيدي محمد بن احمد التلمساني)

- خ -

خزر بن حفص المغراوي : 48، 49

خمينيس الكاردينال : 38، 71، 76، 84، 89، 93، 185

- د -

دواس بن صولات : 48، 50

ديدي : 142، 152

- ر -

الراشدي (أحمد بن محمد بن علي بن سحنون) 42، 47، 109، 118، 123، 149، 150

- ز -

الزغل محمد بن سعيد : 14، 16، 17

زندا جي أبي الحسن : 36

زوريطا جيرومينو : 27

- س -

ساتوره : 93

سارفونتاس ميكال 194

سليمان الثاني : 164

سوارازد ياجو 83، 170، 228

- ص -

صالح رايس : 156، 158، 159، 160

- ع -

عبد الرحمان بن رستم : 47

عبد الرحمان الثالث : 49

عبد الرحمان الجيلالي : 11، 135، 149، 169

عروج خير الدين : 118، 132، 134، 155

ابن ابي يوسف يعقوب التركي) 171، 222، 252

طج (الحاج علي) 2 0 1

علي الجـــا زم : 14، 32

عنان محمد عبد اللـــه :

عيسى بن غريب العروسي : 93

- ف -

فاردينـا ند الكاثوليكي : 16، 17،
72 ، 106 ، 110، 185، 190

فالميجو جون : 109، 115 ، 187
188، 189 ، 22 7
248 ، 252

فاي هندى ليون : 37، 40، 56
64، 81، 86، 88
119، 139، 143
152، 15 9، 161

فرانسو الأول : 29

فيليب الثانى : 102، 194

- ق -

قارسيادى لا بلا زا : 134

قونزا لوها رنونداز: 85، 143، 144

قناس بن طـا هر عبد ا للا وى : 93

كارلوس دى لوناخوسي : 10، 28، 59
70

كا زنا ف جسون : 21، 59 ، 190

كا سي كال : 84، 107، 216

كريستوفكولومبس
كريستوفا ل 192

- ل -

لسباس رو ني : 22، 37، 67، 100، 148
183، 208، 211، 22 7
255.

ليون الافريقي : 43، 53 ، 57 ، 199
253.

- م -

مارتان دى قرطبة : 194 ، 196 ، 197

مارتينا زدى قرطبة : 130

مارمول كرفا جال : 80، 137، 138 ،
140، 144، 145، 178
193 ، 194 ، 201
218، 214 ، 223
226

مجا هد مسعود : 37

محمد بن أمية : 102

محمد أبي عون : 49 ، 51

محمد عبد الكريـــم : 51، 53

محمد بن عيـــدون : 49: 51

المزري بن عودة : 18، 46، 94،
120، 124، 133
138، 145، 147
155، 186، 248
254.

مسلم بن عبد القادر : 43، 45، 48
49، 52.

المشرفي عبد القادر الجزائري ، 49
52، 116، 119، 121

المقدسي 205

المقرى (احمد بن محمد التلمساني 25

منصور بن بوغانم : 144، 162

موسى بن ابي الغسان : 18

موسى بن علي : 87

المهلبي (مبارك بن محمد) 60

- هـ -

هارنو ندازدى قرطبة : 85، 143

الهاشمي عبد الله محمد بن سليطور 36

هانريك لوبس : 31

هابدو 154

محتوى

الجداول والصور والخرائط

وصف لمدينة وهران بأحيائها ومرساها وأبوابها وبروجها ص 44

نسخة صورة من مخطوط الغازي بن عودة (طلوع سعد السعود ص 9)

تأسيس مدينة وهران ، (صورة عن مخطوط ارجوزة الحلفاوي) ص 50

صورة للقائد الاسباني " بيدرونا فارو " ص 92

قائمة بأسماء القبائل وأماكن استيطانها ص 114

جدول توزيع القبائل لدى فالمجو ص 115

خارطة توزيع القبائل ص 117

القبائل المرتدة (صورة عن مخطوط ارجوزة الحلفاوي ص 120

نموذج لوثيقة حمايـة ص 184

قائمة الصادرات والواردات الوهرانية ص 214

لوحة اسبانية قديمة لسنة 1732 تمثل المنظر العام لوهـران . ص 247

الآثار الاسبانية ، النزل ، درج مادريد ، برج مرجاجو ، المسجد ص 251

الحنيفـة الاسبانية القديمة ص 258

ـ ثبت بأسماء المراجع ـ

ـ بيبليوغرافيا ـ

- مصادر الباب الاول -

المصادر :

المخطوطات :

- 1) الحلفاوي التلمساني (عبد الله محمد بن أحمد) ، أرجوزة في فتح وهران وتشمل 72 بيتا ، تضم الفصول الخمسه التاليه : 1) في ذكر دولة السلطان بكداش .
2) وصفه لتجهيز الجيش . 3) محاصرة البلاد والبروج 4) وصف ما آل اليه الفريقان . 5) الحمد والثناء .

- 2) المازري بن عوده : - طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الاسود - في خمسة فصول : 1) وصف المدينه وتعريبها . 2) ذكر الاولياء والاشراف . 3) ذكر العلماء من هجرة التشييد حتى الان . 4) ذكر الدول على حسب الترتيب . 5) ذكر مخزنها يوجد المخطوطان بمكتبة المتحف البلدي لوهران رقم الاول ورقم الثاني .

- 3) المشرقي عبد القادر الجزائري : - بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الاعراب كهنى عامر - مكتبة بلدية وهران رقم 429 .

المصادر الخاصه :

احمد بدر : - تاريخ المغرب والاندلس - المطبعه الجديدة دمشق 1980 م .

احمد توفيق المدني : - حرب الثلاثمائه سنة بين الجزائر واسبانيا في 1492 م - الى 1792 م ط ثانيه ، الجزائر 1976 .

ابوراس محمد الناصري : - عجائب الاسفار ، ولطائف الاخبار - تحقيق محمد محي الدين ، القاهره . مط السعاده .

ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي (ت 1911م)
صورة الارض - (ليدن 1938 م)

ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمان بن محمد . (ت 1405 م) .
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر - (بولاق 1284م)
ابن خلدون : أبو زكريا يحيى (ت 1378 م)
- بغية الرواد في ذكر الملوك في بني عبد الواد - نشره وترجمه الى الفرنسية الفرد بل (الجزائر 1903 م) .
الادريسي : أبو عبد الله محمد الشريف السبتي (ت موالي 1154م) .
- المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، عن نزهة المشتاق في اختراق الافاق نشره وترجمة الى الفرنسية دوزي ودي خويه . (ليدن 1866م)
الراشدي : أحمد بن محمد بن علي بن سحنون - الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني تحقيق المهدي البوعبدلي (مط البعث قسنطينة)
المقري : شهاب الدين أبو العباس احمد بن محمد التلمساني (ت 1631م)
- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة 1949 م

المراجع والمصادر العامة :

زظول عبد الحميد :- تاريخ المغرب العربي - (القاهرة 1966م)
العبادي : احمد مختار العبادي - سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس - معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد 1957م
العبادي عبد الحميد - المجمل في تاريخ الاندلس - (القاهرة 1959)
فتره مضطربه في تاريخ غرناطه - صحيفة معهد الدراسات الاسلامية - مد 1959) .
علي الجازم : - العرب في اسبانيا - ط دار المعارف القاهرة 19521) .
العنان محمد عبد الله - نهاية الاندلس - (القاهرة 1961)
صلاح العقاد - المغرب في بداية العصور الحديثه - (دمشق 1962)
طرخان ابراهيم علي طرخان - المسلمون في اوروبا - القاهرة 1966 م

مجاهد مسعود : ـ تاريخ الجزائر

مسلم بن عبد القادر : ـ أنيس الغريب والمسافر ـ تحقيق رابح بونار الجزائر 1974 م

محمد بن ميمون الجزائري : ـ التحفه المرضية في الدولة البكداشية في الجزائر المحميه ـ تحقيق محمد بن عبد الكريم ط أولى ش . و ا ن . ت الجزائر 1972

عبد الرحمان بن محمد الجيلالي : ـ تاريخ الجزائر العام ـ دار الثقافه ، بيروت 1962م

مباركي بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ بيروت ط بدران 1964 م

BIBLIOGRAFIA:

CISNEROS, Cardenal, Cartas y documentos sobre la conquista de Orán. S. XVII.
FLORES Dávila (Marqués de,) D. Antonio de Zuñiga y de Cuevas. Papeles originales sobre gobierno de Orán. Años 1632-50. 3 vols.
LEBRIJA, Cartas de ... a S.M. (Orán 1531 sobre sumision de Tremecen. Memorial de Jacob Alegre, embajador del rey de Tremecen a S.M. Otros documentos sobre Tremecen. 1531-32.
LOPEZ de Gomara, Cronica de los Barbarrojas. Colec. Velasquez. T. 36.
MARMOL Carvajal, Descripcion de Africa. p. 215-216.
MORAS, D. Vicente Maria de, Diario de la plaza de Ceuta y sitio que la puso el rey de Marruecos en 1791, defendida por Luis Francisco de Urbina.
MUSMO, Mayer, Carta de ... Al inquisidor Mitard sobre servicios de su padre Jacob Cansino, hebreo, intérprete en Orán. 1668.
O'REILLY, Elogio satirico del colegio militar de Avila. V. papeles varios S.XVIII.
Noticias de la guerra de España con Portugal desde 1762 al sitio de Ceuta. en 1790.
RAGON, D. Pedro de, Voto de ... sobre la expulsion de los hebreos de Orán. 1669.
SOLIS, Fr. Foo., Carta original de ... al Cardenal Mitard sobre cual estado de las plazas de Orán y represion al Marqués de Velez. 1668.
VELAZQUEZ, D. Luis José, Papeles varios 1 vol. Catálogo de los gobernadores de Orán
VELAZQUEZ (colec.) M. de Valdeflores.
Nº 48 el rey de Tremecen a Cisneros despues de la toma de Orán
Nº 74 Jornada del Duque Maqueda, gral. de Orán en Moros Venerages.
Nº 75 Cronica de Barbarroja. Aviso sobre Argel.
VELAZQUEZ (Colec.)
Nº 83-84-85 Memorias sobre Berberia.
Nº 89 Descripcion del reino de Tunez por Francisco Ximenez.

VARIOS:

Traduccion de papel arábigo de un cautivo desertor de Tremecen que vino a Orán.
Traduccion de varias inscripciones arábigas de Orán S. XVIII. IL-2-6-13.
Instruccion del Marqués D. Martin de Cordoba al Conde de Alcaudete para gobernar Orán, Mazalquivir, Tremecen y Tunez. Carta original de Muley Xeque a Felipe III sobre su amistad. 1606.

Ouvrages Généraux.

- Arzeuw sous l'occupation Espagnole et la domination Turque in bulletin de de Géographie 1951.

- Beauvoir (S). - L'Amérique au jour le jour 1092.

- Berbrugger: Madrid, (Pedrodo): relation de la conquesta de Mazarquvi Berbrugger (Pedro) en 1505 R.A.T.B.P 100.

- Berbrugger: la mort du fondateur de la régende d'Alger (Arroudj Barberresse) R.A.T.U.P 25.33.

Bertand (Luis). - Histoire de l'Espagne .-Paris, A. Fayard, 1941.

Blum(Helly): La croisade temenes en Algérie Oran(Fouque) 18.98 8è Ps; 163.

Braudel - Les Espagnoles en Afrique du Nord in revue Africaine 1928.

Brunelle -G): Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnoles sous le commandement de Don Martin et Cordoue Conte Comte d'Alcandete en 1543.

Castries (De) -Les sources inédites de l'Histoires du Maroc-Portugal.

Cazenave (J) -Pedro Navasso in Bulletin 1929.

Charles André Julien: Histoire de l'Afrique du Nord.

Charles André Julien: Histoire de l'Algérie.

.../...

Colonie(La) Espagnole en Algérie par Demantes in Bulletin de la société de Géographie n° 1899.

Emamel (Abbé) .-Sous le drapeau.

Espagnoles (Les), à Oran in Bulletin de la société de Géographie n° 1896.

Fort (Le) de Santa Cruz in Bulletin de Géographie 1933.

Francisco Michel: Documents ayant trait à l'occupation d'Oran par les Espagnoles Bull -Oran 1887 P.10 .

Francisco Michel, R: Dialogue sur les guerres d'Oran Bulletin Oran 1889 Ps.95.223.

Gourgeot: Les Béni-Amer R.A.T.L.P. 407.

Guim: Quelques notes sur les entreprises des Espagnoles pendant la première occupation d'Oran R.A 1886 Ps.312-327.

Granier (Beau-Jean).- L'Economie de l'Amérique Latine.

Gsell (S) Histoire de l'A lgérie.

Guerre et conquêtes de Tlemcen, de cette ville par les Espagnoles en 1543 in revue Africaine n°1890.

Guerre (Les) d'Oran, pendant l'occupation Espagnoles de cette ville 1509-1792 in revue Africaine n° 1830.

Gunter: Plans anciens d'Oran T. IV P. 230.

Hanser (H) La prépondérance Esoagnole. - Paris, Alcan, 1933.- 2 Vol.

Henrique-(Luis) Les colonies d'Amériques.- Paris, M. Quantin C 358.

Histoire d'Oran par le Marquis de Tababros in Bulletin de Géographie 1930.

.../...

Hubert-Marc .- Le Mexique, Coll. Que sais-je? - Paris.

Jacqueton (G): L'Expédtion d'A. Martinez de Augule centre de Tlemcen. 1892 P. 149-165.

L'Hullier (CH): notion historique sur le fort de Santa Cruz Bulletin-Oran 1906 P. 381.

Manneran: Les Souscriptions d'Oran et de Mers El Kebir R.A.T.XV Ps 173-271-353- 353- 435 - et TXVI -Ps: 53-89-187-278-343.

Marnol Cavajal: Déscription générale de l'Arica (traduit en français par Mr Perrot d'Alblain Ceurt, sous le nom de de l'Afrique de Marmol).

Melley (Blum).-La croisade en Algérie, Oran, Fouque, 1898.

Mers El Kébir, Historique et déscription de la Forteresse in. Revue Africaine 1942.

Mespher.-L'Algérie, les Espagnoles à Oran in Bulletin de Géographie 1896.

Meunier: le port d'Oran Bulletin 1920.

Nelly (Blum).-La croisade en Algérie, Fouque 1898.

Pellecat-Mémoire de Arnaldo Hautolat, in Bulletin de Géographie, 1926.

Vallejo (Joseph).- Mémoire du Gouvernement.- RA.1928.

Vire (P).- Aupéril de l'Espagne - 1201.

Ouvrages Spécialisés.

Aranbourg(Leconte De): Situation des tribus d'Oran.

Basilio Aramburu (Dou José). -Situation de.

Basset (René): Documents musulmans sur le siège d'Alger en 1914.

Basset (René): Fastes chronologique de la ville d'Oran pendant la période Arabe. Oran Paul Perrier empreur 1892.

Bleye (Aguado).- Marmol de la Historia de Espana,Tomos III y IV .- Madrid, 1972.

Brandel (Fernand) : Les espagnoles et l'Afrique du Nord de 1492 et 1577 R.A.

Burges (l'Abbé).-Histoire de Bene Zéyan roi de Tlemcen-Paris 1887.

Capan y Antonio.- Mémorias Historicas sobre la Marina, tomosII y III .-Madrid, 1940.

Carvajal (Marnol) -Cindad Del norte de Africa Real Académia de la Historia -Madrid

Carvajal (Marmol).-Déscripcion de Africa .- Real Académia de la Historia .- Madrid.

Carvajal (Marmol).- Oran, Cindad de la Provincia de Tlemcen .-Real Académia de la histia .- Madrid.

Cazenave (Jean) : Cerventes à Oran (1581) Bull, Oran 1923 P. 215.

Cazenave (Jean): Contribution à l'histoire du vieil Oran, RA

Cazenave (Jean): Deux Razzias mouvementées des Espagnoles d'Oran au XVI. Bull- Oran 1929 P. 285.

.../...

Cazenave (Jean): Histoire d'Oran par la marquis Tabolsos, Bull. Oran 1930.

Cazenave(Jean): Les Gouverneurs d'Oran pendant l'Occupation Espagnole de cette ville (1505-1792). R.A.1930 Ps 257-300.

Cazénave (Jean): Pedro Navaro, conquérant de Velez Oran-Bougie-Tripoli. Bull 1925 P.131.

Didier (G.).- Histoire d'Oran. Petit C. 1932.

Feg (Henri-Léon).-Histoire d'Oran, avant, pendant et aprés la domination Espagnole. Février, 1858, n° 8348.

Fey (Henri-Léon) Histoire d'Oran avant et pendant la domination Espagnole Oran (Perrier) 1858 n° 8 348 Ps.

Guado Bleye(Pedro A.).- Manual de la Historia.

Haedo Topografia de Espana .- Madrid 1940.

Jourdan: de l'Occupation Espagnole 1875 N° 8 P?323.

Kehl(Camille).- Oran et l'Oranie avant l'Occupation Française.-Fougue L.1942.

Léon(Jean l'Africain):"Déscription de l'Afrique" Nouvelle édition introduite de L'Italien par A.Epaulard T IL librairie d'Amérique et d'Orient.

Lespez (René): Oran études Géographique et Histoire Urbaine Collection du centaire de l'Algérie. Paris Librairie Félix Alcan.).

Lunajose (Calos de.).-Histoire de Gibraltar.- Murcia 1621.

Nelly(Blum).-La croisade de Xemenes en Afrique.

(A .).- Histoire de Los Moris Cos.

Pons Boingues Francisco).- Ensago Bio-Bibliografico sobre los Historie des Géografos Madrid, 1898.

.../...

Prieto Ivives (Antonio).- Formacion del Reino de Granada.-Madrid 1972.

Sabio (Alfonso el).- Priméra Cronica général de Espana.- Madrid, 1955.

Suarez (Diego).- El Utimo Mostre de Montesa; Real Académia, Madrid narus 15.5.4.

Tabalasos (Le Marquis).- Historia de Oran Real Académia de historia Madrid Real Académia Manus 23.296.

Zurita (Géronimo).- Los Anales de la corona de Aragon.- Zaragoza, 1688.

المحتوى

المحتوى

	رقم الصفحه
الباب الأول :	
الاحتلال الاسباني الأول لوهران وانعكاساته الاجتماعيه	
الفصل الاول	
الصراع الاسلامي الاسباني بالاندلس وبوادر التوسع الاسباني	9
الوجود الاسلامي والمجابهة العسكريه	
سقوط غرناطه	14
شروط الاستسلام ونهاية الوجود الاسلامي بالاندلس	18
الاوضاع السياسية بأسبانيا	20
الهجرات الاندلسيه المتتاليه	22
التوسع الاسباني بأوربا	27
التوسع الاسباني بالقاره الامريكيه	30
السقرصنه	35
الفصل الثاني :	
وهران في مخطط الاحتلال	42
موقع وهران	
عوامل التأسيس : أ- العامل السياسي ب- العامل الاقتصادي	46
التخطيط لوهران كمدينه	48
التسميات التاريخيه لوهران : أ- التسميه القديمه	51
ب- التسميه البربريه	52
ج- التسميه الاوروبيه	54
استراجية وهران البريه والبحريه	55
السكان	57
الاوضاع السياسيه للمغرب عامة	59
الهجمات المتعاقبه على سواحل المغرب	

الهجمات المتعاقبة على سواحل المغرب 61
المراكز الساحلية المسطرة فى برنامج الاحتلال وعمليات التجسس 69

الفصل الثالث :

بوادر التوسع الاسبانى واحتلال المرسى الكبير ووهران 73
النزاع الملكى الاسبانى واصرار ايزابيلا على التوسع 74
استراجية موقع المرسى الكبير 78
التجهيزات الاسبانية والاستيلاء على المرسى الكبير 80
مجلس الشورى ونهاية الاحتلال 87
التحضيرات العسكرية واحتلال وهران 89
تنس والصراع بين الاشقاء 96
سياسة التنصير 98
توزيع القبائل عبر منطقة وهران قبل فترة الاحتلال 113
تقسيم القبائل أثناء الاحتلال ونوعيتهم 115
القبائل المرتدة 117
القبائل المتحررة 123

الباب الثانى :
الانعكاسات السياسيه والاقتصاديه 128
الفصل الاول : الانعكاسات السياسيه والعسكريه 129
المعركه الاولى الداخليه : اندحار الاسبان بمسرغين 130
معركتا أغبال وتلمسان واستشهاد عروج 132
معركة هنسين 136
معركة شعبة اللحم 138
ملحمة مزغران ومستغانم ووفاة الكونت الكودات 141
آراء وأقوال عن وفاته 148
أسباب ونتائج الهزيمه 151
التوسع الاسبانى صوب الداخل 154
الحصار الطبيعى لوهران ـ داء الطاعون . 156
الحصار الاول لوهران 1556 م 158
الحصار الثانى 1563 م 163
الحصار الثالث 1567 م 167
الفصل الثانى : الانعكاسات الاقتصاديه زراعيه ضرائب وتموين
الفلاحة 170
الاراضى الزراعيه داخل وهران ونواحيها 170
الاراضى الزراعيه خارج وهران 172
الضرائب ونوعيتها مكافأة الولاة مكافأة عن دفع المحصول وثيقة الحمايه 179
التموين من الداخل الافريقى لوهران 185
التموين البرى والبحرى لوهران من طرف القبائل المتحالفه 186

رقم الصفحه

تموين وهران من طرف مطكة تلمسان 189

التموين عن طريق الغارات المفاجئه 190

الصراع الداخلى 191

التموين الاوروبى للمدينه 193

مسألة الاجور 195

الفصل الثالث : الانعكاسات الاقتصاديه : صناعه وتجاره

الصناعه 198

العلاقات التجاريه لوهران والتجاره الجزائريه 202

العلاقات التجاريه لوهران قبل الاحتلال 204

المعاهدات التجاريه 208

عطيات التصدير والاستيراد 213

الهيمنه الاوروبيه على المحاور التجاريه

التجاره الوهرانيه ابان الاحتلال 215

الاسواق التجاريه الجهويه 218

النزاع الادارى بين القاده الاسبان 219

النزاع السياسى بمطكة تلمسان حول السلطه وأثره على التجاره الوهرانيه 222

الحصار الدائم والتدهور التجارى 227

الخاتمه 229

رقم الصفحه

الملاحق : أ- الهندسه المعماريه والآثار الاسبانيه بوهران 248

ب- أهم الاحداث العسكريه الاسبانيه بالشمال الافريقي 258

الفهارس : 260

أ- فهرس الاماكن والبلدان حسب الحروف الهجائيه 261

ب- فهرس الاعلام حسب الحروف الهجائيه 264

محتوى الجلد اول والصور والخرائط 269

ببليوغرافيا :

أ- عربيه .

ب- أجنبيه .

محتوى البحث .

محتويات الأطروحة

الإهداء :

مشروع الأطروحة : اختيار الموضوع وأهمية الفترة ، وسائله ، محتواه ومنهجيته.

الباب الأول : الاحتلال الاسباني الأول لوهران ، وانعكاساته الاجتماعية

الباب الثاني : الانعكاسات السياسية والاقتصادية .

الاستنتاج العام.

الملاحق : -ا- الهندسة المعمارية والآثار الاسبانية بوهران

-ب- أهم الاحداث العسكرية الاسبانية بشمال افريقيا

الفهارس :

-ا- فهرس الأمكنة والبلدان حسب الحروف الهجائية

-ب- فهرس الأعلام حسب الحروف الهجائية

محتوى الجداول والصور والخرائط

بيبلوغرافيا : -ا- عربية ، ب - أجنبية

محتوى البحث